الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة عمر المختار – البيضاء
كلية الآداب – قسم التاريخ

سليمان الباروني ودوره في الحركة الوطنية الليبية بين عامي 1905-1940 ف

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الإجازة العليا (الماجستير)
في التاريخ الحديث والمعاصر

تأليف الطالب
صالح علي عوض

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد الهادي عبد الله بوعجيلة

العام الجامعي
2007 – 2008 ف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

سورة البقرة : الآية 218

الإهــداء

إلى والديَّ

إلى زوجتي العزيزة

إلى أبنائي وإخوتي وأخواتي

الشكر والتقدير

يتوجه الباحث بالشكر والتقدير إلى جميع العاملين بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بطرابلس، ويخص بالشكر العاملين بشعبة الوثائق والمخطوطات العربية والأجنبية، وشعبة الروايات الشفوية.

كما يتوجه بالشكر إلى العاملين بالمكتبة المركزية بجامعة قار يونس بنغازي، وشكر خاص للعاملين بقسم ليبيا، وأيضاً إلى العاملين بمكتبة كلية الآداب والمركز الثقافي بمدينة طبرق، كما يتوجه بالشكر إلى دار الكتاب الوطني بمدينتي بنغازي وطرابلس ومكتبة الحارة بطرابلس ويقدم الباحث شكره وتقديره لكل من الدكتور جاسم محمد الشطب، وجميع أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب طبرق، والى الأخ إيهاب أياد نزهت، الذي قام بطباعة هذه الرسالة وكل من ساهم في انجاز هذا البحث، وأعان عليه بأي صورة كانت.

والباحث عاجز عن الشكر ورد الجميل للأستاذ الفاضل الدكتور محمد الهادي عبد الله بوعجيلة، الذي اشرف على هذه الرسالة، حيث استطاع الباحث بفضل توجيهاته العلمية القيمة، التي أمده بها والملاحظات حول هذه الدراسة، أن يظهر البحث المتواضع بالشكل العلمي المطلوب.

والله ولي التوفيق

فهرس الموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

الإهـداء

الشكر والتقدير

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ – ي

الفصل الأول

سليمان الباروني. نشأته، ثقافته، تكوينه الذهني من عام 1873–1905م ... 1 – 17

1) نشأته 2

2) عائلته 6

3) مراحل التعليم واهم الذين تعلم على يديهم 7

4) علاقته بالدولة العثمانية من عام 1898-1905م 12

الفصل الثاني

نشاطاته السياسية إلى الغزو الايطالي لليبيا من عام 1906–1911م 18-46

1) نشاطه السياسي في مصر من عام 1906-1907م 19

(أ) تأسيسه لمطبعة الأزهار البارونية عام 1906م 19

(ب) تأسيسه لجريدة الأسد الإسلامي عام 1907م 24

2) نشاطه السياسي في ليبيا من عام 1908-1910م 33

(أ) جهوده الوطنية في مجلس المبعوثان العثماني 1908م 33

(ب) الموقف الوطني من الغزو عام 1909م 37

(ج) دوره في تجنيد الأهالي عام 1910م 39

3) الغزو الايطالي لليبيا عام 1911م 41

(أ) موقفه من الغزو الايطالي لطرابلس الغرب 41
(ب) بداية المقاومة المسلحة ضد الايطاليين 43

الفصل الثالث

كفاحه الوطني ضد ايطاليا من عام 1912–1916م 47-72
1) مؤتمر العزيزية عام 1912م 48
– إعلان الحكومة الطرابلسية عام 1912م 52
2) أهم المعارك التي قادها بين عامي 1913–1914م 58
(أ) معركة الاصابعة 60
(ب) سفره إلى السلوم في عام 1914م 63
3) دوره في تأمين الامدادات العسكرية بين عامي 1915–1916م 67

الفصل الرابع

نضاله ضد الاحتلال الايطالي من عام 1917–1922م 73-104
1) دوره في المقاومة ضد الاحتلال الايطالي في عام 1917م 74
2) إعلان الجمهورية الطرابلسية والقانون الأساسي
بين عامي 1918–1919م 76
– مؤتمر مسلاته 78
3) موقف ايطاليا من الجمهورية الطرابلسية 83
4) تجدد المقاومة 85
(أ) معركة جنزور في 2 من يناير عام 1919م 85
(ب) معركة رأس الغولة من 8–10 فبراير عام 1919م 86
(ج) صلح بن يآدم 88
(د) تشكيل حكومة مختلطة في مدينة طرابلس عام 1919م 92
5) مؤتمر غريان وآثاره السياسية 1920–1922م 94

- تأسيس هيئة الإصلاح المركزية 99

الفصل الخامس

نشاطه السياسي في الخارج من عام 1923-1940م 104-132

1) سفره إلى فرنسا وتونس والسعودية من عام 1923-1924م 105

2) سفره إلى سلطنة عمان من عام 1925-1928م 111

(أ) أهم أعماله في مسقط 112

(ب) رسائله فيما يخص قضية ليبيا 113

3) نشاطه السياسي في العراق من عام 1929-1937م 114

(أ) رسائله الشخصية 116

(ب) رسائله الخاصة وقضايا العالم الإسلامي 118

(ج) رسائله الخاصة بقضية بلاده 119

4) سفره إلى مسقط من عام 1938-1939م 131

5) وفاته في الهند عام 1940م 131

الخاتمة 134

قائمة المصادر 137

الملاحق 153

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء المرسلين، سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ.. وبعد.

يعد سليمان الباروني من الشخصيات الهامة التي أدت دوراً بارزاً في تاريخنا الوطني، حيث تلقى تعليمه الأول في مدارس الجبل الغربي، ثم واصل دراسته في كل من تونس والجزائر ومصر، عاد بعدها إلى وطنه وأسس مدرسته البارونية في يفرن عام 1904م، غير أنه اصطدم بالحكم العثماني الذي كان سائداً في البلاد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فرجع ثانية إلى مصر وأنشأ فيها جريدته الأسد الإسلامي عام 1907م، التي أشار فيها إلى بعض آراءه وأفكاره، ومارس فيها وجوهاً من النشاطات الفكرية، مثل نشاطات الحزب الوطني المصري الذي انتمى إليه حينها، وكذلك تحدث في جريدته عن مفهوم الجامعة الإسلامية والعوائق المانعة من ظهورها إلى حيز الوجود. ولم يكتف بهذا؛ بل إنه أرسل بتاريخ 1907م مقالاً يطلب فيه حثّ جميع علماء وأدباء الدول الإسلامية إلى توحيد مذهبهم في مذهب واحد، وإلغاء التعددية لأنها اكبر عامل من عوامل الفرقة في زمن أحوج إليه إلى الاتحاد في كل شيء، وتقريب وجهات النظر لإزالة العوائق، وكذلك من مظاهر حيويته ونشاطاته في هذه الفترة من حياته في مصر أنه اقترح إنشاء حزب باسم حزب الدفاع عن الدين مصدق عليه من أمير البلاد، ومؤلف من علماء وسياسيين من كافة الطوائف، تكون مهمته على الدوام القيام بالدفاع عن الدين الإسلامي ونبيه محمدﷺ، وفي عام 1908م عقب إعلان عودة الدستور العثماني، وإعطاء الحريات للعثمانيين، رجع إلى بلاده ولاية طرابلس الغرب، ورشح نفسه للانتخابات ليكون ممثلاً للجبل الغربي في مجلس المبعوثات وبالرغم من قيام بعض الصعوبات التي واجهته ووقفت في سبيله، فإنه نجح في الانتخابات وسافر في السنة نفسها إلى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية وهناك تعلم اللغة التركية، وفيها تعرف على البارزين من رجال العلم والسياسة العرب والترك وغيرهم، وكان على علم بالأطماع الايطالية في بلاده، ودعا إلى ضرورة حمايتها والدفاع عنها، حيث قدم تقريراً سرياً إلى الحكومة العثمانية أشار فيه إلى نوايا ايطاليا في احتلال طرابلس الغرب، واقترح على الحكومة العثمانية تزويد الأهالي بالسلاح، وتدريبهم على استخدامه لمواجهة الخطر الذي يهدد البلاد، فوافقت الحكومة على سفره إلى

طرابلس، كما وافقت على التدابير التي قدمها في تقريره السري.

وفعلاً لم تمض فترة طويلة حتى احتلت ايطاليا طرابلس الغرب في عام 1911م. حيث قام المجاهد سليمان الباروني مع باقي الزعماء الوطنيين بشن العديد من المعارك ضد ايطاليا وفي عام 1912م دخلت حركة المقاومة مرحلة جديدة اختلفت عما كانت عليه فيما سبق، وذلك بعد الصلح الذي عقد بين الدولة العثمانية وايطاليا (صلح أوشي لوزان)، وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا، وهناك قام المجاهد سليمان الباروني ومن معه من الزعماء الوطنيين بتأسيس حكومة وطنية في يفرن في نفس العام، وقام بإرسال برقيات لطلب الاعتراف بالاستقلال للحكومة الجديدة، إلى كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وروسيا والدولة العثمانية وايطاليا، وفي عام 1913م سافر إلى الأستانة، وعقب إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914م، سافر مع بعض القادة الأتراك إلى منطقة السلوم وذلك في محاولة لإثارة الثورات داخل هذه الدول ضد دول الوفاق (فرنسا وايطاليا وبريطانيا)، وفي السلوم نشب خلاف في وجهات النظر بين السيد أحمد الشريف وبين القادة العثمانيين، وفي عام 1915م سافر إلى الأساتنة وهناك قام بتقديم مقترحاً إلى حكومة الخلافة، يؤكد فيه عزمه على مواصلة الحرب في طرابلس الغرب، وطلب منهم تقديم العون له في ذلك، فوافق السلطان على طلبه، وعينه والياً وقومندانا على طرابلس الغرب، وعندما وصل طرابلس عمل على نشر الوفاق بين الزعماء الطرابلسيين، وفتح الجبهات الممتدة لمحاربة الايطاليين في ليبيا، وكذلك عمل على فض النزاع بين رمضان السويحلي والسنوسيين، وعندما تم له ذلك انشأ حكومة رمزية وذلك نظراً لظروف البلاد الاقتصادية والسياسية والحربية وقام هو والمجاهدين بشن العديد من المعارك ضد الايطاليين، وبين عامي 1918-1919م، أعلن سليمان الباروني مع بعض الزعماء الوطنيين عن تأسيس الجمهورية الطرابلسية والقانون الأساسي، وفي عام 1920م نشب خلاف بين الزعماء الوطنيين، فاستغلت سلطات الاحتلال ذلك وقامت بشن هجوم على الزعماء الوطنيين فسافر المجاهد سليمان الباروني مع من حالفه الحظ ونجا من قبضة الايطاليين، إلى الخارج، فسافر في البداية إلى فرنسا، ثم رجع إلى تونس، وبعدها سافر إلى السعودية وكان ذلك بين عامي 1923-1924م، ثم سافر بعدها إلى سلطنة عمان في عام 1925-1928م، وفي عام 1929م، سافر إلى العراق استمرت حتى عام 1937م، وفي

عام 1938م سافر إلى مسقط وبقي حتى عام 1939م، وعاد في نفس العام إلى العراق ومنها سافر إلى الهند في عام 1940م وذلك لعرض قضية بلاده على زعماء الهند وللعلاج وهو العام الذي توفي فيه.

وتكمن أهمية الموضوع في إبراز العديد من الأنشطة السياسية والعسكرية التي أداها رجال الحركة الوطنية الليبية، وقد كان للباروني دور فيها والتي أهلته لأن يلعب دوراً كبيراً وبارزاً في جميع الأحداث التي وقعت في ليبيا من عام 1905-1940م.

ولقد دفعتني في الحقيقة عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع وهي أسباب تتعلق بذات الموضوع وأخرى ذاتية، أما الأسباب التي تتعلق بذات الموضوع كان لوفرة المصادر والوثائق والروايات الشفوية التي تدخل في الموضوع من الأسباب المهمة الدافعة إلى دراسته، كما أن الموضوع لم يدرس دراسة أكاديمية مستقلة، حيث أن معظم الدراسات التي تناولت الموضوع كانت في الغالب تطرح فترة زمنية معينة منه أو بشكل موجز أو من الناحية الأدبية فقط، في حين أغفلت الكثير من الجوانب السياسية الهامة من حياة الباروني في كفاحه الوطني ضد الايطاليين في ليبيا وكفاحه السياسي في المهجر، ولم يدرس الموضوع خلال فترة البحث بين عامي 1905-1940م.

أما الأسباب الذاتية فقد تمثلت في ميولي ورغبتي في دراسة تاريخ ليبيا، والكتابة عنه، لأنه يحتاج من الباحثين والدارسين إلى أن يولوه اهتمامهم به.

ولقد جعلت بداية البحث "سليمان الباروني ودوره في الحركة الوطنية الليبية في عام 1905م"، لأن هذا التاريخ كان بداية لنشاطه السياسي في مصر. كما أنني جعلت نهاية فترة البحث عام 1940م، ذلك لأن هذا العام قد فارق فيه الزعيم سليمان الباروني الحياة وهو في الهند.

وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على عدة تساؤلات ومنها:

ما هو أصل سليمان الباروني، وإلى أي القبائل العربية ينتمي؟ وكيف كانت علاقته مع الدولة العثمانية في تلك الفترة؟ وما هي الأنشطة السياسية، والثقافية، والفكرية التي مارسها الباروني في جريدته؟ وما موقف سلطات الاحتلال البريطاني والفرنسي من هذه الأنشطة؟ وكيف تعاملت السلطات الاستعمارية مع دعوات الباروني؟ ولماذا انتمى إلى الحزب

الوطني المصري؟ وكيف كانت علاقته بقادة الحزب؟ وما هي الدعوات والحركات الإسلامية التي تأثر بها؟ وما موقفه من التغلغل الايطالي في ليبيا؟ وما هي الأنشطة السياسية والعسكرية التي قام بها ضد الايطاليين؟ وما موقف الزعماء الوطنيين من الاحتلال الايطالي وموقف الباروني منه؟ وما هي أسباب نشوء الخلاف بين سليمان الباروني وبعض الزعماء الوطنيين الآخرين ولاسيما بشير السعداوي؟ وما هي أهم المؤتمرات التي عقدت بين المجاهدين في تلك الفترة؟ وما التدابير التي اقترحها عليهم الباروني؟ وكيف كان أثرها على حركة الجهاد؟ وما هي أهم المعارك التي خاضها ضد الايطاليين؟ ثم ما موقف الحكومة التركية والقادة الأتراك في طرابلس من هذه الحرب؟ وما هي الخطوات التي قاموا بها لصد العدوان؟ وما هي آثار الحرب العالمية الأولى على مجريات الأحداث داخل ليبيا؟ وإلى أي مدى استفاد منها المجاهدون؟ وما الدعم الذي قدمته لهم حكومة اسطنبول وخليفتها ألمانيا إبان الحرب العالمية الأولى؟ وما الدور الذي أدته منظمة تشكيلات مخصوصت فيها؟ وما هي أعلى المناصب الحكومية التي وُكلت إلى الباروني؟ ثم لماذا ظل فترة منقطع عن الجهاد؟ وما هي أهم المعارك التي شنّها ضد الايطاليين بعد ذلك؟ ولماذا أعلنت الجمهورية الطرابلسية وكيف ردت الحكومة الايطالية على هذا الإعلان؟ وما هو القانون الأساسي؟ وما هي أسباب نشوب الحرب الأهلية في طرابلس، ومدى تأثيرها على نضال الطرابلسيين؟ ولماذا هاجر إلى الخارج، ولماذا حرّم عليه السفر إلى كل من مصر، والشام، وتونس، وباقي دول المغرب العربي؟ وما هي أهم المناصب التي تقلدها في سلطنة عمان وفي مسقط؟ وكيف كانت علاقته مع ملك الحجاز وبغداد؟ وما هو النشاط السياسي الذي قام به في المهجر إزاء قضية بلاده؟ وهل كان على اتصال بالزعماء الوطنيين داخل ليبيا وخارجها؟ وأخيراً سفره إلى الهند؟

ومن أهم الدراسات السابقة للموضوع:

- ندى عمر شعبان، المقاومة الليبية للاحتلال الايطالي "1911-1932"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 1983م.

تناولت هذه الرسالة نضال الشيخ سليمان الباروني ضد الايطاليين بعد تخلي الحكم العثماني عن ليبيا، ودوره في توحيد القيادات الشعبية لمقاومة الاستعمار، ثم تناولت جهاد

الطرابلسيين، إلى نشوب الخلاف بين الزعماء الوطنيين بعد إعلان الجمهورية وهجرة الباروني إلى الخارج في نهاية عام 1919م.

وبذلك جاءت هذه الرسالة شاملة للمقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي من عام 1911-1932م، ولم تخص نضال الباروني بصفة خاصة، كما أنها أغفلت بذلك نشاطه السياسي في المهجر من عام 1920م وحتى 1940م، كما أنها لم تتعرض إلى الفترة التي سبقت عام 1911م من حياته من حيث نشأته وتكوينه الذهني، ونشاطه السياسي في مصر، ثم في ليبيا بعد انتخابه في مجلس المبعوثان العثماني في عام 1908م.

وبذلك سنحاول سد هذه الثغرات التي أحدثتها الرسالة، لأنها جاءت شاملة للمقاومة الليبية دون أن تخص نضال الباروني كشخصية وطنية مستقلة.

- أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ط 2، طرابلس، 1948م.

تناولت هذه الدراسة حياة سليمان الباروني، ودوره في حركة الجهاد الليبي، مما استقاه من شواهد وأقوال المؤرخين والأعيان التقات المعاصرين له، فكان بهذا العمل أول دارسيه والرائد في التعريف به، وقد أفادت من معلوماته اغلب البحوث التي تلته.

- أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، المطبعة العربنة الجزائر، ج 1، ج 2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

تناول مؤلف هذا المصدر الذي جاء في جزأين حياة سليمان الباروني وجهوده الوطنية في ليبيا ضد الايطاليين، وفي ديار الهجرة. حاول في هذا الكتاب إكمال النقص الذي رآه في الكتاب السابق الذي ألّفه أبو القاسم الباروني، غير أن هذا الكتاب امتاز بالطابع الوثائقي، بما جمعه من رسائل الباروني ومكاتباته، وبما يحويه من معلومات دقيقة وانطباعات شخصية، وقد أعطت صلة المؤلف الطويلة بالباروني، فقد كان زميله في الدراسة؛ قيمة خاصة لهذا الكتاب.

- زعيمة الباروني، صفحات خالدة من تاريخ الجهاد، ج 1، ج 2، د.ت.

تناول مؤلف هذا المصدر الذي جاء في مجلدين، وثائق الزعيم الباروني في العهدين العثماني والايطالي، وفي مرحلة هجرته خارج بلاده، وبالرغم من أن هذا الكتاب التوثيقي، لم

تسلك به السيدة زعيمة الباروني مسلك الدراسة والتأليف، فإنها كشفت عن جوانب ذات أهمية في كفاح الباروني وفي جهاد الليبيين.

أما المنهج، فقد تتبعت لدراسة عناصر هذا البحث منهج تاريخي، فيه تسجيل للحقائق التاريخية كما هي وكما هو متفق عليها في المصادر، وحاولت القيام بالتحليل وإعطاء الآراء والاستنتاجات والربط بين عناصر الموضوع ربطاً يجعل هذه الدراسة وحدة متكاملة.

ولقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، فضلاً عن قائمة المصادر والملاحق. أما في الفصل الأول وعنوانه "سليمان الباروني نشأته وثقافته وتكوينه الذهني من عام 1870-1905م" فلقد تناولت فيه أصله، وتدرجه في العلوم وأشهر مشايخه.

وفي الفصل الثاني وعنوانه "نشاطه السياسي والثقافي والفكري وانتخابه في مجلس المبعوثان من عام 1905-1911م"، تناولت تأسيسه لجريدة الأسد الإسلامي عام 1905م، وعلاقته بقادة الحركة الوطنية المصرية، وموقفه من التغلغل الايطالي في ليبيا.

أما الفصل الثالث وعنوانه "موقفه من الاحتلال وكفاحه الوطني من عام 1914-1911م" فقد تناولت فيه الاستعداد للمقاومة، ومؤتمر العزيزية، وأهم المعارك.

وفي الفصل الرابع وعنوانه "نضاله ضد الاحتلال الايطالي من عام 1914-1919م" تناولت فيه الحرب العالمية الأولى وآثارها على الأحداث في ليبيا، وسفره إلى تونس وتنصيبه والياً على طرابلس الغرب، وإعلان الجمهورية الطرابلسية والقانون الأساسي، ومؤتمر غريان والحرب الأهلية عام 1920م.

أما في الفصل الخامس وعنوانه "نشاطه السياسي في المهجر من عام 1940-1919م" وفيه تناولت سفره إلى لندن وباريس وايطاليا، وسفره إلى الحجاز والعراق، وتنصيبه مستشاراً للسلطان العماني ووفاته في الهند عام 1940م.

دراسة لعينة من المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة

ثانياً: الوثائق المنشورة

مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ملف سليمان الباروني رقم (9) وثيقة رقم (78)، برقيات طلب الاعتراف باستقلال ليبيا من مركز يفرن إلى وزارة الخارجية في كلاً من بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وروسيا وتركيا وايطاليا.

جاءت هذه الوثيقة في صفحة واحدة، مكونة من ثلاثة عشر سطراً، ومؤرخة في 1912م.

تحليل الوثيقة وأهميتها للدراسة:

تناولت هذه الوثيقة طلب الاعتراف بالاستقلال الذي وجهه سليمان الباروني إلى الدول المذكورة يحيطهم علماً بأن الدولة العثمانية قد منحت "القطر الطرابلسي" استقلاله، وقد اتفق السكان على التضحية في سبيل الدفاع عن الاستقلال، كما اتفقوا على رئاسة الباروني للحكومة المستقلة، وعليه يطلب الباروني أن تكون حكومته في مصاف الدول المستقلة المعترف بها، وحدّد لهم المناطق الداخلة ضمن حدوده. يتضح من خلال الوثيقة أن سليمان الباروني كان يملك تأييد السكان الذين منحوه ثقتهم واتفقوا معه على الدفاع عن حكومة "القطر الطرابلسي" التي يرأسها، وبذلك تؤكد على الجهود التي كان يبذلها من أجل تحقيق الاستقلال وتوحيد حركة المقاومة ضد الايطاليين؛ كما يؤكد على المكانة الرفيعة التي كان يحتلها الباروني بين قادة التحرر الوطني، وبذلك تكون هذه الوثيقة مفيدة للدراسة في الفصل الثاني لمعرفة موقفه من الغزو من عام 1911-1912م.

- وثيقة رقم (117) منشور من الوالي سليمان في حث الأهالي على التدريب العسكري.

جاءت هذه الوثيقة في صفحتين، وبأسلوب وطني، طالب به الباروني سكان طرابلس من اجل توجيههم للتدريب على حمل السلاح.

تحليل الوثيقة وأهميتها:

يتضح لنا من خلال هذه الوثيقة عدة أمور منها:

1. دعوة الباروني المواطنين الطرابلسيين للتدريب على حمل السلاح، واستعماله للدفاع

عن الوطن والدين، كما يحثّهم على الإخلاص للخلافة الإسلامية تحت راية العثمانيين لكي لا يجد الطامعين فرصة لزرع الفتنة والفرقة بين المسلمين، حيث يؤكد لهم بأن التدريب العسكري واجب على كل مواطن، ليكونوا دائماً على استعداد لمواجهة أعداء الدين.

2. تشجيع الأهالي على التدريب العسكري بتأكيده لهم أن الدولة العثمانية ستقوم لتزويدهم بكل ما يحتاجونه من الأسلحة والعتاد اللازم للتدريب.
3. جاءت الوثيقة بأسلوب وطني، وحرص فيها الباروني على تذكير الأهالي بالآيات القرآنية التي تدعم دعوته.

وبذلك يثبت لنا مدى حرص الباروني على تعاون الأهالي مع الأتراك والإخلاص للدولة العثمانية، كما تبين الوثيقة مدى الجهود التي كان يبذلها من اجل توحيد المقاومة الوطنية ضد الأطماع التي تهدد البلاد، كما تؤكد على أن الباروني كان على علاقة جيدة بالخلافة العثمانية وكان له تأثير كبير في توجيه الأهالي وتحريضهم على المقاومة بما يتمتع به من قدرة خطابية.

وبذلك تكون هذه الوثيقة مفيدة للدراسة لاسيما الفصل الأول في معرفة الجهود التي كان يبذلها الباروني من اجل توحيد حركة المقاومة الوطنية منذ عام 1905-1911م ضد الايطاليين.

ثانياً: المصادر والمراجع

1. أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني زعيم المجاهدين، 1948.

هذا الكتاب يقع في 133 صفحة من الحجم المتوسط، والطباعة جيدة، ونوع الورق جيد. حيث تتبع فيه الكاتب حياة الباروني منذ بداية حركة الجهاد إلى وفاته في الهند.

نقد الكتاب وأهميته للدراسة:

هذا الكتاب لم يضع مؤلفه قائمة المصادر التي اعتمد عليها، ولم يشر لها في هامش الصفحات، بحكم أنه عاصر تلك الأحداث التي كتب عنها. ومع ذلك، فقد أشار في بعض الصفحات إلى التعريف ببعض الشخصيات المهمة. ولقد اتفقت المعلومات التي وردت في

كتابه مع كثير من المصادر التاريخية، مثل كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة، وقد تميز هذا الكتاب بكثرة وثائقه.

وبذلك يعتبر هذا الكتاب دراسة وثائقية، حيث اشتمل على العديد من الوثائق الهامة عن جهاد الباروني، ويختلف هذا الكتاب عن الكتب الأخرى من حيث كثرة وثائقه، لاسيما وأن مؤلفه هو أبو القاسم الباروني من المقربين للزعيم سليمان الباروني ومعاصر لتلك الأحداث. وبما أن الكتاب دراسة وثائقية بشكل كامل، لذا جاءت مصادره غير الوثائقية قليلة، وبذلك يكون المؤلف قد تناول جهاد الباروني بالإيجاز في الفترة الأولى للجهاد "جهاد السيف"، والفترة الثانية من الجهاد "جهاد القلم".

عز الدين إسماعيل وآخرون، سليمان الباروني المعلم المقاتل، ط 1، دار العودة، بيروت، 1975م.

يقع هذا الكتاب في 117 صفحة من الحجم المتوسط، ونوع الورق جيد، وكذلك الطباعة، وقد قسمه المؤلف إلى أحد عشر عنواناً، تناول فيه حيات الباروني قبيل الغزو وراء القضبان في العهد العثماني، ثم تناول بداية الغزو، وتنصيبه والياً على طرابلس الغرب من قبل الدولة العثمانية، كما تحدث عن الجمهورية الطرابلسية، ونفيه في فرنسا.

نقد الكتاب وأهميته للدراسة:

هذا الكتاب لم يضع مؤلفه قائمة المصادر التي اعتمد عليها، ولم يشر لها في هامش الصفحات، ولقد اتفقت المعلومات التي وردت في كتابه مع كثير من المراجع التاريخية لاسيما كتاب أبو القاسم الباروني، زعيم المجاهدين الطرابلسيين، وقد تم تميز هذا الكتاب عن الكتب الأخرى في التركيز على حياة الباروني في المرحلة المبكرة من حياته، وجهاده ضد الايطاليين، ولذلك فإن هذا الكتاب مفيد للدراسة في الفصلين الأول والثاني.

وختاماً.. أتمنى أن يكون بحثي هذا قد أعطى صورة واضحة عن سليمان الباروني، ودوره في الحركة الوطنية الليبية بين عامي 1905-1940م.

الـــفـصـــل الأول

سليمان الباروني

نشأته ، ثقافته ، تكوينه الذهني من عام 1873– 1905م

أولاً : نشأته.

ثانياً : عائلته.

ثالثاً : مراحل التعليم وأهم الذين تعلم على يديهم.

رابعاً : علاقته بالدولة العثمانية من عام 1898–1905م.

1 – نشأته:

هو المجاهد والسياسي والشاعر والأديب والصحفي، سليمان عبد الله يحي الباروني[1] ولد في بلدة جادو حاضرة مدينة فساطو في عام 1873م، والتي تعرف في التاريخ بجبل نفوسة الواقع إلى الجنوب من مدينة طرابلس الغرب [2] وهو سليل أسرة عربية عريقة ترجع أصولها إلى بلدة البروانيين الواقعة في الجزيرة العربية في سلطنة عمان الحالية [3] وقد هاجرت هذه الأسرة إلى أن استقر لها المقام في ليبيا حوالي القرن الثالث الميلادي، وقد اشتهر أبناؤها بالكفاءة العالية في شتى النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية في ليبيا والشمال الأفريقي ، حيث كان منهم السياسي والعالم والفقيه والأديب[4] ويرجع الفضل في هذا كله إلى جدهم الأول (أبو هارون موسى) الذي اشتهر بالعلم والقيادة العامة، وهو صاحب المسجد الموجود حتى الآن في الجهة الغربية من الجبل، في وادي (البناين)، في منطقة كباو، وقد حظيت بادو عبر الزمان بالأهمية الكبيرة ، فقد كانت في فترات من التاريخ، العاصمة السياسية ومقر الحاكم بجبل نفوسة، ثم تضاءل هذا الدور وتقلص بمرور الأيام إلى أن صارت في العهد العثماني الثاني، وهو العهد الذي ولد فيه سليمان الباروني، مجرد متصرفية صغيرة[5].

لقد حرص سليمان الباروني في كثير من المناسبات على الإشادة بأجداده والمفاخرة بأعمالهم الدينية والدنيوية ولا سيما جده الأول المذكور أدناه، كما أظهر ذلك في الكثير من شعره [6] ويصفه أحد معاصريه بأنه بطل ومناضل سياسي ووطني مخلص لا يعرف في الحق

---

(1) شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط3، بنغازي، 1994م، ص 526.

(2) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ط1، مصر، 1970م، ص 17.

(3) محمد مسعود جبران، سليمان الباروني. آثاره، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 1983م، ص 23، زعيمة الباروني، سليمان الباروني تعريف موجز، دار لبنان، بيروت، 1973م ص5.

(4) أحمد الشماخي، السيرة والمناقب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص 55.

(5) زعيمة الباروني، المصدر السابق، ص 5.

(6) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان باشا في أطوار حياته، المطبعة العربية، الجزائر، 1956م، ج1، ص 8؛ زعيمة الباروني، صفحات خالدة من تاريخ الجهاد الليبي، 1968م، ج1، ص416 .

لومة لائم، وكان هذا دوماً مبعث نقد من معاصريه ومن خصومه السياسيين في فترة الحرب، وعندما غزت إيطاليا طرابلس وتخلى العثمانيون عنها أصبح المرجع الأول للبلاد[7].

أما من حيث نسبه من جهة والدته وأصولها فلم يتحدث سليمان الباروني ولا المصادر التي تناولته من قبل بمعلومات مفصلة والراجح أنها من الأسر الليبية المغمورة، التي لم يكن لها تأثير كبير في الحياة العامة، وغاية ما حصلت عليه من ذلك، أن والدة الشيخ سليمان الباروني، من أسرة تخشيشه من سكان الجبل الغربي، واسمها عزيزة بنت سليمان تخشيشه[8] ويتضح من القرائن الكثيرة المصاحبة إن والد المجاهد (عبد الله الباروني) المتوفى في عام 1913م، أي قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بعام واحد، وبعد الغزو الإيطالي لليبيا بعامين اثنين، قد اقترن بزوجته عزيزة، بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد توفيت قبلهُ بسنوات قليلة علم 1911م، وهي التي أنجب منها أولاده الثلاثة وهم: (سليمان – أحمد – يحي) وللأخير صلات قوية بجهاد سليمان وبحياته ونشاطاته، وقد استشهد الكثير من أبناء هذه الأسرة في أوائل الحرب الليبية/الإيطالية [9] .

أما يحي فلقد درس العلوم أسوة بأخيه سليمان في القاهرة، وتونس، وميزاب، وكان له أدواراً هامة في حركة الجهاد ولا سيما من عام 1911- 1919م، وقد كلفه أخاه في عام 1916م بمهمة الذهاب إلى طرابلس أثناء الحرب العالمية الأولى لتقصي أخبار البلاد وجلب الدعم من الزعماء الوطنيين من أجل مواصلة الجهاد وقد تمكن من إنجاز هذه المهمة على أكمل وجه، وعندما تأسست الجمهورية الطرابلسية في عام 1918م، تقلد منصب نائب رئيس مجلس الشورى فيها [10].

وأما أحمد فإنه كأخيه يحي بعد أن تلقى مبادئ العلوم الدينية عن أبيه، ذهب معه إلى القاهرة لتلقي العلوم العربية من منبع الأزهر ثم إلى تونس كذلك.

---

(7) مقابلة أجراها الباحث مع الهادي عبد الله المشيرقي، طرابلس، 2004.

(8) مقابلة أجراها الباحث مع سليمان تاج الدين، وعمرو أحمد الباروني، طرابلس 2004م؛ محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 25.

(9) دليل المؤلفين العرب الليبيين – أمانة الإعلام والثقافة، دار الكتب، طرابلس، 1977م، ص 235؛ أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص 34 – 35.

(10) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج1، المصدر السابق، ص 227-233.

وقد تقلد القضاء الشرعي فترة من الزمن بمركز " نالوت " والرحيبات " وغيرها من الأماكن الكثيرة إلى أن أحيل على المعاش في عام 1954م، وكان مركز نالوت الذي تولي قضاءه هو أكبر مراكز الجبل الثلاث ، " فساطو "، ومركز " يفرن "، إذ يشتمل على سبع مديريات:

1- مديرية كباو 2- مديرية الحرابة 3- مديرية الجوش

4- مديرية وازن 5- مديرية سيناون 6- مديرية درج

7- مديرية غدامس

وكان في كل مديرية نائب قاضي تابع لقاضي مركزه ، وله من الأبناء عشرة منهم : (عبد الله – يوسف – سعيد – وهو متصرف بترهونة – علي – صالح – سليمان – وغيرهم [11]) .

أما أبناء سليمان الباروني فهما كالآتي :

1- سعيد: بعد أن تلقى العلوم التحق بالمدرسة الحربية في الآستانة أيام كان أبوه عضواً في البرلمان العثماني، وقد حصل على رتبة ضابط "فسيان".

2- إبراهيم: فقد تنقل منذ طفولته مع أبيه في سائر أمور حياته رخاء أو شدة منذ أواخر الحرب العالمية الأولى بطرابلس، فقد التجأ طفلاً مع أبيه وعائلته إلى تونس، ثم انتقل إلى الآستانة وهناك تلقى مبادئ علومه ثم أرسله أبوه إلى مدرسة رأس التين الأميرية بالإسكندرية، فواصل تعليمه بها إلى أن نال الباكلوريا.

وانتقل بعدها إلى طرابلس ولبث بجانب العائلة أيام محنة أبيه بالاغتراب، ثم انتقل إلى أبيه في عمان، ومنها انتقل إلى بغداد للعلاج والدراسة فقلده الملك غازي وظيفة في ديوانه الملكي. ثم عاد إلى مسقط واختص بتعليم أفراد العائلة المالكة .[12]

3- زعيمه: فهي الكاتبة الشهيرة بمقالاتها البليغة في مختلف الصحف والمجلات مثل مجلة "صوت المربي" الطرابلسية ومجلة "الأفكار" الجديدة العهد بطرابلس .

---

[11] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج1، المصدر نفسه، ص 229-233 .

[12] أبو اليقظان الحاج إبراهيم ، المصدر السابق ، ج2، ص 234 وما يليها .

وتمتاز بأسلوبها القصصي الشيق ،كما تمتاز بالروح الفدائية التي ورثتها عن والدها، حتى أنها اختارت لنفسها حياة الانقطاع والفناء في مبدأ المفاداة لدينها ووطنها عن الحياة الزوجية التي تقيدها بحقوق الزوج عن كثير من الأعمال والخدمات العمومية، ومما يؤثر عنها أنها قالت في شأن القيام بتربية أبناء أخيها إبراهيم ما مؤداه "إني أعاهد الله أن أبذل جهدي في تنشئة أبناء أخي إبراهيم التنشئة القويمة التي أرادها لهم جدهم المرحوم والدي الباشا، ولو كلفني ذلك أخر قطرة من دمي" [13] .

4- عزيزة وأبناؤها:

أ- (سليمان – تاج الدين –عمرو والباروني ، وأبناؤه : (زكريا – زهير– سراج الدين).

ب- عاصم عمرو الباروني وأبناؤه : (وليد – هناء –رضوان) .[14]

وفيما يلي رسم توضيحي لعائلة سليمان الباروني :

---

(13) المصدر نفسه، ص 239 وما يليها.

(14) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف الباروني رقم 9، وثيقة رقم 110، د . ت.

2 – **عائلته:**

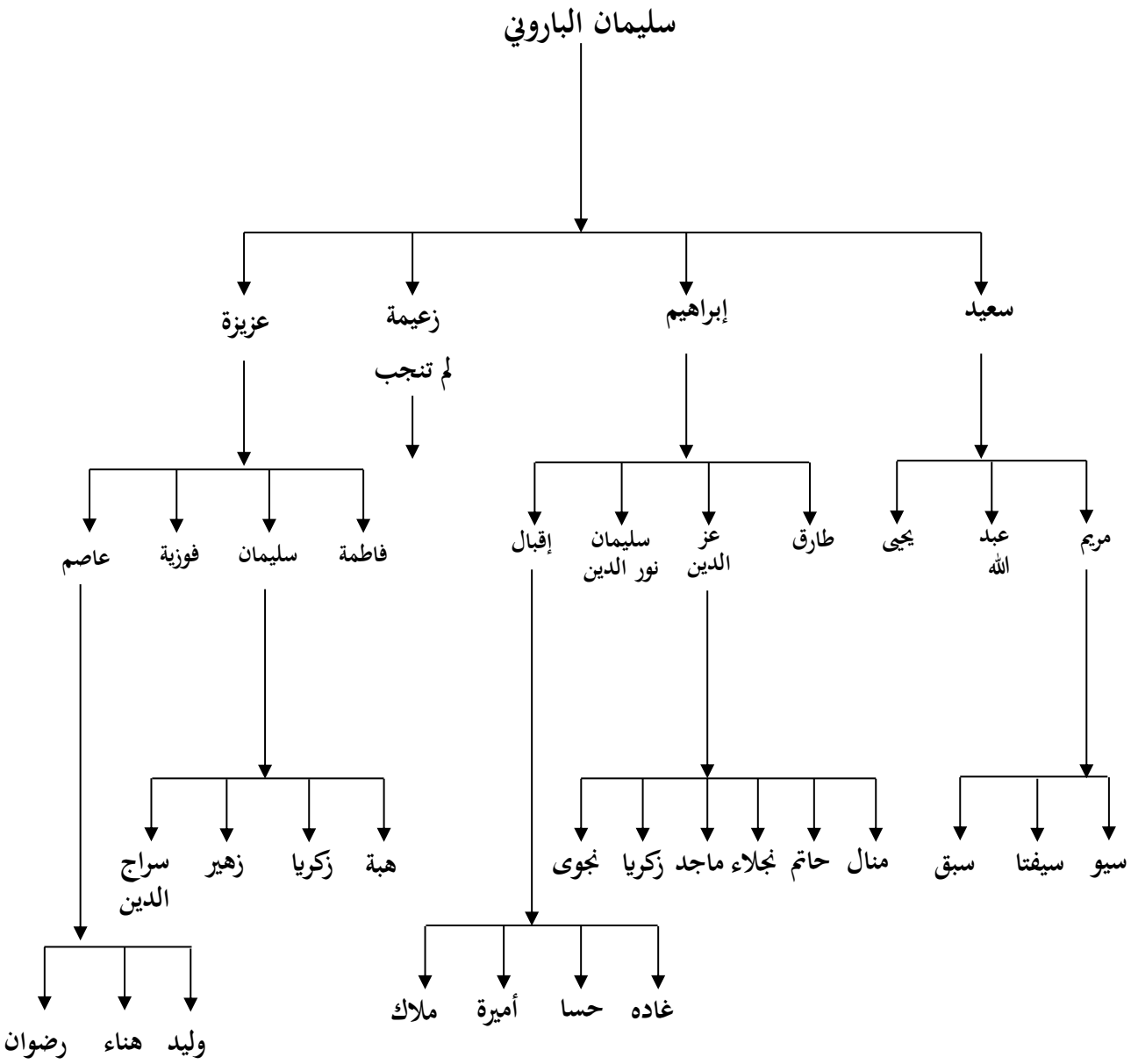
سليمان الباروني
سعيد
إبراهيم
زعيمة
لم تنجب
عزيزة
مريم
عبد الله
يحيى
طارق
عز الدين
سليمان نور الدين
إقبال
فاطمة
سليمان
فوزية
عاصم
سيو
سيفتا
سبق
منال
حاتم
نجلاء
ماجد
زكريا
نجوى
هبة
زكريا
زهير
سراج الدين
غاده
حسا
أميرة
ملاك
وليد
هناء
رضوان

3 – مراحل التعليم وأهم الذين تعلم على يديهم:

1- جامع الزيتونة في تونس:

لقد قضى مدة طفولته المبكرة والمتأخرة في مسقط رأسه وفي قرى الجبل، وتلقى مبادئ العلوم، وكتاب الله على يدي بعض الشيوخ في ذلك الوقت، وكان من أبرز هؤلاء والده الشيخ عبد الله يحي، الذي تكفل بتعليمه إلى علم 1887م، حيث أرسله إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، بالرغم من ظهور بدايات جديدة لإنعاش الحركة الثقافية في ليبيا، على يدي السنوسيين في الكفرة والجغبوب، ومحمد كامل بن مصطفى في طرابلس الغرب [15] ولكن والده أشار عليه في العام المذكور بالسفر إلى تونس لاستكمال تعليمه، ولربط الصلة بينه وبين جامع الزيتونة، والأعلام البارزين في تلك المدينة ليأخذ عنهم المعارف والعلوم، ويستقي من ينابيع الحياة العقلية والفكرية الثرية، ولا غرابة فقد كان الشيخ عبد الله على علم من النشاط الثقافي والعقلي النامي الذي بدأه خير الدين باشا ومحمود قابادو وغيرهما من المصلحين في تونس، وعلى معرفة تامة بطبيعة ووجهة أعلام الحركة الإصلاحية المسيرين لها [16].

والجدير بالذكر هنا أن نزوله في تونس، كان بعد فترة قصيرة من الاحتلال الفرنسي لها، وكان في سن الخامسة عشر من عمره، فحصلت له الصدمة الأولى بالاستعمار والمستعمرين الدخلاء الذين غزوا البلاد بالقوة، وتحكموا في رقاب الأهالي الآمنين، الأمر الذي أحس معه بضيق سكان البلاد من الاستعمار وكرههم مما جره عليهم، كما ظهرت في تلك الفترة بدايات الحركات الإصلاحية الدينية والسياسية، التي ظهرت كرد فعل طبيعي لمواجهة واقع الاحتلال الجديد، بشيء من التحفظ على عادات البلاد وتقاليدها الدينية والأخلاقية العريقة من جهة، ومن جهة أخرى لتجسيد تفاعلها مع الحركات الإصلاحية التي ظهرت في المشرق والمغرب الإسلامي.[17]

---

[15] محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 26 .

[16] محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس 1972م، ص21 وما يليها.

[17] محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص 27.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن الداعي المصري المصلح الشيخ محمد عبده قد جاء إلى تونس والتقى فيها بدعاة الإصلاح التونسيين، فكون معهم نوعاً من الوفاق، حيث أيده العديد من أبناء البلاد وانضموا إليه في أفكاره وكان من أبرز هؤلاء الشيخ محمد بيرم، والشيخ محمد السنوسي والشيخ سالم بو حاجب وغيرهم من العلماء.[18]

كما صادف ذلك تردد أنباء الأفكار التي طرحها جمال الدين الأفغاني، وقد اتصل سليمان الباروني كغيره من طلاب الزيتونة بهذه الروح الجديدة، فوعى أول درس في مخاطر الاستعمار ووجوب مقاومته، كما اتصل على المستوى الدراسي التعليمي بالحياة التعليمية في جامع الزيتونة وبمناهجه وكتبه وشيوخه المشهورين، وكان من أشهرهم الشيخ محمد المكي بن عزوز والشيخ محمد النجار ، والشيخ عثمان المكي ، والشيخ محمد النخلي .[19]

وقد أشارت بعض المراجع إلى أن الباروني قد تلقى بعض علومه عن الشيخين الأخيرين ، اللذين كانا من جملة أساتذته .[20]

أيضاً فإن والده حرص على أن تكون حياة ابنه في تونس، حافزاً له لاستكمال الفضائل، وداعية لإحراز الكمالات، وقد أرسل إليه خلا ل هذه الفترة رسالة شعرية لحثه وتحصيلها [21]، ونوجز تلك القصيدة بهذه الأبيات :

بني تنبه واستمع لمقالتي	وكن واعياً لها بقلب مباشر
تعلم بني العلم والزمه دائما	قريناً مع التقوى وفعل الأوامر
تعلم فإن العلم تاج وهيبة	لحامله بين الرجال الأكابر
فواظب عليه واجتهد في طلابه	لعلك تعطاه بقسمة قادر
وكرر كتاب الله لا تنسى ذكره	وحافظ عليه في المساء والأباكر

---

(18) محمد الفاضل ابن عاشور، المرجع السابق، ص59، 74 – 75.

(19) محمد الفاضل ابن عاشور، تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، تونس 1970م، ص 261–219؛ محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، المطبعة التعاونية، دمشق 1971م، ص 31.

(20) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص47 .

(21) عبد الله يحي الباروني، ديوان عبد الباروني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، د.ت ص 29؛ أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج1، المصدر السابق، ص 40–41.

لعر لئن ضيعت وقتك باطلاً لكنت على حد من العمر حائر

فما عذر من قد حل بتونس طالباً وفيها علوم طافحات المغادر[22]

في الأبيات السابقة مع التوجيهات والنصائح الأبوية إيماء صريح لما ذكرناه من معرفة الشيخ عبد الله الباروني للحياة الفكرية المزدهرة في تونس، وتفسير لإرساله ولده إليها، والذي لا جدل فيه، أن فترة تحصيل سليمان الباروني في الديار التونسية، والتي بدأت عام 1887م ودامت سنوات، أفادته إفادة كبرى وذلك من ناحية تحصيله للعلوم التراثية التقليدية في الوسط الزيتوني، ومن ناحية الاتصال بطرائق الإصلاح والحياة المدنية، ولنا في قصيدة من قصائد ديوانه على الأثر البعيد الذي أحدثه في شخصيته الشيخ محمد النخلي من علماء الزيتونة، ومن الرجال المعدودين من دعاة التجديد والإصلاح الديني والاجتماعي.[23]

2- جامع الأزهر الشريف :

ومن الخطط التي تقومت بها شخصيته رحلته إلى الديار المصرية وسفره من الزيتونة إلى الأزهر للاستفادة من أعلامه والاتصال بحلقاته العلمية، وبحياة مصر الثقافية، ولم تكن مصر وجامعها الأزهر، غريبة عن والده الذي تلقى علومه في تلك الربوع، والذي حمله على الرحلة إليها كما حثه من قبل على الرحلة إلى تونس، وقد أجمعت الروايات على أن الباروني سافر إلى المشرق، قاصداً مصر عام 1892م، فكانت أولى رحلاته إلى أرض الكنانة كما أجمعت تلك الروايات على أنه ظل مقيماً فيها مدة ثلاث سنوات، سكتت المصادر عن الحديث عن طبيعة دراسته فيها، وعن ذكر العلماء الذين أخذ عنهم العلم، وعن مدى ما عاد به من ثقافة وفقه مدة إقامته بالقاهرة.[24]

وفي ذلك تشير بعض المصادر إلى أن هذه السنوات الثلاث أعطته في فترة شبابه عطاء غير محدود، وهو لا يقل بحال عن الرصيد الذي تحصل عليه من قبل في تونس، فقد استكمل تحصيله العلمي في الجامع الأزهر، وقرأ بعض العلوم والكتب التي لم يطلع عليها من قبل كما اتصل بالحياة العامة في مصر ووادي النيل، فرأى مجتمعاً يموج بالحركة والحياة، فيه

---

(22) عبد الله يحي الباروني، ديوان عبد الباروني، المصدر نفسه، ص 29.

(23) محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 29، محمد الفاضل ابن عاشور، تراجم الأعلام، المصدر السابق ص 75-76.

(24) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج1، المصدر السابق، ص49.

إثارة من الحركة الإصلاحية التي رفع منارتها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، والتي كان نتاجها الثورة العربية عام 1882م وشاهد نشاطاً ملحوظاً في الفكر والأدب، اللذين أخذا يخرجان من طور التقليد إلى طور التجديد، ومن دائرة الجمود والإتباع، إلى آفاق الانطلاق والابتداع، وعليه فإن الحياة المصرية التي كانت تشهد في تلك الفترة تطورات خطيرة وعميقة في المجالات المختلفة، أثرت تأثيراً كبيراً في شخصيته وحياته لقبول النزعة الإصلاحية في الدين والسياسة والإعجاب بقادة التوجيه والإصلاح.[25]

3 – قطب الأئمة في الجزائر:

إن الرافد الأخير الذي تأصلت به علومه وعقليته ، وتوسعت فيه مداركه، هو معهد قطب الأئمة الشيخ محمد اطفيش، في وادي ميزاب في الجنوب الجزائري، ويمتاز هذا المجتمع الميزابي بأنه مجتمع يسيطر عليه الدين وتهيمن عليه العقيدة والنظام الغالب عليه نظام العشائر الذي له الكلمة النافذة على المسلمين فيما يعرف بالولاية والبراعة .[26]

فقد سافر إلى الجزائر عام 1895م، واتصل بالعلامة اطفيش المذكور، الذي يعد من رجال الإصلاح المشهورين وحرص على الإفادة منه قدر المستطاع وقد نجح في ذلك.[27]

وفي تلك الديار عاش ثلاث سنوات موصولة، يستقي من ذلك المحيط الصحراوي النقي المشبع بالروح الدينية، ويستمد من منهل شيخه المشهود له بالكفاءة، عند علماء وحكام المسلمين وغيرهم، ويحظى من العلماء والصلحاء في ذلك الوادي بالتقدير والرعاية[28]، والمرجح أنه درس على يد شيخه هذا العلوم الشرعية والفنون العربية، مثل كتاب جامع الوضع والحاشية والإيضاح للشماخي، وكتاب النيل للشيخ عبد العزيز الثميني، وكتاب التوحيد للشيخ أبي عمار الكامي، وكتاب معالم الدين للشيخ الثميني، وكذلك بعض تفسير البيضاوي، وتفسير الكشاف للزمخشري، وهميان الزاد للشيخ اطفيش، ونال قسطاً من العلوم العربية مثل كتاب سعد الدين التفتازاني، وغير ذلك من الكتب التي أنفقت الروايات على

---

[25] محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 30–31 .

[26] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المطبعة التعاونية، 1965م ج1 ص 289 وما يليها؛ إبراهيم محمد الطلاي، مزاب بلد الكفاح، دار البعث، الجزائر، 1970م ص 38 وما يليها.

[27] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج1، المصدر السابق، ص99؛ محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 31.

[28] محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص 32 .

تدريس القطب لها [29]. وتذكر بعض المصادر أن الباروني أثناء تلك الزيارة كان ينعم بمعاملة حسنة من قبل الشيوخ ولا سيما الشيخ اطفيش الذي كان يضعه أثناء الدرس على يمينه، ويقدمه للقراءة ويكبر فيه تفوقه، ويخصه بما لا يخص غيره من زملائه وأنداده [30]، وذكرت بعض الروايات أن من تلاميذ القطب الذين كان يحبهم حباً جماً ، ويعتد بنبوغهم وصلاحهم ويرى لهم مستقبلاً زاهراً، وجدوى كبيرة للإسلام والمسلمين للشيخ سليمان بن عبد الله الباروني[31]. بل إن القطب كان يؤثر بعض تلاميذه ممن حسنت عندهم أدوات التلقي بدروس وإملاءات خاصة، ومن بين من كان يؤثرهم بعلومه وفهومه سليمان الباروني [32]، وقد أشار الباروني في كتابه الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، إلى هذه الرحلة العلمية، وإلى الإقامة المفيدة في وادي ميزاب، وأكد على أثرها وفعاليتها في نفسه، وأبان ما كان لشيخه اطفيش من دور كبير عليه، وما تركه في شخصيته من طوابع بارزة، ليس على حياته العقلية فحسب، بل على سلوكه في بغض الاستعمار ومناوأته[33]، وقد عنى في تلك الأثناء بقضية وطنه، وبمتابعة النوايا السيئة لدى الدوائر الاستعمارية، التي كانت تعمل على احتواء واستلاب طرابلس الغرب، وذلك في إحدى الصحف أن امتعاضه بدا واضحاً عندما احتلت فرنسا جزءاً من أراضي طرابلس دون أن يثير هذا التصرف أي رد فعل عند العثمانيين[34]، وبعد بذل الوسع من الباروني على هذا الإمام الذي تخرجت به طوائف من الأعلام في الجزائر وفي خارجها وبعد أن اطمأن شيخه لتحصيله وقوة عارضته. ولقدرته على تحمل الأمانة في الأداء والتبليغ أجازه ورشحه للمهام الجسام، وتنبأ له بمستقبل حافل بالأعمال قال الباروني: "ولقبني بما لا أتحمل حمله ، مما لم يجد به لغيري، وزودني من دعائه

---

[29] محمد علي دبوز، المرجع السابق ص 380؛ محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص 32.

[30] محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص 32.

[31] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج1 المرجع السابق، ص 380.

[32] مجلة ما وراء البحار، العدد 2، السنة الثامنة، نقلاً عن محمد مسعود جبران المصدر السابق، ص 32.

[33] محمد علي دبوز المرجع نفسه ص 380؛ محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص 33 .

[34] مجلة الشرق الحديثة، إيطاليا، سليمان الباروني، العدد 5 1941م؛ مجلة ما وراء البحار، إيطاليا، مشاركة سليمان الباروني في الحركة الليبية، لاورا فاليري، العدد 2 1934 ، نقلاً عن؛ محمد مسعود جبران؛ المصدر السابق ، ص 33.

الصالح وتوجهاته القلبية ما لم أزل أستمد منه الرشد والتوفيق، ولا أضام معه بإذن الله ما دمتُ حياً" [35] .

4 – علاقته بالدولة العثمانية من عام 1898 – 1905 م

وفي عام 1898م عاد من وادي ميزاب إلى الجزائر ومنها إلى تيهرت برفقة بعض أصحابه، وفي تيهرت وقف على الأطلال واستوقف واستعاد ماضي ملوك الدولة الرستمية، وما كان لهذه المدينة من تاريخ مجيد، ثم تحول مرة أخرى إلى الجزائر، ومنها ولّى جهته نحو وطنه، فكانت لهذه الزيارة كما يصفها لنا: "رنة أطبقت آفاق تلك الجهات وبنى عليها وعلى ما عطف عليها من الوسائل، حدث أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأهان وأكرم، وأذل وأعز، وأبعد وقرّب، وأسخط وأرضى"[36]، ويوجز لنا هذه الرحلة التالية من حياته أحد المصادر بقوله: "وكانت له آراء خاصة فيما يتعلق بسياسة الدولة العثمانية استوجبت نقمة الحكام العثمانيين عليه، حتى اضطهدوه في عهد السلطان عبد الحميد بكافة وسائل الاضطهاد من سجن ونفي وتشريد، فسافر إلى مصر ... وهناك شرع في مواصلة دعوته الوطنية وأصدر جريدة (الأسد الإسلامي) حتى امتدت أصابع النفوذ العثماني إلى هذه الجريدة فأمرت بمصادرة أعدادها وإيقاف صدروها"، ونبحث عن هذه الآراء الخاصة وعن قصة صدامه بالسلطة في الولاية واضطهادها له فنجد ما يعرفنا بها في شكوى حررها بعد سفره إلى مصر ووجهها إلى السلطان عبد الحميد [37]. ويبدو أنه عاد من رحلته الطويلة متحمساً وعازماً على العمل من أجل خير بلاده، ومستشعرا الخطر الأوربي، وكان في ذلك الوقت في أوج الشباب، وكان قد كتب لسكان منطقته يحثهم على الإقبال على التدريب العسكري الذي عمل نامق باشا على تعميمه، وذلك بعد انتهاء ولاية نامق، في أول عهد

---

[35] سليمان عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الأباضية، المطبعة التعاونية، القاهرة ، 1907 ، ط2، ص 302–303 .

[36] سليمان عبد الله الباروني، المصدر السابق، ص 301 وما يليها، الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا ،ج2، الفرجاني، طرابلس 1971م، ص 127 .

[37] رسالة من سليمان الباروني إلى السلطان عبد الحميد نقلاً عن زعيمة الباروني، صفحات خالدة، ج1، المصدر السابق، ص 85، مؤرخة في عام 1898م.

هاشم باشا ، فاصطدم بالسياسة الاستبدادية التي تمارسها الهيئة الحاكمة، وهو يذكر في أحاديثه لابنته أن السلطة قبضت على متاعه الذي أرسله قبل وصوله، ووجد فيه بعض أوراق ومكاتبات فسرت عباراتها بما شاءت وأولت المهم، منها كما أرادت فأوقف بمجرد وصوله في دائرة البوليس، ممنوع الاختلاط، وحقق معه.[38]

ويتضح من تلك الشكوه إنهُ تصادم مع المفتي وبعض كبار موظفي الولاية، حيث إنهُ كان قد إنتقد بعض أعمالهم فنقموا عليه وإتهموه بمعاداتهِ للسلطة، وإنهُ كان يعمل ضد امن الدولة العثمانية ولفائدة دولة أجنبية، وكان دليل الاهتمام ضدهُ مجموعة أوراق وجدت في حوزته[39]. كما أخذ عليه إنه تحدث عن إضطراب الأحوال في لواء الجبل وكتب لأحد أصدقائه ينتقد ضعف ثغور الدولة العثمانية التي دلت القرائن إنها مبتسمة في وجه فرنسا، ولم تتخذ أي إجراء إزاء الاعتداءات على الحدود الليبية، وإنه لا يعلم متى تصحو الدولة العثمانية من تلك الغفلة[40]

وينتهي التقرير إلى اتهامه بأنهُ تولى وقبل رئاسة جمعية فسادية تسعى لبث الأضاليل لإخراج جزء من المماليك المحروسة الشاهانية من تحت الطاعة وأن هذه الأعمال تعد من نوع الجناية التي ينطبق عليها حكم الفقرة الثانية من المادة (58) ويطالب المحقق اتخاذ قرار بوجوب محاكمته جنائياً وأن يصدر له مذكرة توقيف غير مؤقت[41] والتقرير كما هو واضح يكشف عن الافتعال في تفسير العبارات وتأويلها والتعسف في البحث عن القرائن وفي اتخاذ الإجراءات، وكذلك يكشف مدى انفراد السلطة في تعاملها مع الأفراد بالأخذ بالشبهات كما يكشف الاتهام الصريح الموجه ضده من قبل الحكومة العثمانية، وهو الذي ظل يدين بالولاء والطاعة طيلة حياته بالرغم من كونه كان مدركاً مدى الضعف والفساد الإداري الذي كانت عليه ، وكذلك مدى الأطماع والدسائس التي تضمرها الدول الكبرى لاقتطاع ممتلكاتها ، كما تدرك مدى فهمه وإدراكه السياسي للخطر الذي كان يهدد بلاده .

---

(38) أحمد صدقي الدجاني ، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي ، ط1 ، القاهرة ، 1971م ، ص410-411 .

(39) محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 34.

(40) احمد صدقي الدجاني وعبد السلام ادهم، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، ط1، بيروت، 1974 م، ص 156-158.

(41) أحمد صدقي الدجاني ، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي ، المرجع السابق ، ص 411 .

ومهما يكن من شيء فقد عملت الدسائس عملها فسجن في البداية مدة شهرين ونصف لاقى فيها ما لاقاه من الإهانة والمضايقة[42]، الأمر الذي أثار ثائرة أهله وسكان الجبل عموماً، وحمل السلطان على إطلاق سراحه بكفالة، فعاد إلى مسقط رأسه صحبة خمسين فارساً من أعيان سكان الجبل من الروحيبات ونفوسه وفساطو، بعد أن برأه مجلس الاستئناف بالأكثرية بإشارة من الوالي هاشم باشا عام 1900م، ولكن لم تمض على إطلاق سراحه هذا مدة طويلة، حتى جاء نقض البراءة من دائرة التمييز مع عزل أعضاء المحكمة الذين حكموا عليه بالعفو، فتم القبض عليه من جديد من قبل قائمقام فساطو أمحمد بك الأمير الشامي، الذي هول أمام الحاكمين والمحكومين الموقف وضخم أحداثه، حينما اصطحب للقبض على الباروني ما يقرب من مائة وثمانين عسكرياً ليوهم الوالي حافظ باشا بأنه عمل عملاً جليلاً [43].

ويبدو أن خصومه وعلى رأسهم قائمقام فساطو والمفتي وجماعته، وكانوا حريصين في هذه المرة على إنهاء أعماله ونشاطاته إنهاءً كاملاً، حيث أصدرت المحكمة بصورة فورية عاجلة حكمها بنفيه لمدة خمس سنوات، الأمر الذي أثار ثائرة القبائل والعشائر، حتى أخذت تهدد بالتمرد والحركة، فاضطرت نيابة الآستانة العامة إلى إعادة النظر في الحكم بإبقائه مدة سنة يقضيها مع المحكوم عليهم بالنفي، ثم أطلق سراحه وأفرج عنه بكفالة بشرط أن لا تتعدى تحركاته أسوار المدينة، وأن يظل ملحوظاً بمراقبة الضابطة [44]، وقد سعى الوفد المكلف بالذهاب إلى دار الخلافة لتقديم الولاء للخليفة العثماني عبد الحميد الثاني، وللتباحث في شؤون ولاية طرابلس فرصة قرب وجوده من الدوائر الرسمية في الآستانة فأثار قضية الباروني، وطلب العفو عنه والقضاء ببراءته فوفق في سعيه وأجيبت دعوته.[45]

---

(42) أحمد صدقي الدجاني، وعبد السلام أدهم، المرجع نفسه، ص 158 .

(43) زعيمة الباروني، صفحات خالدة، ج1، المصدر السابق، ص 59؛ محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 35.

(44) زعيمة الباروني، المصدر نفسه، ص 60 .

(45) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة أجريت مع يونس عمر عبازة، شريط رقم 77-78 المنطقة 6، 1978/11/13م، طرابلس ليبيا.

لقد فتحت البراءة الثانية، المتمثلة في العفو السلطاني عام 1902م طرائق جديدة لأعماله وطموحاته وتوجهت بفكره إلى أساليب أخرى من العمل والإصلاح، فجدد مع مواطنيه مسجد جادو، وشيد مع والده المدرسة البارونية في يفرن، ودعا المتصرف ورجال الحكومة والعلماء والأعيان لافتتاحها.

وسرعان ما ضمت ما يقارب المائة تلميذ من تلاميذ القرآن، وكان ذلك في عام 1904م وكان حريصاً على أن يسجل في المناسبات المتعاقبة آيات وده، ودلائل تعلقه بالرابطة العثمانية والإشادة بأعمالها، ولا سيما مدح السلطان عبد الحميد الثاني والولاة والمسئولين، فنعم بقليل من الأمن، الأمر الذي هيأ له فرصة للتدريس، والوعظ، والإرشاد، وتحقيق مسائل كتابة الأزهار الرياضية، غير أن السياسة الاستبدادية ورجالها، كانوا له بالمرصاد فشككوا في نشاطه ونسبوا تحركه لمقاصد سيئة لأنه بزعمهم عدو للدولة، كما وقفوا في وجه تعيين والده مفتياً لفساطو وكذلك في وجه تعيين أخيه باعتبارهما على صلة وثيقة به وضيق عليه هؤلاء الخناق، فكانوا يراقبون تحركاته ويفتحون بريده حتى ضاق بهم، فقرر السفر، لأنه أيقن بأنهم هذه المرة يسعون إلى الإيقاع به واتهامه بتهمة لا يمكنه أن ينال بعدها عفواً، فطلب الإذن بالسفر، ووفق في طلبه، رغم المحاولات التي قام بها رجال السياسة الاستبدادية لمنعه من السفر ولكن رجب باشا (والي طرابلس الجديد) لم يستجيب لهم ومنحه تذكرة للمرور.[46]

وتشير بعض المراجع إلى أن الوالي رجب باشا، تلقى أمراً بإرسال سليمان الباروني إلى الآستانة، إلا أن هذا الوالي كانت تربطه به علاقة مودة قوية، فنصحه بمغادرة طرابلس، وبالتوجه إلى مصر أو تونس، فسافر في نهاية عام 1905م إلى مصر.[47]

مما تقدم يتضح لنا أن سليمان الباروني العربي الأصل والعثماني الميول قد مر بالعديد من المراحل الهامة في حياته سواء من الناحية الثقافية أو السياسية والتي أعطته خبرة واسعة استفاد منها كثيراً في رؤية الأمور فيما بعد ولا سيما المحن الكثيرة التي واجهها في ولايته طرابلس

---

(46) أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص 414-415؛ محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 36.

(47) مجلة ما وراء البحار، العدد الثاني، السنة الثانية، 1934م، نقلا عن محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 36.

الغرب، بسبب السياسة الاستبدادية للدولة العثمانية الحاكمة، التي ضيقت الخناق عليه واضطرته إلى السفر خارج ليبيا لمواصلة نشاطاته السياسية والثقافية من هناك.

الـــفـصـــل الـــثـانـــي

نشاطاته السياسية إلى الغزو الايطالي لليبيا

عام 1906–1911م

أولاً: نشاطه السياسي في مصر من عام 1906–1907م.

1 – تأسيسه لمطبعة الأزهار البارونية عام 1906م.

2 – تأسيسه لجريدة الأسد الإسلامي عام 1907م.

ثانياً: نشاطه السياسي في ليبيا من عام 1908–1910م.

1 – جهوده الوطنية في مجلس المبعوثان العثماني 1908م.

2 – الموقف الوطني من الغزو عام 1909م.

3 – دوره في تجنيد الأهالي عام 1910م.

ثالثاً: الغزو الايطالي لليبيا عام 1911م.

1 – موقفه من الغزو الايطالي لطرابلس الغرب.

2 – بداية المقاومة المسلحة ضد الايطاليين.

1 – نشاطه السياسي في مصر من عام 1906–1907

أ – تأسيسه لمطبعة الأزهار البارونية عام 1906م

لقد سافر إلى مصر للإقامة فيها عن طريق البحر، فنزل الإسكندرية ومنها انتقل إلى القاهرة وكان له بها سابق معرفة وإقامة وسرعان ما انخرط في الجو العلمي فيها فحضر المجالس العلمية والمجتمعات الشهيرة والأندية العمومية وكانت القاهرة في ذلك الوقت تموج بحركة اليقظة الحديثة، وباشر نشاطه العلمي وكان أول أعماله في هذا المجال انه طبع نشر ديوان شعر الحضرمي "الذي مضى عليه نحو ثمانمائة عام والذي تغلب عليه طابع الدعوة إلى الجهاد [48]. وقد وصل الديوان المطبوع إلى طرابلس فأثار نقمة رجال الهيئة الحاكمة، فتوعدوا بتأديبه حين عودته "تأديباً يفوق التأديب الأول" وكان أحدهم قد حذره حين غادر بألا ينشط في مجال الكتب وهدده بألا يستصحب معه كتاباً كتلك التي أحضرها معه من الجزائر، وقرر البقاء بمصر حتى يتبدد ظلام الاستبداد الحميدي المحبط بطرابلس وكان أول ما فعله بأن سجل شكواه مما لقيه للسلطان عبد الحميد نفسه، وأرفق الشكوى بديوان الحضرمي قائلاً عنه: "وهو جدير بأن ينشر في مثل عسكرك الباسل المظفر ليزدادوا رشادة وحماسة"[49]. وقد تضمنت الشكوى نقداً عنيفاً للسياسة الاستبدادية وإنذاراً للسلطات بتوقيع عواقبها الوخيمة، وهي تكشف عن مدى قوة وصلابة نفسيته، وتشير إلى فكره الحر ومدى حبه لوطنه واضطراره للبعد عنه، وذلك حينما قال: "لأني أفضل السياحة في بلاد الله تاركاً وطني وأهلي وولدي متحملاً مشقة التغرب وإتلاف المال على الرجوع إلى بلد لا تراعى فيها ذمة في جانب مصلحة دولتك (مخاطباً السلطان) ولا يسعى فيها إلا وراء الفوائد الشخصية حتى أتهم بما لا يأذن به الله ولا رسله".[50]

وكان قد بلور قراره عند مغادرته طرابلس عازماً على متابعة جهاده من مصر إلى أن تنحسر الغمة في طرابلس، وأشار إلى ذلك في أوراقه ونظم قصيدة وداع لوطنه وقال: "قلت هذه القصيدة وداعاً للوطن العزيز، طرابلس الغرب، لما سافرت منها إلى مصر عام 1905م،

---

(48) زعيمة البارونية، صفحات خالدة ج1، المصدر السابق ص 63.

(49) زعيمة البارونية، المصدر نفسه، ص 63.

(50) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

للسياحة وقضاء بعض مآرب، وفي العزم أن لا أعود إلا إذا تبدلت حالتها إلى أحسن مما هي عليه بحيث تمكن لي الإقامة فيها مع حرية النفس" [51]، وفي مصر أسس مطبعة عام 1906م أسماها مطبعة الأزهار البارونية وكان افتتاح العمل فيها بكتاب الأزهار الرياضية الذي سميت باسمه.[52]

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب الذي ينقسم إلى ثلاثة أجزاء كان من أوائل النثرية التأليفية في ليبيا، وهو يعد مصدراً هاماً من مصادر التاريخ لمدينة تيهرت الجزائرية وعلمائها وساستها، كما يعد بالرغم من تلف الجزء الأول والثالث منه نموذجاً لجهود الكاتب وثقافته، ولحسه التاريخي وتصدق على فصوله الكثيرة، بل على مؤلفه شهادة الأستاذ عبد العزيز الثعالبي "إنه أوسع علماً فوق ما كنا نظن عليه الشيخ سليمان الباروني"[53] أيضاً تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب كان قد رشحه عام 1923م للحصول على شهادة الأكاديمية الفرنسية، قسم التاريخ والجغرافيا في جامعة السربون .[54]

ويرجع تأليف هذا الكتاب إلى ثلاث عوامل رئيسية، هي التي حملت مؤلفه على التأليف.[55]

1- العامل الأول: أنه كان يسمع عن أحوال هذه المدينة ، وأعلامها في السياسة والعلم ، والدين وتكونت عنده صورة مبدئية من شيخه العلامة محمد بن يوسف اطفيش فأحب أن يكون صورة تامة واسعة وفكرة موضوعية شاملة عن هذه المدينة العريقة ليس عن طريق المشاهد الحسية، التي استأذن شيخه في أن يسمح له بالقيام بها عام 1898م كما جاء في كتاب الأزهار بل عن طريق المعرفة العلمية الاستقرائية، عن طريق المصادر لإكمال معرفته التي حصلت بالسماع، والسعي لتعريف الناس بها.

---

(51) زعيمة الباروني، صفحات خالدة ج1، المصدر السابق ص 63.

(52) علي مصطفى المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا، ج1، طرابلس، 1956م، ص 70-95.

(53) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1، المصدر السابق، ص 84.

(54) توجد هذه الشهادة ضمن تحف المتحف الإسلامي بطرابلس الغرب، انظر زعيمة الباروني، سليمان الباروني، تعريف موجز، المصدر السابق، ص 17.

(55) محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 348- 349.

2- العامل الثاني: كما ورد منه أن سبب تأليفه لهذا الكتاب، هو إظهار فضل هذه المدينة "تيهرت ورجالها وملوكها" حتى يعلم ذلك الذي جهل الأباضية لقلة بضاعته في العلم، وعدم إطلاعه حتى قال ما قال.

ويظهر من خلال هذا التعليل، أن شخصاً من ذوي اللجاجة أنكر عليه تفكيره في زيارة تلك المدينة التي صارت أطلالاً، وانتقص مكانتها ودورها، فكان يحجوه سبباً في النهوض لإظهار هذا الكتاب.

3- العامل الثالث: سعيه وراء القيادة، وغلبة طموحاته بعد أن لقبه شيخه يوسف اطفيش بألقاب كثيرة، وله على أن من أسباب نجاحه ، نشر تاريخ أسلافه وأمجاد قومه، ليأتسى بصلاحهم وعدلهم واستقامتهم وليبصر الناس من معاصريه، بأشكال التعاضد والمعونة والمناصرة.

أما عن أهداف تأسيس المطبعة "أن تكون خادمة الدين ناشرة للآداب وكل ما فيه نفع وإرشاد الأمة والهيئة الاجتماعية مترقية في درج التقدم"[56] وكان تأسيسها الخطوة الأولى لإصدار جريدة اسماها "الأسد الإسلامي" فإذا نظرنا إلى أفكاره خلال تلك المرحلة من حياته نجد أن الفكرة التي سيطرت عليه الفكرة اليقظة وهي الفكرة التي سيطرت على الطلائع العربية آنذاك كاستجابة للتحدي الغربي ولفساد الحكم العثماني وقد تبلورت الفكرة عنده في فترة شبابه المبكر من خلال احتكاكه بتيارات الفكر السائدة وتعرفه على الحضارة الأوربية، فأصبحت "اليقظة" عنده تعني الرقي والتقدم العلمي وبناء مجتمع يحترم الفرد ويوفر له الأمن.[57]

استهدف تحقيق هذه اليقظة حين عاد إلى طرابلس من سفره الأول، وبقي هذا الهدف قائماً أمامه حين أضطر لمغادرتها، وقد سيطرت فكرتها على قصيدته التي ودع فيها طرابلس في نهاية عام 1905م، والتي تضمنت تصوره لمظاهر اليقظة فهو يودع دياره ويرجو أن يعود إليها في أيام أفضل تكون الحضارة فيها قد عمت، كما طالب مواطنيه بتحقيق هذه اليقظة، وان ينهضوا ويستفيقوا مما هم فيه، وفي ذلك يقول:

---

[56] زعيمة الباروني، صفحات خالدة ج1، المصدر السابق ص 40.

[57] فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، (بيروت، 1913م) ج4، ص 188.

ألا يا قوم قد نمتم طويلاً وهمتم بالجهالة في البراري
فهل من يقظة تشفي غليلاً وتمحوا ما استوى من حس عارٍ

فهموا واصدقوا فالصدق فيكم عريق واحفظوا حق الديار
وإلا فالوداع وكل قطر به الإسلام يصلح القرار [58]

إن خطابه لقومه في تلك الأبيات من القصيدة يذكرنا بنداء اليازجي قبل ذلك حين قال:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمأ الخطب حتى غاصت الركب
الله أكبر ما هذا المنام وقد شكاكم المهد واشتقتكم الترب [59]

وقد ركزت قصيدته على معاني الحضارة بشكل واضح ولم يظهر فيها روح العداء للعثمانيين، ويلاحظ أنه انطلق في حديثه عن مضمون الشعار الذي رفعه الإمام محمد عبده حين كان يردد الآية الكريمة "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[60] ولم يهاجم بشكل مباشر الحكم العثماني، كما ترسم لنا القصيدة الآمال التي كان يرجوها لوطنه من ظهور المستحدثات الحضارية، مثل الخط الحديدي، ونور الكهرباء، والهواتف، وانتشار الصحافة، وازدهار الصناعة إلى آخر هذه المظاهر، وهو لا يخفي ضيقه بالمسلمين الخاملين عامة، وبأهل بلده الذين عاشوا الجد والمخاطرة، وخيم عليهم الجمود، وحاق بهم الضعف.[61]

لقد شهدت الفترة التي حل فيها بمصر حركة نشيطة مؤثرة، وظهور جمعيات شبه سرية للجامعة الإسلامية مثل جمعية "شمس الإسلام، وجمعية مكارم الأخلاق، التي قدرت عضويتها بالآلاف، كما شهدت نمو الأحزاب وتفاعلها من أجل قضية مصر، وقد كان من أبرز هذه الأحزاب وأرفعها في ذلك الصراع "الحزب الوطني، الذي تحددت مبادئه في مقاومة

---

(58) أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 418.

(59) هو إبراهيم ناصيف اليازجي، من أوائل الدعاة إلى اليقظة العربية، وهو لبناني الأصل، أحمد صدقي الدجاني، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(60) سورة الرعد الآية الكريمة رقم (11).

(61) أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص 419، محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 93.

الاحتلال، والالتفاف حول الرابطة العثمانية والخليفة، وكان له صلات مع جمعية شمس الإسلام التي كانت تدار من القسطنطينية، ومع جمعية مكارم الأخلاق حتى اتهم هذا الحزب، بأنه فرع من الدعوة إلى الجامعة الإسلامية .[62]

اتصل سليمان الباروني بهذا الصراع، ووقف عن قرب من حركة الأحزاب السياسية التي كان يدار بعضها من دول أجنبية ومن جهات مشبوهة، فوجد أقرب الدعوات إلى نفسه، مبادئ الحزب الوطني الذي كان يرأسه الزعيم الشاب مصطفى كامل فانتمى إليه، وعقد علاقات صداقة مع أعضائه ورجاله البارزين، وتأثر بنظراته وتقلباته في السياسة[63] كذلك تأثر بحركة الإصلاح الديني وبخاصة دعوة الشيخ محمد عبده الذي لم يمض على وفاته عام عند حلوله بمصر، حيث وصف الباروني "بالعالم المنصف" ولم يقف تفاعله مع تلك النهضة الفكرية عند هذا الحد وإنما مضى أشواطاً أخرى أبان فيها عن حيويته ومضاء عزمه وحبه للثقافة والعلم، فطبع ضمن دائرة بعث التراث وإحيائه التي كانت من أبرز الجهود التي توجهت إليها همم المصلحين والكتاب والأدباء كتاب والده "سلم العامة والمبتدئين" ودعمه بشروح وجيزة[64]، وقد قام بطبع العديد من الكتب في مطبعته البارونية مثل ديوان السيف النقاد للحضرمي وكان معجباً بفنه الشعري، وكتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة لشيخه محمد اطفيش، وكتاب الأمالي والذيل والنوادر للبغدادي وكذلك طبع الجزء الثاني من كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية[65] وأشار المؤرخ الجزائري إلى أن الأجزاء السبعة من كتاب النيل للشيخ اطفيش، طبعت أيضاً بمطبعة الباروني.[66]

وقد كتب مقالاً طويلاً عن الجامعة الإسلامية في جريدته، وقام قبل ذلك بتوجيه سبعة أسئلة في هذا الموضوع إلى "معتبري هداة الأمة علماء وأدباء الفرق الإسلامي" وطالبهم بالجواب خدمة للجامعة والدين وهي:

1 – هل توافقون على أن من أقوى أسباب تفرق المسلمين تعدد المذاهب وتباينها؟

---

(62) محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص37 .

(63) محمد مسعود جبران، المصدر نفسه ص 38.

(64) عبد الله يحي الباروني، سلم العامة والمبتدئين، مطبعة النجاح، القاهرة، 1906م، ص 46.

(65) زعيمة الباروني، صفحات خالدة ج1، المصدر السابق ص 49 وما يليها.

(66) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، المصدر السابق ص 317.

2 – على فرض الموافقة فهل يمكن توحيدها بالجمع بين أقوالها المتباينة وإلغاء التعدد في هذا الزمن الذي نحن فيه أحوج إلى الإتحاد من كل شيء؟

3 – على فرض عدم الموافقة على ذلك فما هو الأمر الآخر الموجب للتفرق؟

4 – على فرض عدم إمكان التوحيد ، فما الأمر القوي المانع منه في نظركم. وهل لإزالته من وجه؟

5 – على فرض إمكان التوحيد، فأي طريق يسهل الحصول على النتيجة المطلوبة، وأي بلد يليق فيه إبراز هذا الأمر وفي كم سنة ينتج، وكم يلزم له من المال تقريباً، وكيف يكون ترتيب العمل فيه؟

6 – وعلى كل حال فما الحكم في الساعي في هذا الأمر شرعاً وسياسة (مصلح أم مفسد)؟

7 – ما الدليل القاطع على منع الصور التي لا ظل لها مما يرسم على الورق من صور الملوك والجيوش مثلاً لمقصد حسن؟ [67]

إن تلك الأسئلة الجادة التي كتبها إلى مفكري الأمة وعلمائها عقب نشر مقالة عن الجامعة الإسلامية، يدلنا على امتلاء سريرته بفكرة توحيد المسلمين وتوحيد المذاهب لمقاومة ما يراد بالإسلام وطموحه وسعيه الجاد في الإصلاح ورغبته في أن تتظافر الجهود ممن يعتمد على أقوالهم في رفع راية الإسلام والمسلمين.

ب– تأسيسه لجريدة الأسد الإسلامي في عام 1907م :

يعد من الأوائل في العالم الإسلامي، الذين تنبهوا لأهمية الإعلام والصحافة في التأثير وتوصيل الأفكار والآراء، وتبليغ الناس بالأحداث الجارية والحقائق السياسية والدينية والتاريخية، بل إنه نظر إلى الصحافة نظرة تجاوزت قيمتها الآنية، المتمثلة في تأثيرها الوقتي إبان صدورها، إلى الاعتقاد بقيمتها الدائمة القارة وأهميتها الباقية التي تفيد منها الأجيال اللاحقة ومن أقواله الدالة على ذلك:

---

[67] أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 421– 422، محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 39–40.

"إن الصحافة بمثابة خزانة، تحفظ فيها حوادث زمانها للأجيال المقبلة إلى أخر الدهر ومهما طال مرور الزمن عليها، غلت قيمتها، وأصبحت مرجعاً للمؤلفين والمؤرخين، يعتمدون على ما فيها من الأخبار، كأنها متلقاة من أفواه أمناء صادقين".[68]

ولقد حضيت الصحافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعناية كبيرة في أقطار العروبة والإسلام، فكثرت الصحف، وانتشرت الجرائد، وانخرط في تحريرها كبار المصلحين والكتاب والأدباء والسياسيين ، الذين تغيرت نظرتهم إلى الصحافة واتخذوها معرضاً لطرح دعواتهم، وشرح وجهات نظرهم، الأمر الذي برزت به، مختلفة في أهدافها وغاياتها ومن المعروف أن البارودي تقلب في بيئات مختلفة في الشرق والغرب، وأنه أطلع منذ كان طالباً في تونس ومصر والجزائر، على تلك الحركة الصحفية النشيطة ووقف على جدواها وفائدتها، كما أعجب ببعض كتابها من مشاهير الأدباء والسياسيين، فحفزه ذلك أن يكون له إسهام في تلك الحركة يظهر به ما يعتمل في نفسه من فكرة وإصلاح، ولم تكن الظروف السياسية في الفترة التي عاد فيها إلى بلاده عام 1898م، كما أسلفنا في الفصل الأول تسمح له بالتفكير في إنشاء ما كان يطمح إليه لذلك زاد اهتمامه زمن إقامته في مصر (1906- 1908م) الذي انتشرت فيه الصحافة، وأعطيت الحريات إلى حد بعيد فأنشأ في عام 1907م جريدة اسماها (الأسد الإسلامي) ليجاري بها ذلك التيار الفكري والمسار الإعلامي والصحفي من جهة يسخرها أداة فعالة في التعبير عن وجهته السياسية وفي الدفاع عن عقيدته من جهة أخرى.[69]

تنطلق فكرته عن عالم الصحافة من منطلق موضوعي واقعي حيث يرى أن لكل زمان أساليبه في التبليغ والأداء، وإذا جاز في القديم على الاقتصار على منابر المساجد وحلقات الوعظ والأساليب الفردية في التوجيه ،فإنه لا يجوز بحال الاكتفاء بذلك في عصر ازدهر فيه الإعلام وتوسعت الصحافة وبلغ من تأثيرها في الحياة العامة ما لا يسع العاقل إنكاره، ويتحدث عن هذا المظهر الفكري الجديد فيصفه بأنه: "منه من مبدع الكون ومد بره الذي

---

(2) محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص283، علي مصطفى المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا، المرجع السابق، ص91-95، أبو القاسم البارودي، حياة سليمان باشا البارودي زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ط2، طرابلس، 1948م، ص125

(69) محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص284.

سخر لهذا العالم الجديد في طبعه ، عالماً جديداً من نفسه، يرشده بهدية وهو عالم الصحافة، فكان أول نشأته غير منظور إليه بعين الإجلال والاحترام استخفافاً بمهنته وجهلاً بنتيجته، شأن كل حديث لم يعلم ما وراء وجوده من الحوادث.[70]

ويمضي في بيان فكرته عن الصحافة، وعن دواعي إعجابه بفعاليتها، لأنه مع استقرار الأحوال، وظهور الانتفاع منها شيئاً فشيئاً، تنبه العالم إلى أهمية الصحافة التي أصبحت تعبر عن الآراء بحيث يمكن للفرد الواحد أن يلقي أفكاره وآراءه، وهو في أقصى الشرق على أقوام لا يعرفهم ولا يمكنه الاجتماع بهم في أقصى الغرب، وذلك بفضل جريدة ينشرها فيقوم كل عدد منها مقام مئات وآلاف من الراشدين يؤثر أضعاف ما يؤثره لو خاطبهم بلسانه، ولذا أحلت الدول مسلك الصحافة محل الاعتبار وجعلتها دليلها الخبير في أعمالها، ومنحتها الحرية وأوسعت لها المجال في الرد والانتقاد.[71]

وتلك النظرة المصيبة هي التي حملته على إنشاء جريدته الأسد الإسلامي 1907م رغم انتقاد المنتقدين وهي نفسها التي توجهت به إلى إنشاء جريدة أخرى فيما بعد اسماها (الباروني).[72]

ويبدو أنه لم يكتب للأخيرة طول العمر وقد أشارت ابنته إلى أن هذه الجريدة كانت تطبع في البيت وتوزع باليد ويسهر عليها هو وجماعة من زملاء الجهاد وذكرت أنها رأت نسخة منها وقد مسحتها الرقابة التي لم تبق إلا على العنوان.[73]

وقد زاد اهتمامه بها فاتخذها منبراً لنشر مقالاته ومساجلاته وأفاد منها في مختلف أطوار حياته لبيان آرائه وتصوراته وردوده كما حفزه الاهتمام بها وإدراكه لدورها الإيجابي إلى إقناع بعض رفاقه وأصدقائه بإصدار وتأسيس الصحف والجرائد، وندب رفاقه إلى الإسهام في المشاركة الكتابية والتحرير في الصحافة.

---

(70) الأسد الإسلامي، العدد الأول، نقلا عن كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة ج1، المصدر السابق ص 11.

(71) الأسد الإسلامي، العدد الأول، نقلا عن كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة ج1، المصدر السابق، ص 11.

(72) أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص23.

(73) زعيمة الباروني، تعريف موجز، المصدر السابق، ص 15.

وجريدة الأسد الإسلامي، جريدة سياسية أدبية أسبوعية، وصفها للبعض بقوله: "وجريدة كانت ذات أربع صفحات فساح عراض كل صفحة ملؤها خمسة أنهر من الكلام المتدفق الرقراق فهو كاتب مسترسل ... حرر جريدته بأسلوب سهل بعيد عن التكلف ... وسطر مقالاتها ببيان واضح ولم يلجأ إلى الزخرفة والهلهلة".[74] ويصفها آخرون بأنها "جريدة إسلامية عالية الروح، وطنية المبدأ أنشأها بمصر باسم الأسد الإسلامي في عام 1907م، وكان يطبعها بمطبعة البارونية، فنالها ما ينال الجرائد الوطنية الحرة من الإرهاق والتضييق والتعطيل، ولم يصدر منها إلا ثلاثة أعداد فقط.[75]

لقد تركزت كتاباته في جريدته على قضية اليقظة، فبحث في أسباب تأخر المسلمين، وحاول أن يحدد سبيل التقدم، وتبني فكرة الجامعة الإسلامية التي اقترن اسمها في ذلك الوقت بفكرة اليقظة، وكانت اهتماماته الرئيسية، ومما قاله في مستهلها: "بحمدك اللهم يزأر الأسد ويستوهب المدد يتوحد العدد ... ويرفع لواء الاستقامة مؤيداً لدعائم السلامة مرشداً إلى منبر المعارف الكافية منيراً نبراسه الحاضرة والبادية"[76] ويلاحظ أن ألفاظ اللواء والمؤيد والمرشد ... الخ، أسماء جرائد كانت تظهر في القاهرة في ذلك الوقت الأمر الذي يشير إلى تأثره بها.

وتعرضت الافتتاحية لدور الدين في التقدم ولأسباب تأخر المسلمين فقد كان الإرشاد كما جاء فيها: "في زمن انقياد أفراد الأمة بطبيعتها وبسيطرة الحق لقوانين الشرع الشريف ووقوفهم عند حد مناهيه ... ثم لما دارت الأيام بدوران الدهر وتغيرت الطبائع باختلاط أصناف البشر وقع التساهل في أثر الدين وانحلت عرى الاتحاد وساد الانشقاق وفشي الاستبداد"[77]

كما أوضحت الافتتاحية خطة الأسد وهي خطة سكون واعتدال كغيره من الجرائد المسالمة وإن خالفت ذلك ما يتبادر مما يرمي إليه ظاهر عبارة العنوان، ببذل النصح لأمة الإسلام ويدلها على ما يعود عليها بالنفع العاجل والآجل والتقدم في مباراة الأمم الحية،

---

(74) علي مصطفى المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، مطابع الكشاف، بيروت، 1960م، ص 121-122.

(75) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص 83.

(76) الأسد الإسلامي، العدد الأول، نقلا عن كتاب زعيمة البارونى، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 12.

(77) الأسد الإسلامي، المصدر السابق، ص 12.

وكذلك يوجه العناية التامة إلى البحث عن كل ما يراه صالحاً لشئون الدولة الإسلامية العظمى في الولايات ولا سيما الولاية الطرابلسية أداء لحق الوطن إذ كانت متأخرة عن جاراتها مصر وتونس في المعارف والعمران خالية من اغلب دواعي التقدم من مخترعات هذا العصر الجديد، عصر الحركة والتطور.[78]

ويتضح من خطته تبنيه لفكرة الجامعة الإسلامية بما عنته من توحيد كلمة المسلمين في مواجهة الخطر الأوربي، كما يتضح منها اهتمامه الخاص بموطنه طرابلس الغرب، وكذلك لم يطرح أو يهمل في أسلوب جريدته الأسد الإسلامي بل في معالجته للفنون الصحفية بعامة، أو بعبارة أوضح مسألة الموضوعات والمحتويات التي يريد طرحها وتناولها الصحافة وطريقة الأداء والتعبير، لاقتناعه بأن ذلك الأسلوب المقيد بالزخارف وغموض الألفاظ، والمثقل بالمحسنات البديعية، لا يحسن بالصحافة وقد أبان عن هذا المشرب الكتابي الذي يتوازى فيه الشكل والمضمون في افتتاحية الأسد حيث قال: "عزمت على تحريره بكيفية سهلة المآخذ، تناسب المقام، فلا علينا أن لم نتفنن في الأساليب البلاغية، ولم نأت من الألفاظ اللغوية بما يعجز العالم فضلاً عن الجاهل وتعليمنا أنفسنا أساليب التحرير وكانت الفائدة المقصودة ضائعة وهي إرشاد العامة نعم فنستعمل في ذلك طريقاً يدرب المشتركين شيئاً فشيئاً على التدرج حتى يألفوا الأمر"[79]

وخير مثال يجسد لنا وفاءه لهذه القضية والتزامه بها في جريدته مقاله المنشور تحت عنوان (الجامعة الإسلامية وأوروبا والمذاهب في الإسلام).[80]

وخلاصة كلامه فيه أن ذكر الجامعة الإسلامية شاع في الجرائد العربية والإفرنجية، وملأ الدنيا في أوائل هذا القرن، حتى حرك سواكن أوروبا المستعمرة، التي اهتزت له لتجاوزها الحد في ظلمها للمسلمين، ونهب خيراتهم، وبالرغم من تسليم الباروني بمدلول الجامعة الإسلامية واعترافه بقوته إذا تجسد بصدق وإخلاص في عالم الصراع السياسي والديني، فإنه لا يسلم في مقاله، بأنه طبق في القديم بعد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تطبيقاً سليماً، أو عمل

---

(78) أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 419-420 الأسد الإسلامي، المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(79) الأسد الإسلامي، المصدر السابق ص 12.

(80) الأسد الإسلامي، المصدر نفسه ص 22.

بمقتضاه بعد ذلك العهد، بما يمزق شمل صفوف أعداء الدين ويعلل الكاتب لذلك بقوله: "ذلك لأن المسلمين الآن فضلاً عن كثرة شعوبهم وقبائلهم، واختلاف مشاربهم ومنافعهم لمواقع بلادهم ساد فيهم أمران عظيمان هما أساس كل افتراق ومبعث كل شقاق بينهم:

1- نشأت فيهم مذاهب، وفشت فيهم فرق وطرق الطوائف بني أساسها المتين على مباديء التفرق وأساطين الاختلاف والتباين، وصار كل حزب بما لديهم فرحين يدعي أنه على حق.

2- تأسست منهم إمارات، ظهر فيهم ملوك ذاقوا منذ عهد بعيد حلاوة الاستقلال ولذة بذخ الملك، وألفوا التفرد بالحكم، والتباهي باللقب[81].

ثم يتساءل سليمان الباروني هل في الإمكان مع هذين الأمرين أن يتنازل الأمير أو الملك المستقيل منهم بمكانه ومذهبه عن مكانه لغيره، ممن لا قرابة ولا عاطفة ولا مودة بينهما، بل لا معرفة إلا بالسماع، فيحرم نفسه نعيم ذلك العز الشامخ والملك الباذخ في نظره، ويصم أذنيه عن سماع رنة ذلك اللفظ الجليل واللقب العظيم (الملك أو الأمير)[82] ثم يمضي توضيح وتأكيد العلتين من ظهور الجامعة الإسلامية، فبين في فقرات تالية بعد كشف الفساد المنجد عن الحاكمين، الفساد الناشئ عن تعدد المذاهب الكثيرة المتناحرة في ذلك التاريخ ويستغرب استمرار ذلك الخلاف والسكوت عليه وكأنه شيء يوجبه الدين، أو يفرضه رب العالمين.[83]

ويحرص في مقاله هذا مع تأكيده على السبب السياسي المانع لظهور الجامعة الإسلامية المتمثل فيما كان يجري بين أمراء جزيرة العرب واليمن والغرب، وبين الدولة العثمانية، على أن الباعث الأساسي لإخفاق نجاح فكرة الجامعة الإسلامية يتجسد فيما اسماه تعدد المذاهب الإسلامية حيث يقول: "فأساس التفرق في المسلمين تعدد المذاهب واختلافهم بهذه الدرجة، نقمة على الدين لا رحمة كما يقال، ولا يمكننا والحالة هذه، الاستشهاد بقوله عليه السلام:

---

(81) الأسد الإسلامي، المصدر نفسه، ص 22.

(82) الأسد الإسلامي، المصدر السابق، ص 23-24.

(83) المصدر نفسه ص 26.

"المؤمنين كالبنيان ... الخ"[84] لأنه لا يصدق علينا والذي يصدق علينا هو قوله تعالى: "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ".[85]

فكيف تكون الجامعة مع هذا، وكيف يمكن الاتحاد، فلترح أوربا نفسها من هذا الشغل الشاغل ولتطلق العنان لرعاياها المسلمين في حرية القول والعمل كغيرهم، ولتعاملهم بالرفق واللين مع المحافظة على شعائرهم المحترمة، حتى يحمدوا سيرتها، فلا ينالها منهم مكروه، ولن يتفقوا مادام هذا الداء.[86]

والحقيقة أن المذاهب إن تعددت وتناحرت وتعصب أتباعها وتحاربوا واتخذوا التعصب المقيت مقياساً للحق المطلق، كان ذلك من مزالق الإفهام والإقدام على حد سواء، وهذا ما أوصلنا إلى ما نحن عليه الآن من الانقسامات التي طالت حتى الأجزاء المقسمة من وطننا العربي، وخير مثل على ذلك ما يحدث تواً في العراق العربية من تقسيمات تحت اسم الديمقراطية التي لا معنى لها عند الغرب، اللهم إلا في تغذية تلك التقسيمات التي تخدم مصالحها الاستعمارية وللأسف على مشهد ومرأى من العالم أجمع[87]

ومن مظاهر نشاطاته في هذه المرحلة من حياته في مصر، رده الصريح على اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر حيث ألف هذا الأخير كتاباً" جرد فيه نبينا عليه السلام من جميع ألقاب التعظيم والاحترام"[88] فقد اقترح على أرباب الغيرة والحزم إنشاء حزب للدفاع عن الدين، مصدق عليه من أمير البلاد، مؤلف من علماء وسياسيين من كافة الطوائف ليكون جامعاً تام الاستعداد، تكون مهمته على الدوام القيام بالدفاع عن مثل هذا الحادث المتعلق بالإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.[89]

وقد حدد أعمال هذا الحزب "الدفاع عن الدين" الذي دعا إلى تأسيسه في أمرين هما:

---

(84) محمد مسعود جبران، سليمان الباروني، آثاره، المصدر السابق، ص292-293.

(85) سورة الحشر، الآية الكريمة رقم "14".

(86) الأسد الإسلامي، المصدر نفسه، ص 27.

(87) نجم الدين غالب الكيب، في الأدب والنقد، مطابع الثورة العربية، طرابلس، د.ت، ص 102.

(88) الأسد الإسلامي، المصدر السابق ص 39؛ محمد مسعود جبران، مساجلات سليمان الباروني وردوده الصحفية، مجلة الشهيد، العدد العاشر، أكتوبر 1989م، ص 29-30.

(89) الأسد الإسلامي، العدد الثاني، المصدر السابق، ص 43.

1- مطالبة حكام العالم الإسلامي بمحاربة البدع والخرافات في بلدانهم، ودعوة المسلمين إلى الإسلام كما شرعه الله، لكي لا يجد المغرضون سبيل للطعن في هذا الدين القويم.

2- دعوة العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية ولا سيما علماء الأزهر إلى تقديم استنكار إلى ملك انكلترا وإلى غيره من حكام الدول وفي مقدمتها الخليفة العثماني يبينون فيه استياء العالم الإسلامي من عمل هذا اللورد في إهانة الدين الإسلامي.[90]

وقد قام في أثناء إقامته في مصر برحلة إلى المغرب، ومنها إلى مدينة تلمسان في الجزائر ثم عاد بعدها إلى مصر وبقي بها فترة غير طويلة.[91]

لقد تجلى اهتمامه الخاص بموطنه طرابلس الغرب في مقالته "طرابلس مفتاح أفريقيا" وفيما أورده من أخبار الولاية وفي كتاباته عامةً التي لم تخلو من إشارة لبلدة، وقد استهل مقالته بتقرير واقع الولاية التي ظلت مدة طويلة تحت الحكم العثماني، تعاني من الجهل والتخلف وانتشار الفساد وكثرت الاضطرابات، فأصبحت كما يصفها سليمان الباروني: "مع تساهل بعض الحكام، وحلم بعضهم، وجبن آخرين، خاوية من كل ما يؤذن بالرقي وسعادة الأمة.."[92]

كذلك فقد أشار في مقالته إلى الولاة المصلحين الذين حاولوا تغيير الواقع الفاسد فمدح نامق باشا وحافظ ورجب، وذكر ما فعله الأخير في مضمار الإصلاح من تنظيمات وفتح مكاتب وتحرير النفوس وتحرير الأملاك.

وقد حفلت أعداد الجريدة بأخبار طرابلس فهناك خبر عن غزو الجراد لها وآخر عن زيارة الوالي رجب للجبل الغربي وثالث عن نزول الغيث وهكذا .. الأمر الذي يوضح أنه كان على صلة وثيقة بأخبار موطنه وأنه جعل من الجريدة منبراً يخاطب منه أهل طرابلس على الخصوص وينشر أفكاره الإصلاحية بينهم.

كذلك اهتم في نطاق طرحه فكرة اليقظة وقضية الجامعة الإسلامية بدور الإنسان في تحقيق التقدم، فكتب مقالاً بعنوان "الإنسان والزمن والتوكل" استهله ببيت شعر "يقولون الزمان به فسادهم فسدوا وما فسد الزمان" رآه مصداقاً لحال هذا الزمان وحال أهله، ولغي

---

(90) محمد مسعود جبران، سليمان الباروني، آثاره، المصدر السابق، ص 41.

(91) محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص 42.

(92) زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق ص 29.

في المقال تواكل الناس وخداعهم أنفسهم بفساد الزمان وأوضح قيمة الوقت وأوضح أن الفساد ما حدث: "إلا بإهمالنا العلوم النافعة والمعارف والمنورة"، وفرق بين التواكل والتوكل الشرعي الذي يدعو إلى التواني والكسل عند عارفيه.[93]

على الرغم من نقده الشديد لانحرافات الهيئة الحاكمة العثمانية في طرابلس والاستبداد الذي خيم جوه الكئيب على الدولة العثمانية في ذلك الوقت، فإنه حرص على عدم المساس بشخص السلطان عبد الحميد، بل أنه عمد إلى مدحه ضمن بعض قصائده الشعرية والقي قصيدة في المدرسة التحضيرية عصر ليلة الجلوس الشاهاني في عام 1907م وصف عبد الحميد فيها بأنه خليفة الإسلام وملجأ الدين والدنيا"[94]

ولعل موقفه هذا اتجاه الخليفة وهو الذي اكتوى بنار سياسته الاستبدادية، بحكم تبني الباروني لفكرة الجامعة الإسلامية التي لم يجد دعاتها مفراً من ربطها بعبد الحميد بمقتضى الواقع، كما أن الشعور السائد في مصر آنذاك تجاه السلطان كان يتسم بالاحترام والإجلال حيث اختارت الحركة الوطنية أهون الشرين فتطلعت إلى الدولة العثمانية لمعاونتها في طرد الاستعمار الأوروبي.

بينما كان في مصر حدث الانقلاب الدستوري على السلطان وفرض عليه أن يعيد الدستور وكان للحدث رنة فرح كبرى في البلاد العثمانية جميعها، وقد استقبلها هو بحماس بالغ ورأى فيها إيذاناً بالفرح والعودة إلى الوطن، وعبر عن فرحته بالحدث في قصيدة، قالها على لسان الدستور يخاطب فيها فتاة الشرق فيطالبها بالاحتفال ويقول: "أنا دستور المعالي أنا ترس للقتال أنا محو للقتال "وتحفل القصيدة بالمشاعر والمعاني التي أحاطت عودة الدستور فالدستور يعني الحرية، فقد أمسى العثماني حراً راقياً لا يتأنى .. ينشر الأفكار جهراً .. يورث الأعداء قهراً .. يبذل الأنفس مهراً .. والغرب قلق من الخطوة الكبيرة هياب من آثارها "علموا الدستور ناراً .. وهو سيف لا يجارى" وبالدستور إصلاح الشعوب وتسأل عن ذلك باريس واليابان التي هزمت الروس وكان انتصار اليابان الدولة الشرقية على الروس أوائل القرن

---

(93) أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 424.

(94) زعيمة الباروني، صفحات خالدة، ج1، المصدر السابق ص 65 .

قد هز مشاعر العرب جميعاً وظهر ذلك في شعر تلك الفترة[95] ويهيب في قصيدته بالفرس أن يتحركوا ويحييّ تحرك عباس في مصر ثم يخاطب نفسه بالأبيات التالية يختم بها قصيدته:

هي يا باروني هيا	زر إلى الأوطان بيا
شعبنا قد عاد حيا	يطعن الأعداء بسن
أسد الإسلام أظهر	كل ما في البال وأبشر
بالمنى هلل وكبر	زال ذاك الداء مني
إذ زمان الضيق ولى	وهلال السعد هلا
وصباح النصر جلا	يا فتاة الشرق غني[96]

2 – نشاط سليمان الباروني السياسي في ليبيا من عام 1908– 1910م

أ– جهوده الوطنية في مجلس المبعوثات العثماني 1908م:

عاد إلى طرابلس الغرب حال سقوط عبد الحميد ليبدأ صفحة جديدة من جهاده، وتقوم لانتخابات مجلس المبعوثات العثماني التي صدرت الدعوة إليها في 24 يوليو 1908م، مرشحاً عن مركز يفرن وقضاء فساطو / نالوت / غدامس، وكان ينافسه فيها خمسة مرشحين آخرين ففاز فوزاً ساحقاً، حين حصل على ثلاثة أضعاف عدد الأصوات التي حصل عليها الذي يليه ولم يحصل البقية على أصوات تذكر.[97]

كان العامل الحاسم في فوزه ما تمتع به من ثقة وشعبية في نفوس أهل المنطقة وليس "لأن أولي الأمر في الآستانة مالوا إلى اكتسابه في صفوفهم فاختاره عضواً بمجلس المبعوثات

---

[95] المصدر نفسه ص 19 .

[96] أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 426–427؛ محمد مسعود جبران، سليمان الباروني وآثاره، المصدر السابق، ص 42.

[97] وثائق ترشيحه في مجلس المبعوثات العثماني، نقلاً عن زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق ص 120 مؤرخة في عام 1908م.

نائباً عن الجبل الغربي[98]. فالذين انتخبوه هم أهالي المنطقة تعبيراً عن تلك الثقة وتقديراً لجهاده ضد الاستبداد.

وهكذا ما كاد يعود إلى بلاده حتى كان عليه أن يفارقها إلى الآستانة ليقوم بدوره كعضو في مجلس المبعوثات[99] وقد حفلت الأعوام الثلاثة التي أمضاها في المجلس قبل الغزو الإيطالي بنشاطه الذي تعددت مجالاته، وكان نشاطه منصباً في المقام الأول على شؤون ولايته، فقد حاول مع بعض زملائه أن يوجهوا عناية الدولة لها لتقوم بالإصلاحات اللازمة، وكان همهم أن يعوضوا بلادهم عن الكثير مما فاتها بسبب الإهمال.[100]

ويتضح من أوراقه الخاصة التي نشرتها ابنته أنه كان على اتصال وثيق وهو في عاصمة الخلافة بما يجري في بلاده، كما أنه كان المحرك لما قامت به الدولة من مشاريع فيها، ويتضح أيضاً منها ثقة الناس وحسن ظنهم به، فنجد مثلاً في رسالة جوابية كتبها إلى متصرف الجبل شفيق بك بتاريخ 1908م أنه يعبر عن سروره لاهتمام المتصرف بأسباب ترقي الجبل مشجعاً إياه ومنبهاً في نفس الوقت: "وإن كان ذلك من الحقوق الواجب عليكم ثم يقول له بوضوح: "والمفهوم من بعض المكاتبات من مركز الولاية أنه حصل فتور بينكم وبين أعيان اللواء، وذلك أمر لا يناسب حصوله بين الحاكم والمحكوم فنرجو الآن أنه قد زال بحسن تدبيركم واستمالتكم للخواطر"[101] ويطالبه أن يكتب له عن مطالبه من الدوائر المركزية لإتمام الإصلاح ليقوم هو باللازم.

وقد اهتم بالرد على حملة صحفية شنتها جريدة تصوير أفكار ضمن مقالات عن العراق ومصر وطرابلس الغرب، وكان لهذه الحملة أثرها السيء في نفوس بعض المسئولين

---

(98) أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 36.

(99) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 117، مؤرخة في عام 1908م ، انظر ملحق رقم 1.

(100) لمزيد من المعلومات حول الإهمال العثماني لليبيا أنظر مصطفى حامد رحوم، المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي في منطقة بو كماش (1912)، ط1، دار الكتب طرابلس 1990م، ص 18 وما يليها، مصطفى حامد رجوم، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي أكتوبر 1911- أكتوبر 1912م، ط1 دار الكتب طرابلس، ليبيا 1988م، ص 32-33.

(101) رسالة من سليمان الباروني إلى متصرف الجبل شفيق بك، نقلاً عن زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 144، مؤرخة في عام 1908م.

المصلحين في طرابلس وعلى رأسهم المشير إبراهيم أدهم الذي بذل جهوده لإصلاح ما يمكن إصلاحه في طرابلس حين تسلم ولايتها، وقد كتب المشير رسالة جوابية للباروني قال فيها: "إن ما جاء في تصوير أفكار سواء كان في حقي أو في حق سكان ولايتنا من المفتريات التي يجب التحري عن حقيقة صاحبها لمعرفته لاعتراضاته ومدعياته في هذا الباب تجاوزت الحدود..وإن عدم معرفة هذا المخبر الكاذب لإزالة سوء تأثيره يجعلني غير مستريح في القيام بأعمالي وإدارة شئون وظيفتي..وإني رهين أوامركم الكريمة يا حضرة السيد".[102]

ويطمأن الوالي الباروني أن العمل في الولاية يستهدف تأمين احتياجاتها، وقد كتب رسالة أخرى جوابية لقائمقام جنزور شكره على جهوده في تنفيذ الإصلاحات وهون عليه حملة جريدة "تصوير أفكار" ومما جاء فيها "سرني جداً شروعكم في خدمة طريق جنزور الذي سيخلدكم ذكراً جميلاً إلى الأبد، كما خلدكم الذكر الحسن توفيقكم في محو أثر داء الكوليرا من هناك بما قمتم به من الاحتياطات الجدية .. وإنا نرجو من الله أن يوفقكم إلى إتمام ما عزمتم عليه من المشروعات العمرانية، كإنشاء المكاتب والطرق العمومية، وسنصرف غيرتنا إن شاء الله في تكليف نظارة النافعة والمعارف بإجابة ما طلبتموه، وقد أطلعت على جوابكم رفقائنا وسنتعاون معاً والله الموفق لا يهمكم ما كتبه في حقكم تصوير أفكار لأن الداخلية واثقة بكم تمام الثقة وسنرد عليهم رداً مقنعاً إن شاء الله تطلعون عليه في البوسطة الآتية في الجرائد".[103]

وقد قدم تقريراً إلى الصدارة العظمى بمخبر الجريدة الذي كتب المقالات المملؤة بالتشنيعات مطالباً التحقيق معه.

لقد أصبح بحكم منصبه كما أسلفنا مرجعاً لسكان البلاد يطرحون عليه قضاياهم بها، فهذه الرسالة من أحمد ضياء الدين المنتصر نائب مصراته يروي فيها كيف رتب البعض ضده

---

(102) رسالة من والي طرابلس المشير إبراهيم أدهم إلى سليمان الباروني، نقلاً عن كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر نفسه، ص 142، مؤرخة في عام 1909م.

(103) رسالة من سليمان الباروني إلى قائمقام جنزور، نقلاً عن كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 141، د.ت

إخبارية فقدم للتحقيق "خلافاً للقانون" ويرجوه التدخل[104] وفي رسالة أخرى قدمها ثلاثة موظفين من نفوسه يخبرونه بما وصلهم من وكالة مديرية ناحية الصيحان: "بأن دولة خرسانة دخلت في حدودنا من جهة الناحية المذكورة حتى لم يبق بينها وبين قصر الجيوش إلا مسافة ست ساعات فقط وصاروا ينحتون في الأرض ويضعون فيها الأحجار المنقوشة زاعمين أنها حد فاصل بيننا وبينهم، وبعد ذهابهم عنا وثب أهالي الصيحان عليها وكسرتها جميعاً، وعند وصل خبرها بقنصل فرنسا الذي بقرب الحدود نادى في قبائل العربان الذين هم معنيين وفيهم الزائد وأمر العسكر بالهجوم والقتل على كل من يجدونه بقرب تلك الأحجار".[105]

ويشكو كاتبوا الرسالة من أن الولاية لم ترد على ما عرض وكيل المتصرفية بهذا الشأن.

وهذه رسالة ثالثة من أخويه الشيخ يحي والشيخ أحمد معاتبانه ومما جاء فيها: "انتظرنا من طرفكم أن تهتموا بمسألة الفتوى أكثر من كل الأحوال .. وأن لم تعتنوا بها نصير في حقنا ونكون ميداناً لشماتة الأعداء فينا ... وأنت على طبعك الغالب عليك لا تهتم ولا تنشغل إلا بأشغال وأحوال الناس قبل أشغالنا"[106] وكان العهد السابق قد حرم أسرته من منصب الإفتاء، وكذلك تبنى الباروني في تلك الفترة مطلب أهالي منطقته بعدم نقل مركز المتصرفية من يفرن إلى زوارة وفق اقتراح الوالي وحاكم الجبل، وتقدم أهل المنطقة بمذكرة إضافية احتجوا فيها على نقل مركز المتصرفية وشرحوا أسباب تمسكهم بيفرن وطالبوا بالإصلاحات اللازمة للمنطقة وقد نجح الباروني في تحقيق طلبهم.[107]

لقد كان في تلك الفترة على علاقة جيدة برجال الحكم العثماني من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي سوف تؤدي دوراً بارزاً في مقاومة الغزو الإيطالي بل يبدو أنه أصبح واحداً من أعضائها إذ نجده يوقع بعض رسائله عام (1329هـ 1911م) باعتباره رئيس

---

(104) رسالة من نائب مصراته أحمد ضياء الدين إلى سليمان الباروني، نقلاً عن كتاب زعيمة الباروني، المصدر نفسه، ص 111، مؤرخة في عام 1909م.

(105) رسالة من بعض موظفي نفوسه إلى سليمان الباروني، نقلاً عن كتاب زعيمة الباروني، المصدر نفسه، ص 111، مؤرخة في عام 1909م.

(106) رسالة من يحي وأحمد الباروني إلى أخوهم سليمان الباروني، نقلاً عن كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر نفسه، ص 152، مؤرخة في عام 1909م.

(107) رسالة احتجاج من سليمان الباروني إلى والي طرابلس، نقلاً عن كتاب أحمد صدقي الدجاني وعبد السلام أدهم، وثائق تاريخ ليبيا، المصدر السابق، ص 278-281، مؤرخة في عام 1910م.

جمعية الاتحاد في فساطو ومعلوم أن عدداً من زعماء العرب انظموا بعد إعلانه الدستور العثماني في سلك الجمعية قبل أن يبرز التناقض الشديد بين العرب والعثمانيين.

وهكذا نجده أمضى فترة حافلة بالجهاد وقبل الغزو الإيطالي تهيأ فيها للقيام بالدور الكبير الذي أضطلع به ضد الغزو الإيطالي الذي جعله رمزاً عظيماً من رموز الجهاد في طرابلس الغرب.

ب- الموقف الوطني من الغزو عام 1909م:

لقد تميزت هذه الفترة باشتداد الخطر الأوربي على طرابلس من جهة، ولا سيما الإيطالي، حيث لم تتردد السياسة الاستعمارية الإيطالية في إعلان نواياها علناً وبتبجح تجاه طرابلس ونشطت في التغلغل في الولاية تغلغلاً اقتصادياً وثقافياً ودعائياً[108] كما تميزت هذه السنوات من جهة أخرى بالجو الجديد الذي تلا انقلاب عام 1908م على عبد الحميد، بما حفل به من آمال وما أحس به الشعب من حق له كفله الدستور، فتأثر التحرك الوطني بهذين العاملين وحقق انطلاقة ملحوظة[109] وكان من أبرز ما جاءت به المشروطية الثانية من الدستور حرية الصحافة، فصدرت في طرابلس عدة صحف أدت دوراً كبيراً في التعبير عن التحرك الوطني في تغذيته، ومع أن حرية الصحافة سرعان ما تعرضت في العهد الجديد إلى ما يقيدها، فإن الصحف بقيت عاملاً فعالاً في ذلك التحرك، والجرائد التي صدرت في ذلك الوقت هي "الترقي" التي احتجبت فترة في العهد الحميدي، و "العصر الجديد" "الرقيب" "المرصاد" "أبو قشة" "تعميم حريت" وجميعها صحف جديدة، وقد انشغل الناس والصحف بقضية الخطر الأوربي الذي أحدق بالمنطقة عموماً ، وقد كثر انشغالهم بهذه القضية ، ونضرب أمثلة على ذلك بما نشرته " الترقي " في أحد افتتاحياتها تحت عنوان "ما أشبه الليلة بالبارحة" من مهاجمة الاستعمار الغربي وكشف ألاعيبه ونواياه واحتلال بريطانيا لمصر وتلاعبها بحقوقها ، وما نشرته "أبو قشة" عن الشركات الاستعمارية و "المرصاد" عن "الاتجار

---

(108) مذكرات جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا "1911-1912"، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 1986م، ص11 وما يليها.

(109) محمد رجب الزائدي، الغزو الإيطالي لليبيا، مقدماته وغاياته، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا 1974م، ص 20 وما يليها؛ عبد المولى صالح الحرير، التمهيد للغزو الإيطالي وموقف ليبيا منه، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943م، ط2، طرابلس 1996، ج2، ص13 وما يليها.

وسيلة الاستعمار" ضمن سلسلة مقالات توضح أهداف الاستعمار وأساليبه.[110] وكتبت الصحف مقالات كثيرة عن الخطر الأوربي ولاحقت النشاط الاستعماري الإيطالي وفضحت المتعاونين والمتخاذلين من رجال السلطة أو غيرهم، وقد شنت تعميم حريت حملة شديدة على الوالي حسن حسني لأنه رضخ لضغط القنصل الإيطالي وعاقب ضابطاً عثمانياً اتهم بالاعتداء على أجنبي، ودعت للأحزاب، وكانت جريدة أبي قشة عنيفة في فضح السياسة الاستعمارية الإيطالية وكشف نشاط الجالية الإيطالية، وللهجوم على شركة الفوسفات الإيطالية وعلى الوالي المذكور وأمثلة أخرى كثيرة، مثل قضية الإصلاح والحفاظ على اللغة العربية، وتشجيعها.[111] وساهم نواب الولاية في مجلس المبعوثات بالآستانة في هذا التحرك الوطني وتابعوا من مواقفهم ما كان يدور في المركز بشأن الولاية ولاحقوا المطالب الوطنية في الدوائر الحكومية المركزية، وجاء في أحد المصادر أنه لما عزل إبراهيم باشا عن الولاية ولم تعين الحكومة بدله احتج نواب طرابلس في الآستانة عن بقاء البلاد على هذا الوضع الشاذ في الوقت الذي يعد فيه العدو نفسه للهجوم عليها فعينت بكر سامي والياً عليها في رمضان 1329 هـ الموافق سبتمبر عام 1911م، وصدر له أمر بالسفر في أيلول، وحدث الغزو قبل أن يصل بكر سامي إلى طرابلس.

كما واجه النواب سياسة حقي باشا المتواطئة مع الإيطاليين وانتقدوها انتقاداً مراً، وبينوا ما جرته على طرابلس من الويلات ، وعندما وقع الغزو الإيطالي اتهموه بالخيانة العظمى ووقف معهم النواب العرب في المجلس وطالبوا محاكمته أمام الباب العالي وتقدم اثنان من نواب الولاية بتقرير إلى المجلس شرحا فيه واقع الولاية حين داهمها الغزو، وقصور هذه الحكومة في الوقوف في وجه العدو قصوراً يوحي بالتآمر، وكذلك يكشف التقرير في مجمله عن المطالب الشعبية التي برزت في التحرك الوطني وعجز السياسة العثمانية في البلاد طول تلك الحقبة التي سبقت الغزو ولأهمية هذا التقرير بالنسبة للمطلع على أحوال البلاد في تلك الفترة أثرنا إيجازه هنا نظراً لتلك الأهمية للتعريف بسياسة وأعمال الدولة العثمانية في طرابلس ومسؤولياتها في التفريط بتلك الولاية ومما جاء فيه: ".... نحن لا ننكر إهمال الحكومات

---

(110) علي مصطفى المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، المرجع السابق، ص 65، علي مصطفى المصراتي، كفاح صحفي، ج1، أبي قشة وجريدته، بيروت، 1961م، ص 105.

(111) أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 434 وما يليها.

السابقة الخائنة لأمر التربية القومية وللقوة البحرية الممكن إعداد القوى للدفاع عن هذا الوطن البائس وتأخير الاستيلاء عليه، أو على الأقل اتخاذ بعض الوسائل السياسية الخارجة عن هذه القوة لصون الشرف العثماني وكرامة الأمة، .. كذلك فعلت وزارة حقي باشا التي فاقت حكومة الدور السابق في الإهمال والغفلة والعطلة وعدم التفكير".[112]

ولقد تضمن هذا التقرير كما هو واضح المطالب التي برزت من خلال النضال الشعبي ضد الخطر الأوربي ، وفي مواجهة الحكم العثماني العاجز ، ويكشف بحدة صارخة عجز السياسة العثمانية ومسؤوليتها في ترك البلاد بدون إعداد أمام الخطر الماثل، وقد حول هذا التقرير إلى لجنة خاصة لم تفعل شيئاً .[113]

وبقي على أهالي طرابلس الغرب أن يعملوا الكثير في مقاومة الغزو والاحتلال الإيطالي.

والجدير بالذكر هنا أن العمليات الاستخبارية الإيطالية التي دخلت البلاد تحت ستار "البعثات الاستكشافية الجغرافيا "قد أدت دوراً كبيراً في التمهيد للغزو، إلى جانب مصرف روما[114] ولا سيما البعثة الاستكشافية الإيطالية التي كان يرأسها الكونت سفورزا[115]

ج- دور سليمان الباروني في تجنيد الأهالي في عام 1910م:

لقد سعى سليمان الباروني بفضل موقعه في مجلس المبعوثات العثماني وما تميز به من العلاقات القوية مع رجال العلم والسياسة العرب والعثمانيون وغيرهم، إلى تنبيه دولة الخلافة بالخطر الذي كان يهدد بلاده فدعا إلى ضرورة حمايتها والدفاع عنها، حيث قدم تقريراً سرياً إلى حكومة الباب العالي، أشار فيه إلى نوايا إيطاليا في احتلال طرابلس الغرب حيث اقترح على الحكومة تزويد الأهالي بالسلاح وتدريبهم على استخدامه لمواجهة الخطر الذي يهدد

---

(112) رسالة احتجاج من نواب ولاية طرابلس إلى مجلس المبعوثات العثماني، نقلاً عن كتاب الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط2، دار الفتح للنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص 134 وما يليها؛ أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص 439 وما يليها.

(113) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 42.

(114) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف معارك الجهاد رقم 47، وثيقة رقم 87، مؤرخة في عام 1897 وأيضاً وثيقة رقم 92 مؤرخة في عام 1901م.

(115) خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ط1، دار الكتب، طرابلس، 1974م، ص 221 وما يليها، اتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1971م، ص 127؛ شارل فيرو، المصدر السابق، ص 530.

البلاد، فوافقت الحكومة على سفره إلى طرابلس، كما وافقت على التدابير التي قدمها في تقريره السري.[116]

يبدو مما سبق أنه قد خاطب سكان البلاد بصورة رسمية لتنبيه السكان بخطورة الموقف والذين كانوا يشاركونه نفس الشعور، فلقيت دعواته تلك قبول كبير لديهم لثقتهم فيه وفي الخلافة العثمانية وكذلك ليكونوا على درجة من الاستعداد لرد العدوان المتوقع عن طرابلس الغرب، وكذلك يتضح لنا أن هناك بعض العناصر التي سعت إلى منعه من القيام بهذه المهمة لغاية في نفوسهم أو ربما أنهم على صلة وثيقة بالعدو الإيطالي الذي كان قد جند الكثير من الأعوان له داخل البلاد عن طريق مصرف روما السابق الذكر، حيث أوعزوا لدى الخليفة أنه يسعى إلى مؤامرة كتلك التي لفقت له في بداية حياته بعد رجوعه من دراسته آنف الذكر، وتكشف أيضاً مدى وعيه بأن مهمة الدفاع عن الوطن لا تكون إلا بأبناء وطنهم أكثر من غيرهم، وأن واجب الدفاع هذا لا يأتي بمجرد الدعاء ولكن عن طريق الاستعداد بكل القوة لإرهاب العدو إذا فكر في الهجوم على البلاد.

وما أن وصل إلى طرابلس حتى أخذ يحث الناس على الجهاد ضد إيطاليا، ولما عاد إلى الآستانة وجد أن هناك تغيراً كبيراً في الأوضاع، فأخذ يلح على تنفيذ خطته، ولكن طلعت بك القائد العثماني نصحه بالعودة إلى طرابلس وإعداد تقرير بالاتفاق مع الوالي، إلا أن الباروني تلقى خبراً قبل أن يغادر الآستانة بأن الوالي إبراهيم باشا والي طرابلس استلم برقية تبلغه عزله من منصبه وتطلب إليه السفر إلى عاصمة الخلافة حيث غادر طرابلس، ونصح الباروني بأن يذهب إلى الجبل الغربي معرباً له عن توقعات سيئة، وفعلاً لم تمض فترة طويلة حتى وقع الغزو الإيطالي على طرابلس وأخذت الأساطيل الإيطالية بقصف المدينة بمدفعيتها[117].

---

(116) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 116، مؤرخة في عام 1910م، أنظر ملحق رقم 2.

(117) آرسي، مع الإيطاليين في حرب طرابلس ترجمة منصور عمر الشتيوي، ط1، الفرجاني، طرابلس 1972م، ص 22 وما يليها؛ راسم شدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط2، طرابلس، 1953م، ص 102؛ محمد الأسطى، المعارك البحرية في ميناء طرابلس، مجلة الأفكار، العدد 18، السنة الثالثة، 1958م، ص 14 وما يليها.

2 – الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911م :

أ – موقفه من الغزو الايطالي لطرابلس الغرب:

في 7 سبتمبر عام 1911م كان صبر إيطاليا قد نفذ فوجهت إنذاراً إلى حقي باشا الصدر الأعظم في الآستانة تطلب فيه تسليم ليبيا وقد سارع هذا إلى تلبية هذا الطلب وأمر جنوده بالانسحاب من طرابلس والعودة إلى عاصمة الخلافة دون قتال، وبينما أخذ العثمانيين يتجمعون عند قرقارش تمهيداً لانسحابهم دخلت ميناء طرابلس باخرة ترفع العلم الألماني واسمها "درنة" فلما علم السكان أنها تنقل سلاحاً، استولوا عليها ووزعوا حمولتها على القرى والقبائل المختلفة وكان ذلك بداية لشرارة المقاومة الوطنية ضد العدو الغازي[118] وبعد ذلك اجتمع الشيوخ والزعماء، وأخذوا في إرسال البرقيات إلى الآستانة، يبدون فيها استعدادهم للقتال، فلما تراكم سيل البرقيات على الباب العالي، سقطت وزارة حقي باشا وقامت وزارة سعيد باشا الذي أعلن الحرب على إيطاليا بتاريخ 29 سبتمبر من العام نفسه، وقد شكل الطرابلسيون خطاً للدفاع على طول الساحل، وكان معهم عدد قليل من الجنود العثمانيين لا يزيد على ثلاثة آلاف[119] ويؤكد أحد شهود العيان أن المجاهد سليمان الباروني والمجاهد محمد فرحات كانا المساعدين الأوليين لنشأة إسماعيل باشا القائد الأعلى العثماني وأنهما كانا قد بعثا ببرقيات متعددة إلى البلدان الإسلامية يدعوهم إلى النهضة والفزعة من أجل المشاركة في الحرب التي قامت بها إيطاليا ضد ليبيا، وكان لندائهما هذا أثر طيب على الصعيد الداخلي فقد تجمعت أعداد كبيرة من المجاهدين من جميع المدن الطرابلسية.[120]

أيضاً ورد في أحد المصادر أن أهالي فساطو والرحيبات والرجبان والزنتان والريانية لبوا نداء سليمان الباروني، بل تقدم بطلب الانضمام إلى هذه الحملة حتى مساحين لواء الجبل

---

(118) راسم شدي، المصدر السابق، ص 103، محمد الأسطى وعلي إعزازي، تاريخ القوة المسلحة التركية؛ الدور العثماني في الحرب العثمانية الإيطالية 1911–1912م، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس ليبيا، 1988م، ص 192–193.

(119) راسم شدي، المصدر نفسه، ص 103.

(120) محمد أمحمد الطوير، الشيخ محمد فرحات الزاوي؛ أحد قادة الجهاد الليبي ضد الغزاة الإيطاليين، ط1، دار الكتب، بنغازي 1993م، ص 29، 38–39؛ الهاشمي محمد بالخير، الهاني؛ الغزو الإيطالي؛ وبداية حركة المقاومة المسلحة، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، جامعة الفاتح، طرابلس، 1985 ، ص 83.

للاشتراك في دفع الأعداء عن الوطن وكان معه في القيادة تلك الكثير من القادة المشهورين ومنهم محمد فكيني[121] وكان من تلك النداءات خطابه الذي ألقاه في جامع أمصراطن في يفرن وفيها استنفار المواطنين لمقاومة ومناجزة العدو وهذا نصه: "أيها الناس اعلموا أن من قضاء الله وقدره أن سلط على وطننا امتحاناً، دولة خسيسة نصرانية طليانية .. وتستهن بالإسلام فسولت لها نفسها الخبيثة الاستيلاء على بلادنا .. وهاهي أرسلت مراكبها الحربية وهي الآن واقفة في البحر، أمام المدينة، تنتظر الأوامر من دولتها بالهجوم على ولايتنا"[122].

ودعا بعد ذلك المواطنين إلى حمل السلاح ومقاومة الظلم حيث قال ".. وها هو وطنكم العزيز يناديكم ودينكم القويم يستنجدكم ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يخاطبكم من قبره بقوله (الجنة تحت ظلال السيوف) وبقوله تعالى: "جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله .."[123] وبقوله "وما النصر إلا من عند الله .."[124] وغير ذلك الكثير من الآيات.

وختم هذه الرسالة بقوله: "الجهاد الجهاد، البدار البدار، النفير النفير، لا يقبل عذر ولا تأخير وأردف نداءه للزعماء بدعوات صارخة توجه بها إلى الله ناصر المظلومين، سائل دحر الظالمين، وردكيد المعتدين والنصر المبين لعباده المرسلين"[125]

ولا جدول في أن هذه الرسائل التي انتشرت يومئذ بسرعة بين الزعماء، قد أدت دوراً كبيراً في التعبئة العامة ضد المستعمرين.

كذلك قام بتوجيه الكثير من الرسائل إلى الزعماء الوطنيين مثلاً، رسالته التي بعث بها إلى المجاهد رمضان السويحلي[126] ورسالته إلى زعيم الطوارق الشيخ حمود.[127]

---

(121) أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج1، المصدر السابق، ص 95.

(122) رسالة من سليمان الباروني لحث الأهالي على الجهاد، نقلاً عن كتاب محمد مسعود جبران، سليمان الباروني وآثاره، المصدر السابق، ص 272–273، مؤرخة في عام 1910م.

(123) سورة محمد، الآية الكريمة رقم 7.

(124) سورة آل عمران، الآية الكريمة رقم 126.

(125) رسالة من سليمان الباروني إلى أهالي ولاية طرابلس، نقلاً عن كتاب محمد مسعود جبران، سليمان الباروني وآثاره، المصدر نفسه، ص 273، مؤرخة في عام 1910م.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحكومة العثمانية عندما أصدرت أوامرها بسحب جنودها من ليبيا ولا سيما من طرابلس كانت قد أمرت بنقل الأسلحة إلى دواخل البلاد في 25 سبتمبر 1911م ولعل هذا يفسر مدى الثقة التي كان يتمتع بها سليمان الباروني لدى العثمانيين ولدى القائد نشأت بك آنف.[128]

لقد كان النضال الوطني الذي سبق الغزو تجربة غنية حية مكنت أهالي الولاية من خوض المعارك ضد العدو بصلابة حققت نتائج خالفت توقعات أوروبا فأذهلت المراقبين وهكذا انتقل النضال الوطني إلى مرحلة جديدة حافلة بالتطورات والبطولات التي خلدت تاريخ البلاد.

ب- بداية المقاومة المسلحة ضد الإيطاليين عام 1911م :

لقد كان من أهم المعارك التي جرت في هذه الفترة، معركة الهاني وشارع الشط:

معركة الهاني وشارع الشط:

لقد وقعت هذه المعركة في يوم الاثنين من شهر أكتوبر عام 1911م، وتعد من أهم المعارك التي خاضها المجاهدين ضد القوات الإيطالية بمدينة طرابلس في المرحلة الأولى من الجهاد[129] بدأت المعركة بهجوم المجاهدين بشكل جماعي على القوات الإيطالية صباح يوم 23 أكتوبر عام 1911م على امتداد الجبهة، بعد أن مكنت كل فرقة بالهجوم من الجهة التي كانت لها، وكلفت قوة أخرى من الفرسان قوامها 500 فارس باقتحام القوات الإيطالية المتمركزة بسواني حلاب والحمامجي، من الجانب الغربي من المدينة، وقد تمكنت فعلاً من اختراقها ودخلت مسافة 2 كلم، بهدف إشعال قوات العدو وإرغامها على البقاء في أماكنها، حتى لا نقوم بمساعدة القوات الأخرى المرابطة بشرق المدينة، التي استهدفها المجاهدون في هجومهم، ولإثارة سكان المنشية بتشجيعهم على الثورة، التي كان قد تم الاتفاق معهم عليها

---

(126) هو أحد الزعماء الوطنيين الكبار في حركة الجهاد توفي عام 1920م، محمد مسعود فشيلة، رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان، ط1، الفرجاني، طرابلس، 1974م، ص220، الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط2، الفرجاني، طرابلس، 1971م، ص 115.

(127) زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق ص 169.

(128) الهاشمي محمد بالخير، المرجع السابق، ص 50.

(129) مصطفى حامد ارحومه، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943، ط2، طرابلس، 1998م، ج2، ص60.

قبل بداية المعركة بعدة أيام، وقد تم كل ذلك بنجاح حيث أربكت حركتهم هذه القوات[130]، وتمكن المجاهدون من هزيمة ميسرة القوات الإيطالية والقضاء على معظم أفراد الرماة، كما انقض سكان المنشية على مؤخرة القوات الإيطالية، وتسرب عدد من المجاهدين إلى داخل المنشية مما أضعف جبهة العدو وفر جنودها إلى داخل المدينة أمام زحف المجاهدين الذين توغلوا حتى مقبرة القرمانليين، وفشلوم وشارع الزاوية، واستمرت المعركة ثمان ساعات متواصلة.[131]

وفي تلك الأثناء قام المجاهد سليمان الباروني بتوجيه رسالة إلى قائد القوات الإيطالية يأمره فيها بتسليم مدينة طرابلس إلى المجاهدين ويطلب منه سحب جنوده منها والرجوع إلى بلاده، كذلك تكشف تلك الرسالة مدى الخراب والدمار الذي تعرضت له المدينة من جراء الغزو والانتهاكات التي ارتكبها العدو من قتل وتشريد للأطفال والنساء والشيوخ[132] لقد حمل خطابه في تلك الرسالة لهجة شديدة فيها تهديد ووعيد للإيطاليين فهي تكشف بذلك أنه يتحدث من مصدر قوة، فقد أثبتت هذه المعركة مدى وحدة وثبات المجاهدين وشجاعتهم وقدرتهم على صد العدو ودحره إلى داخل مدينة طرابلس.

والجدير بالذكر هنا أن القوات الإيطالية استخدمت سياسة انتقامية أثناء انسحابها إلى داخل المدينة حيث قتلت الشيوخ والنساء والأطفال وأحرقت ودمرت كل المواقع التي مر بها وتكشف بعض الصحف الأجنبية التي كانت على قرب من تلك الأحداث مدى هذه السياسة حيث تقول إحدى الصحف الألمانية: "لم يفعل جيش مع عدوه من أنواع الغدر والخيانة ما فعله الجيش الإيطالي في ليبيا" كما أوردت صحيفة سويسرية خبر تقول فيه: "أن

---

(130) غيورغ فون غريفينبس، تاريخ الحرب الليبية الإيطالية، ترجمة عماد الدين غانم والأمين الطاهر شقليلة، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1986م، ص 89 وما يليها.

(131) فرانسيس ماكولا، الغزاة، ترجمة عبد الحميد شقلوف، ط1 الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1979م ص 119 وما يليها.

(132) رسالة من سليمان الباروني إلى مجلس المبعوثات العثماني، نقلاً عن كتاب زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 177، مؤرخة في عام 1911م.

كانيفا (الحاكم الإيطالي في طرابلس) يستهين بالقوانين الحربية ويتنكر للمبادئ الإنسانية إذ أنه يأمر بقتل العرب سواء قبض عليهم في ميدان المعارك أو انتزعهم من بيوتهم.[133]

وقد نتج عن هذه المعركة هزيمة اللواء الحادي عشر من الرماة وتراجع معظم القوات الإيطالية المتقدمة، حيث قدرت خسائرها بنحو 378 قتيلاً و 125 جريحاً بينما بلغت خسائر المجاهدين حوالي 170 شهيداً و 250 جريحاً، وغنم المجاهدون عدد من البنادق وكمية هائلة من العتاد الحربي، وقد عبرت هذه المعركة عن قوة المقاومة الوطنية وعن شجاعة المجاهدين الليبيين وتعاونهم في الدفاع عن وطنهم، وخيبت آمال الإيطاليين في أن احتلال ليبيا لم يكن سهلاً وأن الوجود العسكري الإيطالي بالمدينة مهدداً بالفناء كما تبددت كل أوهام الإيطاليين حول قيان تحالف مع العرب وقد انتقمت القوات الإيطالية من سكان المنشية المدنيين في يوم 24 و 25 أكتوبر من العام نفسه بقتل أعداد كبيرة ونفي البعض منهم إلى جزيرة سردينيا وأوستكا[134] قام المجاهدون بهجوم على الهاني وسيدي المصري يوم 3 من ذي القعدة 1329هـ الموافق 26 أكتوبر من العام المذكور، حيث تمكنوا من طرد القوات الإيطالية التي خضعت لقصر الهاني وتابعوها حتى أدخلوها إلى المدينة داخل نطاق القصف بالمدفعية الإيطالية وكان ضمن من شارك فيها، المجاهد سليمان الباروني، ومحمد سوف المحمودي، والمهدي السني، وأحمد المنقوش قائد مجاهدي مصراته الذي استشهد في المعركة نفسها.[135]

وبينما كانت الحرب مستمرة حول هذه المناطق فوجئ المجاهدون بخبر إبرام الصلح بين الدولة العثمانية وإيطاليا، الذي أذاعه الإيطاليين في 21 أكتوبر 1912م وكانت معاهدة الصلح قد تم توقيعها في 8 أكتوبر في أوشي لوزان، ولقد جاء رسول إيطالي إلى الخمس وهو يحمل ظرفاً به مرسوم من ملك إيطاليا يعلن فيه أن طرابلس وبرقة صارتا خاضعتين خضوعاً تاماً للسيادة الملكية الإيطالية، إلى جانب العفو التام عن الطرابلسيين والبرقاويين، الذين اشتركوا في الحرب، والوعد بكفالة الحرب الدينية واحترام شعائرهم، كما حمل الرسول الإيطالي

---

(133) فرانسيس ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، منشورات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، دار الكتب، طرابلس، 1991م، ص 163 وما يليها.

(134) مصطفى حامد ارحومه، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي أ المرجع السابق، ص 63، فرانسيس ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، المرجع نفسه، ص 253.

(135) بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، طرابلس، 1988م، ص 121.

فرمان من السلطان العثماني يبلغ فيه أهل البلاد أن حكومته صارت غير قادرة على تقديم المساعدات لهم وعليه يمنحهم السلطان استقلالاً داخلياً مطلقاً وتاماً، وذلك بما له من حقوق السيادة عليهم، وقد تلقى كل من خليل بك ونوري السعداوي الرسول الذي يحمل المنشور في الخمس، وكان بشير السعداوي في ذلك الوقت مع المجاهدين في الساحل[136] وكان عليهم أن يتخذوا قراراً حاسماً بشأن المقاومة بعد انسحاب القوات العثمانية لذلك قرر زعماء الجهاد عقد اجتماع في بلدة العزيزية التي تبعد حوالي 40 كيلو متر جنوب طرابلس، وكان ذلك في نوفمبر عام 1912م.

---

(136) محمد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها، ج1، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م، ص 433-434.

الـــفـصـــل الثالث

كفاحه الوطني ضد ايطاليا من عام 1912–1916م.

أولاً : مؤتمر العزيزية عام 1912م .

– إعلان الحكومة الطرابلسية عام 1912م.

ثانياً : أهم المعارك التي قادها بين عامي 1913–1914م .

– معركة الاصابعة عام 1913.

– سفره إلى السلوم في عام 1914م.

ثالثاً : دوره في تأمين الإمدادات العسكرية بين عامي 1915–1916م .

1 - مؤتمر العزيزية عام 1912م

لقد ترتب على عقد صلح أوشي لوزان، الذي تم بين الدولة العثمانية وايطاليا في 18 أكتوبر 1912 م، عدة تغيرات في الأوضاع الداخلية لحركة الجهاد، ولا سيما من الناحية السياسية، الأمر الذي أدى إلى حدوث انشقاق في التحالف بين المجاهدين الليبيين والأتراك، ومن ثم دخلت حركة الجهاد ضد الغزو الايطالي مرحلة جديدة اختلفت عما كانت عليه في الفترة المبكرة، فقد تذرعت الدولة العثمانية في قبولها للصلح بعدم مقدرتها على مواصلة الحرب ضد ايطاليا، ولاسيما بعد ان اشتد في داخلها النزاع بين الاتحاديين والائتلافيين واندلاع الثورة في دول البلقان، فضلاً عن قيام ايطاليا بتوسيع نطاق الحرب في بحر ايجة ومنطقة المضايق، ولتبديد موجة الغضب على الاتفاقية من قبل الليبيين بصفة خاصة وفي أوساط العالم الإسلامي على وجه العموم قام السلطان العثماني بإصدار مرسوم منح فيه أهل البلاد مما سمى بالاستقلال الذاتي[137].

أما قادة المقاومة الوطنية فقد اعتبروا انسحابها المفاجئ من الميدان بمثابة الطعنة من الخلف، إذ ترتب على ذلك عدة مشاكل منها:

1. انقطاع الإمدادات العسكرية، والمؤن التي كانت ترد من الحكومة المركزية في اسطنبول.
2. حدوث نقص في عدد المحاربين، لا سيما الجنود والضباط والأتراك المدربين، الأمر الذي أثّر في قوة المجاهدين واضعف من روحهم المعنوية.
3. إن خروجها في تلك الظروف الدقيقة أحدث فراغاً سياسياً كبيراً في البلاد، وفتح المجال أمام ظهور وتعدد الزعامات المحلية، مما أدى إلى حدوث تصدع في الجبهة الداخلية[138].

وأمام هذه التطورات الجديدة، قرر زعماء الجهاد عقد اجتماع طارئ لمناقشة الموقف الراهن، والتشاور في أمور البلاد، وتقويم حركة الجهاد، وعليه عقد ذلك الاجتماع في العزيزية، على بعد أربعين كيلومتراً جنوب طرابلس في نوفمبر 1912م. لقد حضر المؤتمر لفيف من قادة

---

(137) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع أبو القاسم على ضوء كله، شريط رقم 59-60-61/2/4-8-1978م؛ محمد عبد الكريم الوافي، الطريق إلى لوزان، ط2، بنغازي، 1988 م، صـ87 وما يليها.

(138) عبد الله على إبراهيم، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911 – 1943 م، ط2، طرابلس، 1998 م، ج 2، ص 99، وما يليها.

الجهاد والأعيان في المناطق الغربية من بينهم سليمان الباروني، محمد عبد الله البوسيفي، الهادي فرحات الزاوي، احمد المريض، الهادي كعبار، مختار كعبار، محمد سوف، الساعدي بن سلطان، على بن تنتوش، بشير السعداوي، محمد فكيني، احمد السني، عبد الصمد بن نعاس، احمد البدوي الأزهري، نوري السعداوي،كما حضر عن الجانب العثماني، نشأت بيك قائد القوات التركية ومعاونيه من كبار الضباط العثمانيين.

إن حضور الجانب العثماني للمؤتمر كان يتعلق بمهمة تسليم الأمور لقادة الجهاد،ثم تنسيق عملية سحب الجنود والموظفين الأتراك من البلاد[139].

غير انه لم يسفر عن أي قرار ايجابي وقوي لمصلحة المقاومة، إذ سرعان ما دب الخلاف بين أعضائه وانقسم الزعماء على أنفسهم واختلفوا حول مسألة استمرار حركة المقاومة ضد الايطاليين. ومن هنا ظهر فريقان على المسرح السياسي، كل فريق ينظر من زاوية تختلف عن الآخر:

الفريق الأول فضل العدول عن المقاومة المسلحة ورغب في الدخول في مفاوضات مع العدو من اجل نيل المطالب الوطنية، وتحقيق فكرة الاستقلال الذاتي التي وردت في مرسوم السلطان العثماني بالطرق السلمية. وكان اغلب أنصار هذا الفريق يمثلون العناصر البارزة في بعض الجهات الساحلية مثل الزاوية ومصراته ورشفانة وغيرها. وكان بعض أعيان غريان وترهونة، وكان على رأس هذا الفريق الهادي كعبار، مختار كعبار، أحمد المريض، فرحات الزاوي، على بن تنتوش.

وقد انتهج هذا الفريق مبدأ التفاوض مع الايطاليين بالطرق السلمية، لاقتناع أعضائه بقلة إمكانياتهم المادية والعسكرية، لا سيما بعد انقطاع الإمدادات التي كانت ترِد من الدولة العثمانية وقدرها مائة ألف جنيه في الشهر، وعدم انتظام الإعانات الأخرى التي كانت تأتي

---

(139) ندى عمر شعبان، المقاومة الليبية للاحتلال الايطالي من 1911 – 1932 م، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث في الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بيروت، (1983)، رسالة الماجستير غير منشورة، مكتبة مركز ودراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس من ص 50 و ما يليها .

من البلدان العربية والإسلامية، وقد يؤدي تغلب العدو إلى قطعها فنكون بذلك قد عرضنا أنفسنا ومستقبل بلادنا إلى خطر[140].

أما الفريق الثاني فكانوا يمثلون بعض المناطق الداخلية والجبلية وجهات أخرى، فقد رفضوا التفاوض مع ايطاليا وفضلوا الاستمرار في المقاومة مهما كلفهم الثمن، إلا إذا اعترفت ايطاليا باستقلال البلاد حسب ما جاء في مرسوم السلطان، ولكنهم كانوا على يقين بان الايطاليين لم يأتوا إلا من اجل فرض سيطرتهم على ليبيا وسلب خيراتها. وبناء على ذلك، فانه لا يمكن التوصل إلى أي اتفاق أو تفاهم معهم إلا إذا كان ذلك يخدم أهدافهم العسكرية، وتزعم هذا الفريق سليمان الباروني، وأيده في ذلك نشأت بك القائد التركي آنف الذكر، الذي سلم النقود التي كانت بحوزته لسليمان الباروني وقدرها ألف ليرة عثمانية ذهبية،كما خوله حق تسلم الأرزاق، (حوالي أربعة عشر ألف من أكياس الدقيق، الواردة باسم المجاهدين الموجودة في بن قردان في تونس وراء الحدود الطرابلسية)[141].

وقرر المجتمعون بالعزيزية إرسال رسولا من قبلهم إلى مدينة طرابلس لمقابلة الحاكم الايطالي، ومعه كتاب منهم يبدون فيه استعدادهم للتشاور مع الايطاليين في مصير البلاد، وتحديد موعد للمفاوضة في سواني بنيآدم، وحضر إلى المكان المفاوضون الايطاليون، ولكنهم رفضوا الدخول في أية مباحثات مع الوطنيين، على اعتبار أن مهمتهم لا تعدوا ان يطمئنوهم على حرياتهم وأعراضهم وعاداتهم ...الخ، وأن يقولوا لهم بأنهم ليسوا مفوضين في التباحث معهم في شيء، بل إذا كان لديهم ما يريدون بحثه فالذي يتولى ذلك معهم الحاكم العام نفسه، أو ربما الحكومة المركزية في روما، وانتهز نوري السعداوي الفرصة ليستوضح منهم سبب التناقض بين الفرمان السلطاني الذي يعطي البلاد استقلالها، وبين الأمر الملكي الايطالي الذي يضم ليبيا إلى ايطاليا[142]، فكان جوابهم ان السلطان العثماني ما كان يستطيع بوصفه خليفة

---

[140] عز الدين إسماعيل وآخرون، سليمان الباروني "المعلم المقاتل"، ط 1، دار العودة، بيروت، 1960 م، ص 50 وما يليها.

[141] محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، القاهرة، دار الفكر العربي، 1948 م، ص 144 – 145، 148 – 168.

[142] لمزيد من المعلومات عن قرار ضم ليبيا إلى ايطاليا: انظر، محمد عبد الكريم الوافي، المصدر السابق، ص207 وما يليها.

للمسلمين أن يطلب من أهل البلاد التسليم لإيطاليا، حتى لا يستثير العالم الإسلامي ضده، وطلب المفاوضون الايطاليون ان يختار المجاهدون وفدا منهم للذهاب إلى مدينة طرابلس مركز الولاية ، لبحث موضوع مصير البلاد مع الحاكم الايطالي، ووقع الاختيار على فرحات الزاوي، الهادي كعبار، عبد الرزاق البشتي، مفتي الزاوية، نوري السعداوي للقيام بهذه المهمة. وامتنع هذا الأخير عن الذهاب إلى طرابلس، وقد ابلغ سليمان الباروني نوري السعداوي انه قد اتفق مع قومندان الخمس خليل بك على استمرار القتال، فقد وجب على جماعة الشرق وهم نوري السعداوي، وزملائه الذين حضروا الاجتماع ان ينفروا معه للقتال، فأجاب نوري السعداوي للباروني بان المجاهدين الذين تركوا الحرث والزرع، وانصرفوا إلى القتال، كانت قدرتهم على الصمود والقتال متوقفة على ما ترسله إليهم الدولة العثمانية من إمدادات الأرزاق والمال، فلما أصر الباروني على ضرورة ان يستأنف أهل السواحل (مصراته، زليتن، الخمس، الساحل، الجفارة) القتال طلب نوري السعداوي منه ان يعطي هؤلاء نصيبهم من الأرزاق التي تسلمها، فلم يقبل قائلاً: أنه لا يفعل شيئا من ذلك إلا إذا استأنفوا القتال وثبتوا فيه، وعندما طلب نوري السعداوي ان تنتقل اسر المجاهدين من السواحل إلى الداخل حتى تكون بعيدة عن ميدان الحرب فابلغه الباروني انه قد اتفق مع عبد النبي بالخير قائمقام أرفله أن يبعث إليهم بما يحتاجونه من الإبل، ويبدوا أن عبد النبي بالخير عجز عن القيام بذلك، ثم أبلغوه الباروني أن قائمقام زليتن، محمود عزيز قد اتفق معه (مع الباروني) على استمرار القتال وفي وسعة الاستغناء عن اشتراك الخمس ومصراته وسائر المنطقة الساحلية في الوقت الراهن ويبدوا انهما لم يتوصلا إلى اتفاق، فانتهت المقابلة بينهما على غير نتيجة.

فرجع نوري السعداوي إلى الخمس، وهو مزمع على الهجرة ومغادرة البلاد مع الجيش العثماني، وقد بلغ نوري السعداوي وهو بالخمس أن أعضاء الوفد الذين ذهبوا إلى الحاكم الايطالي قد عينهم مستشارين له بمرتب قدره خمسون ليرة فرنسية ذهبا. وقد غادر نوري السعداوي وأخيه بشير السعداوي البلاد في عام 1912[143].

وفي أوائل نوفمبر من العام نفسه، قام نشأت بك بتسليم الكونت سفورزا وبقية أعضاء البعثة الايطالية إلى سليمان الباروني، غادر بعدها البلاد، وقد لقيت هذه البعثة معاملة حسنة منه،

---

[143] محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المصدر السابق، ص436 – 437

فأرسل الوالي خطاب يشكره فيه على حسن المعاملة التي لقيها أعضاء أسراهم من المجاهدين ويعده فيها برد الجميل عند سنوح فرصة ذلك[144].

والجدير بالذكر هنا انه عندما أُلقي القبض على أعضاء هذه البعثة، كان رأي الزعماء الوطنين قتلهم، ولكن الباروني عارض هذا واخبرهم "بأن قتالهم لا يفيدنا، بينما حياتهم قد تفيدنا مستقبلا، وليس في قتل الأسير مكرمة، فلنتريّث ريثما تتجلى الأمور"[145]، وبالفعل فان موقفه هذا كان له صدى طيبا لدى الحكومة الايطالية ولا سيما سفورزا، الذي اخذ على عاتقه رد هذا المعروف عندما سنحت له الفرصة بذلك، وهذا ما حدث فعلاً عندما لجأ الباروني وبقية المجاهدين إلى تونس في عام 1913م، سوف نتطرق إليه بشيء من التفاصيل في الصفحات القادمة، فقد كان أيضاً على درجة عالية من الحنكة السياسية.

لقد تمخض عن مؤتمر العزيزية حدث سياسي هام،تمثل في تأسيس حكومة مستقلة في طرابلس الغرب.

إعلان الحكومة الطرابلسية عام 1912 م

لقد انتقل الباروني ومن معه من الزعماء إلى يفرن، التي اتخذوها مركزا لهم، وكون جبهة جديدة انظم إليها العديد من المجاهدين من مناطق الجبل الغربي، وزواره، والنوائل والملاحة، والعجيلات، وأولاد أبي سيف، والصيعان[146]، كما قام أيضاً في تلك الفترة الوجيزة بتنظيم قيادة المجاهدين ، فأجرى بعض التعديلات الإدارية والعسكرية ، فشرع يعين المتصرفين، والقائمقامين، والقضاة، والمفتشين، والكتاب، وأنشأ جيشاً من المشاة والفرسان، ونظم البريد والبرق، والتليفون، وفتح لهم مكاتب في جميع الجهات بين ورفلة وغدامس، وغات في حدود تونس، وأنشأ خط حرب إزاء الايطاليين، يبدأ من ورفلة ماراً أمام غريان والزعترية ومنطروس

---

(144) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط 3، دارف المحدودة، لندن،1984 م، ص144.

(145) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، أبو القاسم على ضوء كله، المصدر السابق؛ فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط 1، الفرجاني، طرابلس،1971 م، ص 221 وما يليها.

(146) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم60، مؤرخة في عام 1912 م .

وبير الخشب من جهة العزيزية وأمام الصرمان والعجيلات و العلالقة وزوارة في بلاد الساحل[147].

وقد اختير علم الحكومة الوطنية، فكان اللون الأحمر في الطرف الأيسر، والأخضر في الطرف الأيمن، وكان هذا الأخير اصغر حجما من الأحمر الذي تظهر في وسطه دائرة زرقاء اللون بها شطر برتقالي رسمت عليه خريطة أفريقيا الشمالية، وكتب على جانبي هذا العلم طرابلس، كما كتب أسفل هذا العلم الآية الكريمة " قاتلوهم يعذبهم الله..."[148].

وقام بإرسال البرقيات لطلب الاعتراف بالاستقلال للحكومة الجديدة من مركز يفرن إلى كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وروسيا والدولة العثمانية وايطاليا، يعلمهم فيها بأن الدولة العثمانية قد منحت طرابلس استقلالها، وقد اتفق سكان الجهات الجبلية، والمناطق الجنوبية على المحافظة على استقلالهم، وتعهدوا بالتضحية في سبيل الدفاع عنه إلى آخر قطرة من دمهم، ويؤكد لهم فيها بأنه تولى رئاسة الحكومة الجديدة التي شكلوها باتفاق الآراء، ويطلب منهم احترام هذا الاستقلال والاعتراف به دوليا، وأوضح لهم المناطق الواقعة في حدود الحكومة التي تمتد من اورفله، والمناطق الجنوبية من القطر الطرابلسي إلى فزان وغات وجميع المناطق الجبلية وفي المناطق الساحلية ابتداء من العجيلات إلى الحدود التونسية[149].

ويتضح لنا من خلال هذه البرقية التي جاءت في ثلاثة عشر سطرا ما يلي:

1. بأنها موجهة إلى الدول الكبرى ولا سيما بريطانيا وفرنسا وايطاليا لإعلامهما بأن القطر الطرابلسي قد نال استقلاله من الدولة العثمانية، وقد حددت المناطق الواقعة في الاستقلال جغرافياً.

2. مدى الجهود التي كان يبذلها الباروني في سبيل الحصول على الاستقلال من الدول الكبرى، ولا سيما ايطاليا التي كانت تسيطر على الأجزاء الساحلية والتي تذكرها البرقية.

---

[147] حبيب وداعة الحسناوي، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، دار الكتب الوطنية، 1988، ص182 وما يليها، محمد فؤاد شكري ،السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1948 م، ص148 وما يليها؛ حبيب وداعة الحسناوي، الأساليب الحربية في حركة جهاد الليبيين، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ط 1، طرابلس، 1998م، ج2، ص 389 وما يليها.

[148] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 81، د.ت

[149]وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 78، مؤرخة في عام 1912 م، انظر ملحق رقم 3.

3. إن جميع سكان طرابلس قد اتفقوا على تأسيس هذه الحكومة وانتخبوا سليمان الباروني رئيساً لها.

وقد أرسل تلغرافاً من الذهيبات في طرابلس الغرب بتاريخ 5 يونيو عام 1912م، إلى كل الصحف العثمانية ومما جاء فيه:

"لتكن على ثقة تامة بان عدونا لم ينتصر، وسيظل مقهورا دائما بعون الله سبحانه، خرج العدو ست مرات من قصر قمشه بقوات هائلة وأمطرنا من قنابل البر والبحر مطرا صيبا، ثم عاد والحمد لله في كل مرة من المرات الست مخذولاً مدحوراً.

شهدت بنفسي معركة 30 مايو، ورأيت فيها من عزم المجاهدين وثباتهم ما يحير العقول، ويخلد مفاخر العثمانيين ، ولما خرجت للإشراف على المخافر الساحلية في فروا وجنزور، عدت قرين العين، مباهياً ومفاخراً بما رأيته من حمية المجاهدين وحماستهم الوطنية ..."[150].

وكذلك يطلب في رسالته من الدول العثمانية ان تقف إلى جانب المجاهدين في هذه المحنة لأن هزيمتهم تعني هزيمة الدولة العثمانية، وتقسيمها إلى أوصال، ويؤكد لهم أيضاً بان إذا تم الصلح بينهم وبين العدو فان المجاهدون ماضون في حربهم ضد الايطاليين، وان العدو رغم قوته العسكرية التي يمتلكها لم يستطع التقدم ولو لخطوة واحدة إلى البر[151].

ويتضح من خلال هذه الرسالة ما يلي:

1. تأكيدهم على مواصلة الجهاد ضد الإيطاليين على الرغم من الإمكانيات العسكرية الضخمة التي يمتلكها العدو.
2. إن العدو بإمكانياته الحربية الضخمة لم يستطع التقدم من السواحل إلى المناطق الداخلية.
3. مطالبة الدولة العثمانية بان لا تتخلى عن المجاهدين في ظل هذه الظروف، وذلك لأن هزيمة الطرابلسيين تعني هزيمة الدولة العثمانية وذلك بتقطيع أوصالها.
4. إن التخلي عن الطرابلسيين سوف يثير غضب العالم الإسلامي عليها.

---

[150] رسالة موجهة من سليمان الباروني إلى الصحف العثمانية، نقلاً عن كتاب أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ط2، مركز البحوث، 1948، ص 47 – 48، مؤرخة في عام 1912 م.

[151] رسالة موجهة من سليمان الباروني إلى الصحف العثمانية، نقلا عن كتاب أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا، زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ص48، مؤرخة في عام 1912 م .

5. التأكيد منهم بان الدولة العثمانية حتى إذا تخلت عنهم فهم ماضون في الحرب ضد ايطاليا التي بدأها العثمانيون الأوائل "يقصد بالحرب المقدسة التي وضعها العثمانيون الأوائل". كما قام بإرسال رسالة إلى جريدة الزهراء اليومية التي تصدر في تونس بهددها الصادر صباح 5 فبراير 1912م[152]، حول مسألة الصلح بين العثمانيين والايطاليين، وبأن الحرب الدائرة في طرابلس الغرب قريبة الانتهاء اعتقادا من تلك الصحف، عربية كانت أم تركية، بأن انتهاء تلك الحرب متوقف على عقد الصلح العثماني الايطالي، لأن بانعقاد الصلح تنقطع الإمدادات عن المجاهدين، ولكن الحقيقة غير ذلك، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. لا نرضى بصلح يخل بعثمانيتنا أو يجعل للعدو أي مدخل في بلادنا، حتى إذا عقدت المعاهدة وصدق عليها الخليفة نفسه، وفي تلك الحالة يمكننا ؟؟؟ الحرب باسم الطرابلسيين فقط إلى أخر قطرة من دمائنا .

2. جميع الطرابلسيين على استعداد للجهاد ولا يوجد فيهم أحد ميال للعدو أو يرغب في مسالمته.

3. اتفق الطرابلسيون على جعل الجهاد واجبا على كل قادر على حمل السلاح ولا دخل للعثمانيين في ذلك.

4. تم تعيين بعض من المجاهدين في الشرطة من كل قبائل الجبل لحفظ الأمن داخل البلاد في الحرب، وتمويل المجاهدين بالمعدات الحربية، وبالفعل هم قائمون على ذلك منذ نشوب الحرب بكل نشاط واهتمام.

ثم يختم كلامه بتحذير الدول الأوروبية من اتخاذ موقف الانحياز للايطاليين يتضح من الوثيقة ما يلي:

إن معظم الصحف والجرائد العربية والعثمانية التي خاضت في مسألة الحرب الطرابلسية كلا وجهته ، ودون وعي لمجريات الأحداث الأمر الذي أدى إلى تشويه الحقائق، وذلك بقوله: "هناك من يرى قرب انتهاء الحرب بسبب الصلح الذي عقدته دولة الخلافة مع ايطاليا، فضلا عن ان الزعماء الوطنيين كانوا على خلاف كبير في مسألة مواصلة الحرب، زيادة على

---

(152) رسالة موجهة من سليمان الباروني إلى جريدة الزهراء اليومية في تونس نقلاً عن كتاب؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص49 – 50، مؤرخة في عام 1912 م .

ذلك ان هذه المقاومة كانت بسبب الضغوط العثمانية عليهم، فمتى توقفت تلك الضغوط والمساعدات الخارجية التي كانت تأتي عن طريق تونس توقفت المقاومة، وفوق كل ذلك أن الأوضاع الأمنية السيئة في البلاد كانت تنذر بهذه النهاية.

ويرد على تلك الدعايات أو الأوهام كما يصفها بقوله:

1. تأكيده بأن الطرابلسيون يرفضون الصلح جملة وتفصيلاً، حتى وان كان هذا الصلح صادر من الخلافة العثمانية وبمباركة الخليفة نفسه، وأنهم إلى الآن يقاتلون باسم الخليفة، فإذا عقد هذا الصلح على غير ما يرغبون به فسوف يحاربوا الإيطاليين لوحدهم ودون الاعتماد على الدولة العثمانية إلى أخر قطرة من دمائهم.

2. يؤكد على أن الطرابلسيين لا يوجد بينهم من يقبل الصلح، أو ميال للعدو أو مسالم له وإنهم متمسكين بالدولة العثمانية ومخلصين لوطنهم.

3. تأكيده بان الدفاع عن البلاد من واجب أهلها ولا علاقة للعثمانيين في هذا الدفاع، بل إنهم يتمنون أن لا يدخل هذه الحرب عثماني واحد للحفاظ على حياته، لان الحفاظ على حياته يعتبر في نظرهم كالحفاظ على الدولة العثمانية كلها، ولكن الذي يدفعهم إلى الحرب رغم معارضة سكان البلاد هو حميتهم الدينية وغيرتهم التي تميز بها آبائهم الأولين.

4. أدى سقوط الأمطار إلى زيادة كبيرة في المحاصيل لدرجة لم يعهدوها من قبل، مما يعوض عليهم كل ما أنفقوه على الحرب في السنتين التي مضت.

5. تقريب خطوط التموين وربطها بمواقع الحرب لتسهيل عملية الحصول عليها.

6. إن ما لديهم من الأسلحة كثيرة لدرجة أنهم لم يستخدموا الأسلحة التي غنموها من العدو.

7. إنهم جعلوا لحفظ الأمن ولتأمين احتياجات الحرب من العتاد الحربي وغيره موظفين متخصصين في كل منطقة، الأمر الذي أدى إلى استقرار البلاد بحيث انك لا تشعر بان البلاد في حاله حرب.

8. وحدة الجبهة الداخلية في مواجهة العدو.

9. تامين خط دفاعهم بالمدافع ووضعها في جهة الحرب استعدادا للرد على العدو اذا حاول الخروج على السواحل إلى المناطق الداخلية ، وعند ذلك فقط سيسمع العالم الإسلامي ما

يسره من انتصارات المجاهدين، والأوروبي ما يدهشه من مدى القوى التي أصبح عليها المجاهدون .

10. إذا ظلت الدول الأجنبية الكبرى على الحياد ، فالحرب ستكون محصورة بينهم وبين الايطاليين، وإذا أخلت هذه الدول بالحياد وناصرت ايطاليا فسوف يعدوا ذلك تحيزا منهم باسم الدين، ووجب علينا محاربتهم.

كما أرسل الباروني إلى نائب السلطان في طرابلس يبلغه ما جرى ويطلعه على رأي المجاهدين، فتلقى منه الجواب التالي: "..... إن الصلح قد وقع بين الدولتين، وان الخليفة الأعظم حفظه الله تعالى أرسلني إلى طرابلس وبني غازي نائب عنه لأكون مرجعياً دينياً للأمور الدينية ومحافظاً على المنافع العثمانية [153].

ويبدو لنا من هذه الرسالة، إن سليمان الباروني كان قد بعث برسالة إلى نائب السلطان العثماني في ليبيا، شمس الدين، ليطلعه على مضمون الأحداث التي جرت في أثناء عقد مؤتمر العزيزية وما بعدها، ويطلب منه وقوف الدولة العثمانية إلى جانب الطرابلسيين لمواجهة ايطاليا.

وكان رد نائب السلطان بأنه جاء إلى البلاد بعد ان كلفه الخليفة العثماني بمهمة المرجعية الدينية، وكذلك اخبره بان قاضي القضاة المبعوث من قبل الخليفة على قرب الوصول ليقوم بتعيين نواب عنه في كل أنحاء البلاد، أما الفرمانيين الشريفين تضمنا إعلان من السلطان لكل من أهالي برقة وطرابلس، يمنحهم فيها الاستقلال الذاتي وذلك بعد الصلح الذي عقد بين الدولتين الايطالية ودولة الخلافة، وتبعه نائب السلطان بخطاب غرضه التخفيف من غضب السكان من الموقف الذي اتخذه دولة الخلافة ضده، ثم يلحقه بقراءة آيات قرآنية.

ويطلب منه في نهاية الخطاب بذل جهوده لسد هذا العدوان عنهم دون الاعتماد على الدولة العثمانية.

2 - أهم المعارك التي قادها بين عامي 1913-1914م

---

[153] رسالة موجهة من نائب السلطان إلى سليمان الباروني، نقلا عن كتاب؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 51، مؤرخة في عام 1912 م.

إن انقسام الزعماء في المنطقة الغربية انف الذكر، واتساع شقة الخلاف بينهم التي برزت على أشدها في هذه المرحلة، أدى إلى تفكك الجبهة الوطنية، وأضعاف فعاليتها في مقاومة العدو. وقد استغلت السلطات الإيطالية ذلك الموقف المتردي لترسيخ سيطرتها في البلاد وتوسيع نطاق الاحتلال، فمن ناحية أخذت تتبع ما يعرف بسياسة "فرق تسد" وذلك بإذكاء روح العداء، وتشجيع الفرقة بين قادة الجهاد بكل الوسائل. واستطاعت أن تستقطب عدداً من العناصر المحلية لتحقيق أهدافها [154]. ومن ناحية أخرى قامت بشن هجوم واسع النقاط على معظم المناطق الداخلية في المنطقة الغربية في الفترة ما بين نوفمبر عام 1912م، ومارس عام1913م. إذ تمكن الإيطاليون من احتلال سواني بن يادم والعزيزية وقصر بن غشير في النصف الأول من شهر نوفمبر عام 1912م، ثم توجهت نحو مناطق مسلاته وزليطن ومصراته وتاورغاء، وكذلك جنزور والزاوية[155]. ومع بداية ربيع عام 1913م، وصلت القوات الايطالية إلى غريان وترهونة وبني وليد، وللأسف الشديد فقد حقق العدو كل ذلك دون ان يجابه اى مقاومة يعتد بها. وبرغم صعوبة الموقف الذي كان يواجه فريق المجاهدين الصامد بزعامة سليمان الباروني في جبهات الجبل الغربي أمام التقدم نحو الجبل لإخضاعه، التقت بهم قوات المجاهدين، جنوب مدينة غريان، يوم 23 مارس عام 1913م. وهنا لابد من الإشارة إلى محاولات الإيطاليين في تحييد بعض الزعماء الطرابلسيين أو ضمهم إلى صفوفها، ولاسيما سليمان الباروني، فقد كان الايطاليون علي علم بحقيقة الضائقة المالية التي حلت به وبحكومته، كما إنهم لا يجهلون قلة ما في يده من العتاد الحربي. ويورد كتاب أبو قاسم الباروني، حيات سليمان الباروني باشا زعيم المجاهدين الطرابلسيين نص كتاب سطره الباروني في هذه الفترة ردا علي كتاب جاءه من القائد الإيطالي يتضمن مطاعن في شخصه ومقاصده.

ويقول الباروني في رده:

---

(154) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع مسعود بن احمد أبو فالقة، شريط رقم 1/6/16-4-1978 م.

(155) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا من 1911-1913 م، ط 1، الدار العربية للكتاب، 1983 م، صـ39 وما يليها؛ خليفة محمد التليسي، معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الايطالية، ط1، طرابلس، 1980، ص32 وما يليها.

"ليكن في علمكم إني لست متقلبا ولا غدارا ولا محبا للمال ولا معاديا للإصلاح وللمدنية ... ولكني رجل عرف قيمة الوطن، ومعنى الدين، ولذة الحرية، وفضيلة الشرف، فانا أكثر الناس شوقا إلى رؤية بلادنا داخلة في حلل الترقي... علي شرط حفظ كرامة سكانها وبقاء استقلالها المشروع.

وإني لا استسهل في جنب الحرية النفس، كل صعب... ها أنا الآن آكل من الطعام أخشنه، وأنام على الأرض متوسداً سرج جوادي، واشرب الماء المملح تارة والمر أخرى، وأسير في الليل الممطر المظلم، ولا أرى هذا إلا من الشهد، ولا يزيد جأشي إلا ثباتا.

فحافظوا يا حضرة المعالي على شرفنا وشرفكم، وأشيروا على دولتكم بالموافقة على استقلالنا حسب الفرمان السلطاني، وتعالوا نستعن بكم على تعمير هذا البلاد كما كان أجدادنا من قبل" [156].

ومن هنا يتضح لنا مدى المحاولات الإيطالية في استدراج سليمان الباروني بالأساليب السلمية للإيقاع به، لكنهم لم يفلحوا في ذلك.

أ – معركة الاصابعة

في صباح يوم 23 آذار عام 1913 م، زحف جيش الايطاليين على المجاهدين الذين كانوا قد تجمعوا تحت قيادة سليمان الباروني في مجموعات كبيرة، اتخذت مواقعها ما بين الاصابعة والرابطة، للوقوف في وجه الزحف الايطالي نحو الجبل.

تحرك العدو من موقع تبودان في ثلاث تشكيلات، وسرعان ما اشتبك مع المجاهدين عند مرتفعات الاصابعة، فقد قام المجاهدون بهجوم تطويقي في بداية المعركة، إلا أن تحرك العدو بتشكيلاته المتعددة فوق إمكانية سيطرتهم على الموقف [157]. فقد كان يقذف بالكتائب إلى المعركة كلما فنيت كتائب، وقد كانت خطة العدو أن يوجه قوة من تبودات نحو وادي جندرمه باتجاه الاصابعة على ان تتحرك قوته الأخرى من العزيزية، وذلك في محاولات لتطويق مواقع المجاهدين والقضاء عليهم، فتتم لهم بذلك السيطرة على الجبل تمهيدا للتوغل داخل

---

[156] رسالة موجهة من سليمان الباروني إلى الحاكم الايطالي في طرابلس، نقلا عن كتاب، أبو القاسم الباروني، ص63– 65، مؤرخة في عام 1912 م .

[157] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 81، المصدر السابق.

البلاد، واستمرت المعركة طوال النهار، وكان لا يسمع إلا أزيز الرصاص ودوي المدافع، كما ظهرت بشاعة الحرب في الأشلاء الممزقة والأعضاء المتناثرة، قد اثبت المجاهدون لهذه الجيوش المتدفقة من كل مكان، ورجحت كفتهم في الرابطة، وان رجحت كفة العدو في جندرما، وكانوا جديرين رغم كل شئ بالصمود والثبات لولا أن نفذ ما معهم من ذخيرة، فلما حل الظلام قاموا يدفنون شهدائهم وينقلون الجرحى إلى يفرن، وتكبد العدو في هذه المعركة خسائر فادحة، ولقد أبلى المجاهدون أحسن البلاء، فكانوا يقاتلون حتى كبار رجالات المعركة الوطنية، مثل الشيخ محمد سوف، ومحمد بن عبد الله البوسيفي، الذي اظهر قومه في هذه المعركة بطولة نادرة، وانسحب المجاهدون وعلى رأسهم الباروني من ساحة المعركة تحت جنح الظلام، بعد أن انكسروا في الحرب استعد لها العدو معظم الاستعداد ولم يمهلهم العدو، فاقتفى أثرهم إلى يفرن وصبحهم بجيوشه، وقد أنهك التعب قواهم مع نفاذ ما بأيديهم من الخرطوش، فانسحبوا مكرهين من يفرن، وفر من بقى منهم إلى نالوت للالتجاء إلى الأراضي التونسية، واستمر الايطاليون في زحفهم، فاحتلوا غدامس في ابريل 1913 م، واحتلوا فردة في يوليو من العام نفسه[158].

التجأ المجاهدون الذين كانوا في منطقة زوارة إلى حدود تونس، وعلى أثرهم جاء الشيخ سليمان الباروني ومن معه من المجاهدين ومن أعيان الجبل ساسي حزام ويوسف خربيش، واجتمع الجميع في الأراضي التونسية، فطلبت منهم فرنسا تسليم سلاحهم قبل كل شيء، وأجابوا الطلب بعد ان يجتازوا الحدود بمسافة يأمنون فيها على أنفسهم من الايطاليين، وبعد أن تسلمت جميع أسلحتهم قالت لهم: إن الأراضي التونسية لا تتسع لغير أهلها وخيرتهم بين ان تختار لهم الحكومة مكانا يقيمون فيه مجتمعين أو يختاروا لأنفسهم بلدا آخر يذهبون إليه، فاختار بعضهم الرجوع إلى طرابلس، والتحق بعضهم الآخر بالسيد محمد بن عبد الله في فزان، واختار الباروني الذهاب إلى الأستانة، واختار سوف الهجرة إلى الشام، وسلم الباروني الأرزاق الموجودة في بن قردان باسم المجاهدين إلى يوسف خربيش، وسافر هو وساسي خزام

---

(158) أبو القاسم البارونـي، المصدر السابق، ص63، وما يليها؛ عز الدين إسـماعيل وآخـرون، المصـدر السابق، ص 65 وما يليها؛ أمين سعيد، الدولة العربية المتحدة، مطبعة عيسى البـابي وشـركائه بمصـر، القاهرة ،1938 ج2، ص503 – 504؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلـة مع عربي عمر النالوتي، شريط رقم 13 – 14 / 6 /28 - 5 – 1978 م.

إلى تونس. وهناك التقوا بالكونت سفورزا آنف الذكر، بإشراف الحاكم الفرنسي، ثم استدعى محمد سوف إلى الاشتراك في الحديث، فحضر معه سعد حلبوده، مدير الصيعان، والشيخ ضو العلالقي فأصروا على عدم رجوع المجاهدين إلى طرابلس، وانتهى الحديث بينهم وبين سفورزا ورجع إلى ايطاليا، وبقى المجاهدون في تونس إلى أن يأتيهم الإذن بالهجرة إلى الشام [159]. وهنا لابد من الإشارة إلى انه أثناء المفاوضات التي جرت بين الطرفين، كانت الصحف والجرائد الايطالية تبث أخبار كاذبة تتهم فيها الباروني ورفاقه بأخذ رشوة من الحكومة الايطالية مقابل إنهاء الحرب وقدرتها بملايين، وهنا اعتذرت الحكومة الايطالية للباروني في رسالة موجهة من الكونت سفورزا إليه ومما جاء فيها:

"... انتم تحتقرون المال كما كان أسلافنا يحتقرونه ولم تطلبوا شيئا لشخصكم ولذلك لكم كل اعتباري وصداقتي وكانت الجرائد قد طعنت فيكم واتهمتكم بأمور لا أصل لها"

ويختم رسالته بقوله:

"... إني اعلم يقيناً انه قليل ونادر من يستطيع ان يقول مثلكم ما أردت شيئاً ولا طلبت شيئا سوى منافع الوطن والسلام" [160].

سافر الباروني من تونس إلى لندن، قاصداً الأستانة، وفي لندن التقى به صاحب مجلة الشمس "التايمز" الأفريقية في 14 شوال من نفس العام، فأفضى إليه بحديث طويل للرد على تلك الإشاعات الكاذبة، ونقتطف منه ما يتعلق بالرد على هذه التهم الباطلة، وهذا نصها:

"إن حكومة ايطاليا تحققت نزاهتي وعفتي من زمن الحرب العثمانية فلم تتجاسر على مخاطبتي في شأن الرشوة، لأنها لما أشارت إلى ذلك في بعض مكاتباتها الأولى، أجبتها بأنني أنا ورجالي لا نرضى ألا بالموافقة على الاستقلال الذي تفضل به علينا السلطان... إني ما التجأت إلى تونس إلا بعد نفاذ كل ما بيدي من لوازم الحرب ... ثم سلمت سلاحي إلى مأموري فرنسا ليقبلوا دخولي للأراضي التونسية، ففي مقابلة أي شئ تعطيني ايطاليا أموالها، وبأي وسيلة

---

[159] الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص170 وما يليها؛ عبد الله علي إبراهيم المصدر السابق، ص106 -107؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع مسعود بن احمد بن فالقة، شريط رقم 1978/6/1م.

[160] رسالة موجهة إلى الباروني من الكونت سفورزا، نقلا عن كتاب؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص70، مؤرخة في عام 1913م.

اطلب أنا منها المال حيث إني لم اترك للصلح مجالاً، ودافعتها إلى أن أخذت مني البلاد بقوة المدافع وكثرة الجنود، ولو سأل مخابرو تلك الجرائد بعض رؤساء الحكومة الإيطالية لأخبروهم بأسماء الذين قبلوا الرشوة، ومدوا أيديهم الحقيرة مطأطأي رءوسهم لتناول الرشوة ثمنا لشرفهم أما أنا فلا يجدون أسمى إلا في صدور دفاتر الواقع المشهورة، والهجوم الشديد في الليل والنهار على الحصون والاستحكامات، من يوم الهجوم على الهاني إلى يوم دخولي تونس".

ثم سافر إلى الأستانة، ووصل هناك في ربيع عام 1914م، وهناك أكرم السلطان العثماني محمد الخامس، وانعم عليه برتبة الباشوية، وعضواً في مجلس المبعوثان[161].

ب – سفره إلى السلوم في عام 1914 م

عقب إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914 قامت الدولة العثمانية بإرسال قادتها إلى العديد من الدول العربية في محاولة منها لإثارة الثورات داخل هذه الدول، وذلك لإشغال دول الوفاق (فرنسا – بريطانيا – ايطاليا) بقصد تشتيت جهودها وتوزيع قواتها وتفريقها فلا تستطيع تركيز جهودها الحربية في جبهة بعينها، ومن ثم يسهل على الدولة العثمانية التي دخلت في الحرب إلى جانب ألمانيا هزيمة هذه الدول والانتصار عليها وذلك في محاولة منها لاستعادة الأجزاء التي فقدتها من إمبراطوريتها، وبما أن ليبيا كانت جزءا من هذه الإمبراطورية وقد أخذت منها عنوة بعد ان أجبرتها الدول الكبرى المذكورة على توقيع معاهدة أو شيء لوزان في عام 1912 م، والتي تنازلت بموجبها عن ليبيا إلى ايطاليا، ولكي تنجح خطتها هذه فقد أوثقت صلتها ببعض الشخصيات الإسلامية في مصر وليبيا وتونس والجزائر والعراق والسودان ... الخ، وأقنعتهم بوجوب تخليص بلادهم من الاحتلال والاستعمار الأوربي بصفة خاصة، وإنها وحليفتها ألمانيا على أتم استعداد لتزويدهم بما يحتاجونه من سلاح وعتاد ومال ومئونة [162].

---

[161] الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص177 وما يليها؛ عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص67 وما يليها؛ قاسم، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، 1968 م، ص223 وما يليها.

[162] مصطفى على هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى ط1، طرابلس 1988، ص53.

وبالفعل قامت الدولة العثمانية بإرسال عدد من قادتها وكان من ضمنهم سليمان الباروني إلى ليبيا ولا سيما في منطقة السلوم التي كان يعسكر احمد الشريف السنوسي، ولقد تم اللقاء بين القادة والأتراك، وكان على رأسهم نوري باشا شقيق أنور باشا وكذلك جعفر العسكري، بالإضافة إلى الضابط الألماني مانسمان وبين احمد الشريف، وقد تركزت المقترحات التي قدمت في ذلك الاجتماع على إنشاء دولة إسلامية في الشمال الأفريقي تقوم بمساعدة الألمان والعثمانيين، وشكلت لجنة من الضباط المنتسبين إلى منظمة تشكيلات مخصوصة في عام 1915 م، وهي منظمة عثمانية سرية مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للإمبراطورية ومكافحة التجسس الأجنبي عليها، وكان معظم المنتسبين إليها لهم صفة عسكرية، وقد اتخذت هذا الاسم رسميا في عام 1914 م، كان من أعضائها أنور باشا وشقيقه نوري باشا، وسليمان العسكري، وبشير السعداوي، وقد اختارت هذه اللجنة احمد الشريف قائدا لشمال أفريقيا [163].

وعندما وصل سليمان الباروني إلى السلوم، سأله هلال السنوسي شقيق احمد الشريف الأصغر عن شعر رأسه الطويل فأجابه بقصيدة شعرية :-

هذا هوا الشعر الذي شاهد الحروب الهائلات
؟؟ إن يبقى إلى أن يعبر الجند للقناة
لنرى الغزاة على ضفاف النيل تفتك بالبغاة
ونرى طرابلس العزيزة في ليال باهرات
وتسود أعلام الخليفة في البلاد الضائعات... [164]

ويبدوا واضحا من خلال القصيدة

"إن الباروني عثماني الميول وهو على علم بالمخطط التركي لغزو مصر وإعداد حملتين لها شرقية وغربية، وإخراج الانجليز منها، تم تحرير طرابلس بعد إخراج الايطاليين منها، وفق ما يعنيه الباروني بجملة (يعبر الجند القناة) فالجند هم العثمانيون والقناة هي قناة السويس".

---

(163) مصطفى علي هويدي، المرجع السابق، ص53

(164) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 109، مؤرخة في عام 1915 م، انظر ملحق رقم 4.

وقد وصلت هذه الأبيات الشعرية إلى مسامع السنوسيين، وكانت سبباً في الخلاف بينهم وبينه ونظرا للاختلاف القائم في وجهات النظر العثمانية والسنوسية حول هذه المسألة، فقد اعتقل احمد الشريف سليمان الباروني وفرض عليه إقامة جبرية في الجغبوب[165]، وقد وجه الباروني من هناك رسالة إلى احمد الشريف يطلب منه رفع الإقامة الجبرية عنه، لحضور الاحتفال المقام تكريما لمولد النبي ﷺ، إلى جانب توضيح بعض النقاط العالقة بينهم [166]

يتضح من هذه الرسالة المؤرخة في عام 1915م، ما يلي:

1. إنه قد اعتقل من قبل احمد الشريف والسبب في ذلك ما ذكرناه سابقا من اختلاف في وجهات النظر بين احمد الشريف والقادة العثمانيين، وقد عد هو أيضاً متهما وذلك لعلاقته الوثيقة بالعثمانيين وميوله الشخصية والسياسية للدولة العثمانية، كذلك لما دبره بعض القادة العثمانيين من المؤامرة بهدف التخلص من السيد أحمد.
2. إن الباروني يستحسن تضليل الإنجليز بهذا الشكل وتغفيلهم اذا كان قصد السيد احمد الشريف عدم إظهار نواياه الحربية إزاءهم.
3. إن الباروني يعتقد ان مدة اعتقاله في الجغبوب كافية للدلالة على إن السيد أحمد على خلاف مع أتباعه العثمانيون.
4. يبين الباروني للسيد احمد ان زيادة اعتقاله فيها شماتة الطرفين العدوين البريطانيين والإيطاليين الذين كان همهما أن ينقسم المجاهدون على أنفسهم ويدب بين صفوفهم الاختلاف والانقسام.
5. إن التحقيق مع الباروني في التهمة الموجهة إليه لم يتم بعد حتى تاريخ هذه المسالة التي يؤكد فيها إن كل ما قيل عنه هو مجرد أوهام ودس وإنه بريء.
6. في نهاية الرسالة يأمل فيها من السيد احمد الشريف ان يحضر معه الاحتفال بالعيد النبوي الشريف و ألا يتجاوز اعتقاله هذه المناسبة المباركة.

---

[165] زعيمة البارونـي، سليمان البارونـي. تعريف موجز، المصدر السابق، ص12.

[166] رسالة موجهة من سليمان البارونـي إلى احمد الشريف، نقلا عن كتاب؛ زعيمة البـارونـي، صـفحات خالدة، المصدر السابق، ص495، مؤرخة في عام 1915 م.

وفي رد من أحمد الشريف على احدي رسائل الباروني جاء فيها:

"فقد وصلنا كتابكم وطلبكم حضور وصفى بي والشيخ احمد الدردفي فأعلم أخي فهذا الأمر لا يمكن لأننا جعلنا أمر تحقيقاتكم لم ندخل فيها احمد الدردفي و لا وصفي بي.

إنما جعلتها رسمية بيني وبينك، فبهذا السبب غير ممكن إرساله لابد من مجاوبتك على كل ما سألتك رسميا وان كان جعلت لغيرك مجلس للتحقيق فأنت مقامك ليس مثل مقامهم والله الموفق المعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم البصير"[167].

يتضح من رسالة السيد أحمد الشريف هذه إلى سليمان الباروني ما يلي:

1. يتضح من النص ان سليمان الباروني قد بعث برسالة إلى السيد أحمد الشريف يطلب فيها حضور شخصين هما وصفي بي وأحمد الدردفي للتحقيق معه في التهمة الموجهة إليه في قضية المؤامرة علي حياته .

2. إن الشخصين الذين طلبهما هو وصفي بي الذي هو محمد وصفي الخازمي، وهو محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الله الخازمي، عرف بوصفي في العهد العثماني المميز، وهو من قبيلة الخوازم من ورفلة، جاهد في بداية الغزو وهاجر في عام 1913م إلى الدولة العثمانية، ورجع إلى برقة أثناء فترة الحرب العالمية الأولى، وانظم إلى قوات احمد الشريف وظل ملازماً له، هاجر إلى مصر، وظل بالإسكندرية حتى وفاته عام 1924م .

أما احمد الدردفي فقد كان احد رجال أحمد الشريف المقربين إليه، وهو من الشيوخ التقاة الورعين و المتعلمين، كما حضر أحداث الحملة العسكرية على البريطانيين على حدود مصر الغربية ولازمه أيام بقاءه في الواحات الليبية وكان سكرتيراً له.

3. إن رفضه لطلب الباروني واضح في الرسالة، والسبب أنه جعل أمر التحقيق معه رسميا واختص بنفسه ذلك الأمر، الذي جعله رسميا بينه أي كتابة، وهذا ما حدث.

4. يبين الباروني أنه يكن احتراما بالعين والدليل هو ان يجعل لغيره مجلساً للتحقيق معه لكن مقام الباروني عنده أسمى وأعلى من ذلك .

---

[167] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 52 – مؤرخة في عام 1915 م.

مما تقدم يتبين لنا ان سليمان الباروني كان صادقا في جهاده، مع أحمد الشريف في منطقة السلوم، غير ان نشوب الخلاف بين العثمانيين والسيد أحمد الشريف قد أدى في نهايته إلى وضع كل الذين كانت لهم صلة قوية بالعثمانيين في موضع الشك والريبة، وبما إن سليمان الباروني كان يرتبط معهم ارتباطاً وثيقاً لذلك قد عد طرفا في ذلك الخلاف رغم ما يكنه له السيد احمد الشريف من مكانة كبيرة لديه والتي صرح بها، والتي صرح بها له في إحدى رسائله التي ذكرناها سابقاً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان الدسائس التي دبرت من قبل بعض الموجودين والتي كان الهدف منها خلق البلبلة و الانقسامات في صفوف المجاهدين قد أدت دورها في حرمان سليمان الباروني من الجهاد في طرابلس الغرب في الفترة التي عرفت في التاريخ (بثورة التطهير) [168] التي استمرت حتى قدوم الشيخ سليمان الباروني إلى طرابلس 1919 م.

3 - دوره في تامين الإمدادات العسكرية بين عامي 1915 - 1916 م

لقد ازدادت مكانة سليمان الباروني عند العثمانيين ، ولا سيما لمنظمة تشكيلات مخصوصة بفضل ما عبر عنه من صلابة وإقدام في تلك القصيدة السابقة الذكر، والتي طبعت بالغتين العربية و التركية، ووزعت بالآلاف، فبعد أن أطلق سراحه السيد احمد الشريف وكان ذلك في منتصف عام 1915 م، سافر إلى الأستانة، وهناك قام بتقديم مقترحات إلى حكومة الخلافة، يؤكد فيه عزمه على مواصلة الحرب في طرابلس الغرب، يطلب منهم تقديم العون له في ذلك، كما اقترح عليهم إرسال أخاه يحيى إلى البلاد ليستطلع له على أحوالها، فوافقت الحكومة على طلبه وعينته والياً وقومندانا على طرابلس الغرب، و أرسلت أخاه يحيى إلى هناك على متن غواصة حربية وانزله بالقرب من مصراته، ومن هناك قام بالتوغل إلى الداخل حتى وصل إلى مصراته والتقى بالزعيم رمضان السويحلي الذي كان يرأس مصراته آنذاك، واخبره عن عزم سليمان الباروني بالتعاون مع الدولة العثمانية مواصلة الحرب ضد الايطاليين، وقد رحب

---

[168] ثورة التطهير: هي تلك الثورة التي حدثت في كل ولايات طرابلس عقب معركة القرضابية وبفضلها طهر وحرر المجاهدون معظم الأراضي الليبية من الاحتلال الايطالي الذي تم حصره في الشريط الساحلي (طرابلس-الخمس- بنغازي- درنة- طبرق). مصطفى على هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، المصدر السابق، ص 51.

رمضان السويحلي بهذه الفكرة، كما رحب بقدوم سليمان الباروني وما يحمله إلى مصراته، و في يوم 17 من ذي الحجة سنة 1334 هـ الموافق 15 أكتوبر عام 1916 م، رست الغواصة التي تحمل سليمان الباروني بالقرب من مصراته، ونزل منها يحمل الهدايا والأوسمة والنياشين للزعماء والرتب[169] للقادة والأعيان، كما يحمل أيضاً منشوراً من السلطان العثماني محمد رشاد الخامس.

أما أخاه يحي فقد أبحر على متن الغواصة عائداً إلى الأستانة حاملاً معه العلم الكبير الذي ختمه رمضان بك السويحلي في مصراته فقدمه إلى السلطان العثماني [170]. وما أن شاع خبر تواجده في البلاد حتى توافد عليه الزعماء الوطنيين من كافة أنحاء الولاية، وقرأ عليهم المنشور. وبعد يوم واحد من وصوله أرسل كتاباً إلى رئيس المجاهدين بالعزيزية الشيخ محمد سوف رسالة [171]، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1. يؤكد إلى الشيخ محمد سوف بأنه قد وصل إلى طرابلس ومعه ما يلزم من سلاح والعتاد والمؤن لمواصلة المقاومة ضد الايطاليين.
2. إن أهالي مصراته قد أقاموا احتفالاً بمناسبة قدومه إليهم سالماً.
3. إن الخليفة العثماني محمد رشاد الخامس قد أمر حكومته بإلحاق طرابلس الغرب إلى الدولة العثمانية من جديد.
4. أنه تم تكليفه من قبل الخليفة بإعادة تنظيم البلاد في شتى النواحي الإدارية والمالية و العسكرية.
5. أنه سوف يتم عقد اجتماع يضم جميع زعماء البلاد من اجل التشاور في مستقبل البلاد وانه حتى الآن لم يتم تحديد لا الزمان ولا المكان .

---

[169] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 69، مؤرخة في عام 1916 م.

[170] مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع سليمان المجنون، شريط رقم 56 – 59 / 2 / 14 – 11 – 1978 م؛ الهادي إبراهيم المشيرقي، مقابله أجراها الباحث مع الهادي إبراهيم المشيرقي، طرابلس، عام 2004 م.

[171] رسالة من سليمان الباروني إلى محمد سوف، نقلاً عن كتاب؛ زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 93، مؤرخة عام 1916 م.

وقد نشرت جريدة العدل بتاريخ يوم الاثنين عام 1916 تقول فيها إن خبر تعيين سليمان الباروني تلقاه الطرابلسيين بغاية الفرح والابتهاج وأقاموا احتفالاً لهذه المناسبة [172].

و من ابرز المهام التي كانت تنتظره في ذلك الوقت هو العمل على نشر الوفاق بين الزعماء الطرابلسيين، وفتح الجبهات المتعددة لمحاربة الايطاليين في ليبيا وفض النزاع بين رمضان السويحلي من جهة، وأتباعه من جهة أخرى والسنوسيين من ناحية الشرق وأتباعهم، وبين ترهونة والسويحلي [173]. وقام بتوجيه رسالة إلى إدريس السنوسي يطلب فيها منه إيقاف النزاع مع رمضان السويحلي وتوحيد الصف لمحاربة عدو البلاد [174] .

وقد رد عليه إدريس برسالة يبرر فيها قيام أتباعه بذلك، وانه سوف يعمل على إزالة الخلاف الذي نشب بين الطرفين كما يقول مقصدنا واحد ونحارب تحت الراية الإسلامية العثمانية [175].

كذلك فقد أعاد تشكيلات الولاية إلى ما كانت عليه في العهد العثماني، ووضع نظام إداري حديث ينظم الأعمال وجميع الأمور ومقتضياتها، بحيث أصبحت جميع الإدارات في كل المناطق على اتصال فيما بينها وبين مركز الولاية، كما عمل على محاصرة الايطاليين داخل أسوار طرابلس والخمس وزوارة، كذلك سعى للتعريف بالقضية الطرابلسية والمطالبة بعدالة هذه القضية وتحرير البلاد، كما اهتم بأمور البلاد الاقتصادية لأنه كان على علم بان الاقتصاد هو وقود حرب التحرير التي يقودها المجاهدون، بتنظيم مواسم الحراسة والحصاد، وجمع محصول التمور وعدم قطع النخيل، هذا فضلاً عن اهتمامه بالعمل على حصول الإعانات الخارجية عن طريق الغواصات وغيرها، وحماية هذه

---

(172) جريدة العدل نقلا عن كتاب؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 62.

(173) محمد مسعود جبران، المصدر السابق، ص 48؛ عمر عربي النالوتي، المصدر السابق.

(174) رسالة من سليمان الباروني إلى إدريس السنوسي، نقلا عن كتاب؛ جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص298 – 299 مؤرخة في عام 1916 م.

(175) المصدر نفسه، ص 299.

الخطوط من هجمات العدو بحيث قام بتكليف بعض المجاهدين لهذه المهمة [176].

ولقد كانت الإعانات الألمانية التي قُدمت إلى سليمان الباروني من أهم العوامل التي ساعدت المجاهدين على استمرار حركة المقاومة، وهذا ما أكدته إحدى تلك الرسائل [177] التي كان قد بعث بها وزير خارجية ألمانيا إلى سليمان الباروني والتي يتضح منها:

1. إن ألمانيا ممثلة في وزير خارجيتها كانت تعير اهتماماً كبيراً للأحداث التي كانت تجري داخل البلاد، وكانت راضية عن تلك الانتصارات التي حققها المجاهدون على قوات الاحتلال الايطالي عدوة الدولة العثمانية وعدوتهم.

2. أنها تسعى إلى توسيع نطاق الحرب داخل طرابلس ضد العدو المشترك وذلك يرفع من الروح المعنوية للمجاهدين.

3. من اجل تحقيق ذلك فان الحكومة الألمانية قررت زيادة دعمها لهذه المناطق وذلك بإرسال الغواصات الحربية إلى ميناء مصراته، لحماية الساحل من هجمات العدوين الايطالي والفرنسي .

4. أيضاً قررت شراء جميع المحاصيل الزراعية من المجاهدين ونقلها بتلك الغواصات إلى جبهات حربها، وتقدم مقابل ذلك السلاح والعتاد الذي يحتاجه المجاهدون فتكون بذلك قد عوضت عليه ما قد يتعرضوا له من ضائقة مالية بسبب الحصار.

5. أن يعمل سليمان الباروني على توفير المواد الأولية التي تلزم الجنود الألمان في الحرب وجعلها قريبة من الساحل، لتكون في متناول أيديهم حينما يحتاجونها، وقد حدد له تلك المواد في: الزيت، البيض، البلح، ووبر الجمال، وصوف الغنم.

---

[176] للمزيد من المعلومات عن خطوط الإمدادات انظر: محمد الحمد الطوير، العوامل المساعدة في حركة الجهاد الليبي 1911 – 1932، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ط2، طرابلس 1998، ج 2، ص 359، وما يليها؛ سليمان المجنون، المصدر السابق؛ محمد لطفي إبراهيم، تاريخ حرب طرابلس، المصدر السابق، ص 77 – 78.

[177] رسالة من وزير خارجية ألمانيا إلى سليمان الباروني، مقلا عن كتاب؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، صـ89، مؤرخة في عام 1916 م.

6. إن مسؤولية استلام هذه المواد جعلها محصورة في قائد رئيس الغواصة والمسؤول عن دفع ثمن هذه المواد من مسؤولية الضابط البارون فون توندورت، وذلك لكي لا يحدث أي خلل في عمليات الاستلام والتسليم.

7. أحاطه علما بالكمية التي يجب توفيرها لكل غواصة، لكي لا يحدث نقصاً فيها أو زيادة.

8. أنه يرجوا أن يكون هذا العمل قد ساعد أهالي مصراته على بيع ما لديهم من محاصيل زراعية بأثمان جيدة، قد تعوض عليهم الأضرار التي تسببها لهم الحرب في بعض الأوقات .

ولقد وصل الباروني إلى غرب طرابلس وزار المقاطعات واجتمع بالأعيان حتى وصل إلى الزاوية الغربية فاستقر بها وجعلها عاصمة إدارته، وذلك لتوسطها بين الجبل الغربي والشمال الساحلي والجنوب الشرقي، وفيها أنشأ الحكومة لولايته الجديدة، ولكنها لم تكن على النظم المتعارف عليها في العصر الحديث، إذ ليست لها سلطة تشريعية ولا تنفيذية، بل كانت لها لوائح قانونية رسمية للمالية والمعارف الحربية والقضاء والشؤون الداخلية والشؤون الخارجية ، يتولاها موظفون أكفاء ومسؤولون أمام هيئة الرسالة الحكومية. وقد كانت عبارة عن حكومة رمزية في قيامها لتنسيق الأغراض و الأعمال الجهادية بمزيج من الأساليب العثمانية والقبلية وذلك نظراً لظروف البلاد الاقتصادية والسياسية والحربية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن منطقة العجيلات كانت مسرح للأحداث الحربية طيلة عام 1916م، وفيما بعده حيث أن الكثير من المعارك بين المجاهدين والإيطاليين قد وقعت في تلك المنطقة[178] .

ونذكر منها على سبيل المثال:

1. معركة جنان بن نصيب (غرب العجيلات) يوم 16 من أغسطس عام1916م، أي بعد احتلال زوارة الثاني بشهرين تقريباً.

2. معركة قصر العجيلات الاولي يوم 7من أغسطس من العام نفسه.

---

[178] العجيلات: تقع في الجزء الغربي من ليبيا، سميت كذلك نسبة إلى الولي الصالح الذي دفن بها (امحمد بن حركات الأنصاري) "الشيخ أبو عجيلة"، تبعد عن طرابلس ثمانيين كم، وعن الحدود التونسية حوالي التسعين كم، يحدها البحر المتوسط شمالاً، والجبل الغربي جنوباً، تتمتع بموقع استراتيجي هام، بلغ عدد سكانها عام 1911 م، نحو خمسة عشر ألفاً، انظر؛ مصطفى علي هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي، المصدر السابق، ص 217.

3. معركة العجيلات الثانية يوم 7من الشهر والعام نفسه.

ويرجع ذلك إلى أن الذين اشتروا في المعارك ضد الايطاليين في هذه الجبهة معظمهم من سكان المناطق الغربية عامة، والذين دخلوا في الحرب تحت لواء الباروني، وأداروا المعارك الكثيرة هناك، كذلك فان قربها من الحدود التونسية كان له دور مشجع وايجابي في تزايد نشاط هذه الجبهة.

فالتجارة مع تونس لعبت دورا في تغذية المجاهدين وحصولهم على بعض المؤن، وكذلك فان تسلل العديد من التونسيين انضمامهم لجبهة المجاهدين زاد قوة هذه الجبهة وشجعها على مواصلة القتال [179].

---

[179] مصطفى علي هويدي؛ نفسه؛ ص 189 وما يليها؛ الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في ديار الهجرة، الفرجاني، طرابلس، 1976، ص 105 وما يليها.

الـــفـصـــل الـــرابـــع

نضالهُ ضد الاحتلال الايطالي من عام 1916–1922م

أولاً: دورهُ في المقاومة ضد الاحتلال الايطالي في عام 1917م.

ثانياً: إعلان الجمهورية الطرابلسية والقانون الأساسي بين عامي 1918–1919م.

– مؤتمر مسلاته.

ثالثاً : موقف ايطاليا من الجمهورية الطرابلسية.

رابعاً : تجدد المقاومة.

– معركة جنزور في 2 من يناير عام 1919م.

– معركة رأس الغول 8 – 10 فبراير 1919م.

– صلح بن يآدم.

– تشكيل حكومة مختلطة في مدينة طرابلس عام 1919م.

خامساً: مؤتمر غريان وآثارهُ السياسية 1920–1922م.

– تأسيس هيئة الإصلاح المركزية.

1 – دوره في المقاومة ضد الاحتلال الايطالي في عام 1917م

لقد سعت القوات الايطالية إلى توسيع سيطرتها خارج مدينتي طرابلس والخمس، حيث قامت بتوجيه حملات عسكرية كبيرة على جميع الجهات، غير أن هذه الخطط التوسعية قد باءت بالفشل، بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها المجاهدون في تلك الحملات الشرسة، الأمر الذي أجبر القوات الايطالية على التراجع من جميع تلك المناطق والاحتماء بتحصيناتها من تلك الهجمات البطولية في المدينتين السابقتين، وقد كان سليمان الباروني على رأس تلك المقاومة، حيث قاد العديد من المعارك ضد العدو على امتداد هذا العام، ولاسيما في المنطقة الواقعة غربي طرابلس، ومن تلك المعارك ما يلي:

1. معركة غرب العجيلات في يوم 16 يناير عام 1917م.
2. معركة تليل الأول في 18 ابريل "شمال العجيلات بأربعة كم"، من نفس العام.
3. الشبيكة في غرب العجيلات يوم 29 مايو من العام نفسه.
4. معركة غوط الديس في يوم 3 من سبتمبر منه.
5. أيضاً وقعت في هذا العام من يوم 4 سبتمبر معركة الشيخ بوعجيلة.
6. كذلك معركة المشاشطة في يوم 9 من سبتمبر.
7. ومعركة صرمان في أوائل سبتمبر من نفس العام.
8. معركة سواني بن ادم وهي أهم المعارك التي وقعت في هذا العام في أوائل سبتمبر، وسوف نحاول التطرق إليها بشيء من التفصيل لأهميتها الكبيرة بالنسبة لحركة الجهاد في هذه الفترة[180].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن معظم المعارك التي وقعت في هذه الفترة، رجحت فيها كفة المجاهدين، بالرغم من الإمكانيات الحربية المتواضعة وحتى البشرية منها، بالمقارنة بإمكانيات القوات الايطالية الضخمة.

في أول يناير عام 1917م قامت ايطاليا بحشد قوة كبيرة في زواره، ولكنها لم تكد

---

[180] محمد امحمد الطوير، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث، ط 1، كلية الآداب، الزاوية، 1998م، ص 59–60؛ مصطفى علي هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد، المرجع السابق، ص 218–218.

تشتبك مع المجاهدين في يومي 16، 17 في معركتي الجديده والعجيلات حتى عادت أدراجها إلى زواره، متخوفة من نتائج الاستمرار في المغامرة، وفي نهاية مارس من العام نفسه، شكلت قوة كبيرة بقيادة الجنرال (كاسينس) تتألف من خمسة آلاف ومئة وعشرين من النظاميين، وأربعة آلاف ومئتان وتسعة وخمسون غير نظاميين، وخمسة آلاف وخمسمائة وخمسون من الفرسان، وستة عشر قطعة مدفعية، وقد تحركت هذه القوة من زواره يوم 5 ابريل من نفس العام، واشتبكت في معركة العجيلات (دورانيه) التي استمرت ما يقرب من خمس ساعات، تمكنت بعدها من دخول العجيلات، ولكنها لم تلبث أن ارتدت إلى قواعدها في زواره.

وفي نهاية أغسطس، قامت القوات الايطالية بإرسال قوتان في وقت واحد، بالزحف على الشريط الساحلي الغربي، الأولى تنطلق من زواره في 3 سبتمبر والثانية في اتجاه مقابل من طرابلس، وفي إطار هذا الزحف نشبت معارك الطويبية في 3 سبتمبر ومعارك أبو عجيلة 4 سبتمبر، وقرقوزه 7 أكتوبر، ثم المشاشطة في 18 أكتوبر، ولم تفلح هذه الحركة في تحقيق ما كانت تحلم به ايطاليا من بسط السيادة الفعلية على هذه المنطقة. ولم تزد على أن كانت حركة استعراضية، إذ ظل المجاهدون ينتشرون في المنطقة ويثيرون المضايقات في وجه حاميات العدو (جس نبض)[181].

وظلت القوات الايطالية تشعر بالخطر الذي يتهددها، من وجود مجموعة كبيرة للمجاهدين في منطقتي سواني بن ادم وفندق بن غشير، تقدر بحوالي ألفي مسلح، فخرجت هذه القوة من قواعدها، زحفاً على فندق بن غشير، ولم تكد تمض نصف الساعة على هذا الزحف، حتى اصطدمت بالمجموعات الأولى للمجاهدين الذين أخذوا يركزون هجومهم على الجناح الأيمن، كما اخذوا يواجهونها عند المرتفعات المعروفة باسم (المجمر) الواقع على مسافة أربع كيلومترات جنوب شرق سواني بن ادم، وتعترف المصادر الايطالية بأن كل فيالقهم قد (تسمرت في الموقع).. ولم تعد تستطيع الحراك، وحاولت عبثاً توجيه فصائل من قواتها نحو بن غشير، مركز تجمع المجاهدين، ولكنها سرعان ما عدلت عن ذلك، ودعيت هذه الفصائل للعودة إلى أماكنها، بالنظر إلى انهيار الوضع بالجبهة الايطالية وضرورة الاحتفاظ بكافة القوى

---

(181) خليفة محمد التليسي، معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الايطالية، المرجع السابق، ص 53-54.

لمواجهة ضغط المجاهدين المتزايد، وقد استفاد المجاهدون من تعطيلهم لزحف هذه القوات، وإيقافها في الموقع مما ساعد على تجميع كافة قواهم في المنطقة، وإنزالها في حركة هجوم شامل من كافة الجهات، وانتهت هذه المعركة عند الساعة الواحدة والنصف ظهراً، أي بعد خمس ساعات من القتال المتواصل والعنيف[182].

وقد أشار سليمان الباروني إلى هذه المعركة في إحدى رسائله[183].

وقد نتج عن هذه المعارك عدة نقاط أساسية أهمها:

1. فشل خطط ايطاليا في فتح جبهة قتال بعيداً عن طرابلس المدينة ومحاولة خرق صفوف المجاهدين وإجراء عملية التفاف حولهم.
2. انكماش النفوذ الايطالي وعدم توسعه خارج مدينة زواره.
3. تحامس المواطنين واندفاعهم للجهاد وارتفاع معنوياتهم وتقوية جبهة القتال.
4. فشل خطط ايطاليا في إيهام المجاهدين بأنها مازالت قوية وقادرة على خوض المعارك ضدهم رغم مشاركتها الفعالة في الحرب العالمية الأولى.
5. أظهرت هذه المعارك بهذه الجبهة (العجيلات) وحدة المجاهدين وتمسكهم كجبهة صامدة، واتحادهم ضد العدو الواحد.
6. تبين من خلال هذه المعارك التعاون التركي الليبي، وذلك يتمثل في المساعدات التركية (مؤن، سلاح، ذخيرة، أموال، ضباط،...)[184].

2 – إعلان الجمهورية الطرابلسية والقانون الأساسي بين عامي 1918–1919م

لما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وخروج الدولة العثمانية مهزومة وتوقيع اتفاقية الهدنة (مودروس) بينها وبين دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وايطاليا) يوم 31 أكتوبر

---

(182) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911–1931م، المرجع السابق، ص 282 وما يليها؛ المبروك الساعدي، موسوعة روايات الجهاد، جامعة الفاتح، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1983م، ص 251.

(183) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 73، مؤرخة في عام 1917م، انظر ملحق رقم 5.

(184) مصطفى علي هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد، المرجع السابق، ص 219.

عام 1918م، حتى أبلغ الخبر عن طريق الحكومة الألمانية، التي أبرقت لاسلكياً إلى (البارون فون توندورت) ممثل مصالحها في ليبيا آنفا والذي كان مكلفاً بضبط شؤون الاتصالات اللاسلكية. وهكذا فقد وصل الخبر إلى المسئولين العثمانيين "المسئولين عن حركة الجهاد"، الموجودين في مصراته آنذاك: الأمير عثمان فؤاد ممثل الدولة العثمانية في ليبيا (قائد الفيالق الأفريقية)، وقادة المجاهدين في مصراته، وعلى رأسهم: رمضان السويحلي، ومن بين من كان موجوداً في مصراته مؤقتاً: المختار كعبار، أما سليمان الباروني فقد حضر على وجه السرعة، وكان إلى جانب الجميع السياسي المصري المعروف: عبد الرحمن عزام[185].

قرر الأمير عثمان فؤاد مغادرة البلاد تلبية لأوامر حكومته، فأسرع متهيئاً لذلك، بعد أن عرف أن هناك غواصة تنتظره على مرسى (الرومية) قرب مصراته، وذهب معه سليمان الباروني ليودعه، ثم عاد في الحال إلى مصراته، وكان الخبر قد شاع في البلاد فاضطرب الناس وتحرج الموقف. وفي مصراته عقد الباروني اجتماعاً مع رمضان السويحلي، وكان الأخير مضطرباً فبادره بقوله: إنك لم تخيب فيك ظننا إذ لم تسافر فلا عذر لك في تركنا ونحن على ما ترى، فأجابه الباروني قائلاً: أني معكم إلى النهاية إلا أنه لابد من إنشاء حكومة وطنية بلا تردد ولا إسهال بشرط أن تكون رئيسها، فقال: دع الرئاسة جانباً، فإني أرى أن تكون لنا حكومة جمهورية. تتألف من أربعة أعضاء فقط: أنت وأحمد بك المريض، وعبد النبي بك بلخير، وأكون رابعكم، على أن تكون أنت الوالي كما كنت في السابق، فأجابه الباروني بقوله: لا إنما أكون كالسابق في منطقة الحرب قريباً من الذي نعينه قائداً لجيش الجمهورية، فقال السويحلي: أنا موافق من الآن، إلا أني أخاف ألا يوافق المريض بك على مواصلة الحرب، فأجابه الباروني قائلاً: أنه أحرص مني ومنك على استمرارها إلى أن نصل إلى نتيجة، فقال: إذن لقد تم الأمر. ثم اتفقنا على أن يسرع الباروني بالرجوع إلى الزاوية لتطمين المجاهدين وتقوية عزائمهم ودعوة الأعيان إلى عقد اجتماع في مسلاته لعرض مشروع الجمهورية عليهم، ونيل موافقتهم، واجتمع في مصراته بأمير اللواء الفخري عبد القادر باشا

---

(185) عبد الرحمن عزام، الطالب المصري الذي درس في الأستانة، عندما أعلنت الحرب في ليبيا ترك دراسته والتحق بالمجاهدين في ليبيا في منطقة برقة، وبعد توقيع الاتفاقية بين السنوسيين والايطاليين "عكرمة" وإيقاف الحرب في عام 1916م سافر إلى طرابلس لمواصلة جهاده هناك؛ انظر، مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرف ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، 42.

الغناي، وأخبره بما تم بينه وبين السويحلي، وذهبا إلى البارون الألماني المكلف باللاسلكي فطلب منه الباروني بأن يعلن باللاسلكي أنه تأسست في طرابلس حكومة وطنية قررت مواصلة الحرب حتى تفوز البلاد باستقلالها[186].

وعاد الأمير فؤاد إلى مصراته ولم يسافر بالغواصة، فقد تلقت الغواصة أمراً بسرعة رجوعها إلى ألمانيا رأساً وبدون أن تحمل ركاباً خوفاً من الوقوع في أسر أساطيل الأعداء، وأبلغ البارونى الأمير ما اتفق عليه مع السويحلي، ثم قام البارونى بزيارة إلى ترهونة وقابل المريض بك وذكر له ما جرى فوافق الأخير على عقد مؤتمر عام يضم الرؤساء والقادة والأعيان والشيوخ كافة، وبرغم ما كان يسود بعض المناطق من خلاف في الرأي أو صراع على السلطة، فقد تمت مراعاة الظرف الحرج، وتناسى الجميع خلافاتهم الجانبية[187].

– مؤتمر مسلاته

عقد المؤتمر التاريخي الذي حدد له يوم 16 نوفمبر عام 1918م، بجامع المجابرة بمدينة القصبان في مسلاته، وحظي بمناقشات جادة وكان من بين قرارات هذا المؤتمر تشكيل حكومة لإدارة شؤون البلاد الإدارية العامة والعسكرية، تدعى باسم: الجمهورية الطرابلسية، كما اتفق على تشكيل مجلس لإدارتها يتكون من أربعة أعضاء هم: سليمان البارونى، رمضان السويحلي، احمد المريض، وعبد النبي بلخير[188].

يكونون هيئة أو مجلساً رباعياً لإدارة أمور البلاد بشكل لا تخصص فيه، فقد استدعت ظروف الجهاد تفرغ كل عضو من ذلك المجلس لمنطقة يديرها حسب مقتضيات

---

(186) عبد القادر باشا الغناي، وصل حديثاً من الأستانة بقصد التوجه إلى برقة لتنظيم المقاومة وتأخر في مصراته لأمور هامة فرأى الأمير عثمان فؤاد تعيينه قائداً لمنطقة طرابلس بدلاً من إسحاق باشا وعقدت الهدنة الآنفة فبقى في مصراته، انظر؛ أبو القاسم البارونى، المصدر السابق، ص 90–91؛ أبي اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان البارونى باشا في أطوار حياته، المطبعة العربية، الجزائر، 1956، ج 1، ص 139 وما يليها؛ محمد لطفي إبراهيم، المصدر السابق، ص 78.

(187) عمر سعيد بغني، حركة الجهاد الليبي خلال الفترة 1919–1921م، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911–1931م، ط 1، طرابلس، 1998م، ج 2، ص 226.

(188) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات لتاريخية، ملف أحمد المريض رقم 3، وثيقة رقم 19، عن دور جهاد المريض حتى وفاته، د.ت.

الموقف العسكري، وربما هذا هو ما جعل (صفة الحلفية) تلصق بهذه الجمهورية إلى جانب ما قيل عن عدم دستوريتها، وهو قول لا يستقيم بالنظر إلى أن قانونها الشرعي يعتبر دستوراً لها. وإذا ما عرف أن المجاهدين كانوا يعتمدون الشريعة الإسلامية في أحكامهم، وهو السبب الذي جعلهم يشكلون إلى جانب مجلس الرئاسة مجلساً شرعياً يتكون من الشيوخ: عمر الميساوي، والشيخ الزروق أبو رخيص، والشيخ محمد الإمام، والشيخ مختار الشكشوكي، وقد أقسم الأعضاء (قسم الولاء) للوطن والحكومة والجمهورية، والذي كان بالصيغة التالية:

"أقسم بالله العظيم قابضاً بيدي على هذا القرآن الكريم أن أجعل نفسي ومالي فداء لوطني وحكومتي الجمهورية الطرابلسية، وأن أكون لعدوها عدواً ولصديقها صديقاً ولقانونها الشرعي مطيعاً"[189].

المجلس التشريعي

إلى جانب المجلسين السابقين تم انتخاب مجلس تشريعي، طبقاً لاختيار المؤتمرين في مسلاته، وقد تقرر أن يكون عدد أعضائه اثنين وعشرين عضواً يمثلون مختلف الألوية، ما عدا لواء بنغازي الذي كان له وضعه الخاص، وهذه الألوية هي: لواء طرابلس، لواء الخمس، لواء الجبل الغربي، لواء فزان[190]. كما تقرر أن يكون له رئيس ووكيل فضلاً عن أعضائه (22).

وانتهى المؤتمرون إلى اتخاذ العزيزية مركزاً لمجلس الجمهورية، واستكملت تلك الخطوات التنظيمية الأولى وصدرت عدة بلاغات منها:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك الثالث من شهر صفر الخير عام 1337هـ، قررت الأمة الطرابلسية تتويج استقلالها بإعلان حكومتها الجمهورية باتفاق علمائها الأجلاء وأشرافها وأعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا في كل أنحاء

---

(189) عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 81 وما يليها؛ الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 103-104.

(190) مصطفى علي هويدي، الجمهورية الطرابلسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 1، بنغازي، 2000م، ص 91-92؛ ندى عمر شعبان، المصدر السابق، ص 73 وما يليها.

البلاد، وقد تم انتخاب مجلس الشورى الطرابلسي وانتخب أعضاء مجلس الجمهورية، وافتتح أعماله بتبليغ إعلان الجمهورية إلى الدول الكبرى عامة وإلى الدولة الايطالية خاصة، وهذه صورة لليمين الذي أداه الحاضرون مع أعضاء الجمهورية ومجلس الشورى في الاجتماع العام في جامع مسلاته:

"اقسم بالله العظيم... آنف الذكر".

وأن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها الذي اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها منذ سبع سنين وسعيه بالوصول إلى هذه الغاية التي هي اشرف ما تصل إليه الأمم وتهنئ أبنائها بتمام نجاحهم واتحادهم على الثبات التام في الدفاع عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية والتوفيق بيد الله وحده".

13 صفر سنة 1337هـ سليمان الباروني أحمد المريض

رمضان اشتيوي عبد النبي بلخير

البلاغ الثاني إلى الضباط الوطنيين:

"إلى حضرة ... الوطني...

بما أن جنابك وطني صادق ومجاهد في سبيل الدين والوطن منذ ابتداء الحرب الطرابلسية فإننا ندعوك إلى تقديم طاعتك لحكومتك الجمهورية الجديدة والقيام بما تقلدك إياه من الخدمة والدفاع عن شرف الوطن العزيز حتى تنال منها شرف الاحترام والترفيع وتبرهن للعالم بأنك ابن الوطن العزيز وأحد رجاله الذين سيحفظ التاريخ ذكرهم المجيد".

البلاغ الثالث إلى الدول العظمى

"إلى رئيس الحكومة الايطالية

1. تفتخر الأمة الطرابلسية بتتويج استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها، من كافة أنحائها لمجلس الحكومة والشورى ولا هدف لها إلا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة، ولا تقصد إلا أن تعيش عيشة هنيئة مسالمة كجميع الأمم التي لا تحاول غصب حقوقها.
2. لذلك تدعو الحكومة الايطالية إلى الاعتراف بها وسد كل باب يضطر الحكومة

الطرابلسية إلى مداومة الحرب إلى أن تحقق أملها المشروع[191].

13 صفر 1337 هـ

ملحق هذا البلاغ:-

إذا قبلت المواد الآتية ووضعت في موقع الإجراء فالحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الايطالية في عقد صلح تبعاً للقواعد الآتية:

1. في حال دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على موقعه بصورة هدنة.
2. لا تقترب السفن الحربية من السواحل الغير محتلة بالعساكر الايطالية.
3. لا تتجاوز الطيارات حدود الاستحكامات.
4. لا تقع مخابرة خصوصية مع أي أحد كان، لا من جهة المناطق الحربية ولا من غيرها.
5. تقطع كل ما فيه وسيلة للاختلاط بالأهالي من طرف الحكومة الايطالية كأخذ وإعطاء البضاعة وتوزيع الإعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت.
6. المخابرات الرسمية والدخول والخروج لا يكون إلا من الموقع الذي يصير تعيينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية.
7. الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شؤونها وحركاتها تمام الاستقلال وغير مسئولة بأي شرط أو قيد تضعه حكومة أخرى أو تتعهد به للحكومة الايطالية في طرابلس.
8. ضباط الترك والألمان والنمسا الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية ولا تسمح بسفرهم إلا بصورة تكفل منفعة وشرف الأمة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية.
9. بما أن الأمة الطرابلسية لها الحق في إظهار صورتها للعالم الإنساني وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها في مدينة طرابلس، مثل انجلترا وفرنسا وأمريكا، فعلى الحكومة الايطالية قبول وإيصال ما يرسل من الحكومة الطرابلسية إليها بدون الاطلاع عليه واخذ سندات من القناصل المذكورين وإرسالها إلى الحكومة الطرابلسية حتى لا

---

[191] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم9، وثيقة رقم102، مؤرخة في عام 1918، انظر ملحق6.

تضطر إلى اتخاذ طريقة أخرى لمواصلة مخابراتها المذكورة.

البلاغ الرابع إلى رئيس الوزارة الانكليزية:

"نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الأمة الطرابلسية قد توجت استقلالها بإعلانها الحكم الجمهوري وفي 16 نوفمبر عام 1918م، أعلنت نتيجة انتخابات مجلس شوراها ومجلس جمهوريتها. وليس بين الأمم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التي تقاتل إلى الآن ثماني سنين ضد غاصب أرضها وحريتها، وإنها لا تشك في أن إحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة كما أن غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتها الجديدة الحرة. وإننا نؤكد لكم أيضاً أن قومنا وضعوا جل آمالهم في انكلترا حامية حقوق الأمم الصغيرة فرجاؤنا أن تتفضلوا بوضع المسألة الطرابلسية على بساط مذكرات الصلح العمومية حتى تنال جمهوريتنا ما يضمن لها سعادة مستقبلها والمرجو قبول عظيم احترامنا"[192].

البلاغ الخامس إلى رئيس الحكومة الفرنسية:

"نتشرف بأن نحيط فخامتكم علماً بأن الأمة الطرابلسية قو توجت استقلالها بإعلان الحكم الجمهوري في 16 نوفمبر عام 1918م، أعلنت نتيجة انتخابات مجلس الجمهورية والشورى. وأن ما قامت به فرنسا الحرة من نشر إعلان الحرية في العالم وتكبدها كل الصعوبات في سبيل حمايتها لا يجهله أحد وأنه المكتوب على صفحات القلوب بمداد الحياة تتغذى به أرواح الأحرار في كل الأقطار لا ينسخه توالي الدهور ولا تمحوه زلازل الحرب.

إن من قام في هذا العصر يطلب حريته سواء كان بسيفه أو قلمه فإنما هو مستمد من منبع الحرية الزلال ومقتبس من سناها الساطع ومعترف ومغترف من بحرها الطافح ومستخرج من معدنها الصافي (قاعدة فرنسا الحرة).

فلا عجب إذا قامت الآن فرنسا لحماية حرية الأمم الصغيرة كأمة طرابلس الغرب التي ما برحت تريق دماء أبنائها منذ سبع سنين وزيادة في سبيل نيل حريتها واستقلالها ورد جيوش ايطاليا الغاصبة لأرضها المعتدية على شرفها.

---

[192] رسالة من سليمان الباروني إلى الحكومة البريطانية، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص95، مؤرخة في عام 1918م.

إن الأمة الطرابلسية التي لا تجهل تاريخ فخرها القديم لم ترضى أن تساق الآن بعصي الذل والهوان وأن تستعبد في زمن سادت فيه الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بالحروب الهائلة لأجل تحرير بني الإنسان. إن كل من يتتبع التاريخ بإنصاف يجد أن الأمة الطرابلسية لم تملكها دولة من الدول كما تملك البلاد ملكاً مطلقاً بل لم تزل منذ خلقت أو عرفت بين الأمم مناضلة كل من يقصد استعبادها سواء كان من الدول الإسلامية أو المسيحية وكانت ولا تزال تفضل الجلاء وسكنى القفار على تحمل الضيم والاحتقار. وهاهي أطلال بلادها الخالية بادية وأنسابها المنتشرة شرقاً وغرباً شاهدة، فسعى الأمة الايطالية وراء استعبادها الآن هو ضرب من طلب المستحيل ولو راجعت التاريخ أجدادها وأجدادنا القدماء لرأت فيها ما يصدها الآن عن سفك الدماء لذلك تؤمل حكومة طرابلس الجمهورية الجديدة من جارتها الجمهورية الفرنسية أن تنظر إلى المسألة الطرابلسية بنظر الاهتمام والاعتبار وأن تعتني بوضعها على بساط مذكرات الصلح العمومي وأن تقنع حليفة ألمانيا القديمة وحليفتها هي الآن حكومة ايطاليا بالاعتراف بحقنا المشروع حتى يقف تيار إراقة الدماء بين الآمنين وتستريح البلاد والعباد وتنال البلاد الطرابلسية نصيبها من هذه الراحة أيضاً فإن منفعة البلدين ومضرتهما واحدة"[193].

3 – موقف ايطاليا من الجمهورية الطرابلسية:

أعلنت ايطاليا اعتراضها على تأسيس الجمهورية الطرابلسية، ولذا رفضت التعاون مع مجلس الرئاسة فيها. وقد قامت طائراتها برمي منشوراً طويلاً كله تهديد ووعيد، كما ألقت فيها أيضاً تهديداً حاداً لمن يتعاون مع سليمان الباروني[194]. ثم بدأت المناوشات وسدت الطرق، واتفق أعضاء الجمهورية بينهم على أن يقيم الباروني في جهة العزيزية قريباً من القائد العام ومنطقة الحرب، وأن يكون المريض في مسلاته تجاه العدو في الخمس، وأن يجمع عبد النبي بلخير مجاهدي ورفله، ويلتحق بالعزيزية على أن يكون كل واحد من أعضاء

---

(193) ورد هذا النص في كتاب؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 96.

(194) منشور الحكومة الايطالية ضد سليمان الباروني؛ نقلاً عن عبد النبي بالخير، المصدر السابق، ص 238–239، انظر ملحق رقم 7.

الحكومة له سلطة مطلقة في إدارة الجهة التي يكون فيها عدا ما يتعلق بمخابرات العدو[195].ومن هنا فإن المفاوضات بصورتها المبكرة التي بدأت متعثرة مع سلطات الاحتلال في طرابلس قد توقفت، الأمر الذي حدا بزعماء البلاد أن يلزموا سبيل الحذر في علاقاتهم المستقبلية مع العدو بعد أن وضحت سوء نياته حيال مطالب الوطن[196].

لجأت الحكومة الايطالية إلى هدم وإفساد أي تعاون أو إخاء بين زعماء الجمهورية الطرابلسية، ولهذا فقد عملت خلال هذه الفترة التي أعقبت إعلان الجمهورية الطرابلسية، على استخدام وسائل التسلل السياسية، وهي بالطبع أخطر في حال نجاحها، في التأثير على المعنويات القتالية للمجاهدين، وربما في تفتيت عرى الوحدة الوطنية التي تحاول القيادات بناءها عن طريق التحالف الجمهوري، وقد تمكنت الحكومة الايطالية من استمالة (عبد القادر الغناي) الذي كلف بقيادة جيوش الجمهورية، وقد تمثل نجاحها في عقد عدة اتصالات فردية معه، دون علم حكومة الجمهورية، ثم إعلانه افتراء على الكتائب التي كانت تحت إمرته في الزاوية أن صلحاً عقد بين الحكومتين الطرابلسية والايطالية، وكانت نتيجة ذلك وقوع فوضى بين صفوف المجاهدين وانسحاب بعض الضباط المعترضين على سياسة الغناي مثل: عبد الله تامسكت وعبد العاطي الجرم، وغيرهم من الإفلات من الأسر والانسحاب بمن تبعهم من المجاهدين الرافضين لمحاولات الغناي الاستسلامية، وقد تمكن الجيش الايطالي نتيجة لذلك من احتلال منطقة الساحلية ما بين زواره وطرابلس في أول يناير عام 1918م، والتحمت قوات العدو التي تحركت من زواره يوم 26 من ديسمبر عام 1918م، بقيادة العقيد ماتزيني يوم 1 من يناير عام 1919م، بالقوات التي تحركت من طرابلس غرباً بقيادة الجنرال بنتانو في منطقة جنزور التي تم إخلاؤها من طرف المجاهدين احتياطاً إثر حادثة خيانة عبد القادر[197].

---

(195) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 103؛ مصطفى علي هويدي، الجمهورية الطرابلسية، المصدر السابق، ص 122 وما يليها.

(196) لمزيد من المعلومات حول المفاوضات مع الجنرال تارديني، انظر؛ جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة عبد الحفيظ الميار، احمد اليازوري، ط 1، الفرجاني، طرابلس، 1972م، ص 135 وما يليها.

(197) زعيمة الباروني، ج 1، المصدر السابق، ص 304، 316.

4 – تجدد المقاومة:

أ – معركة جنزور في 2 من يناير عام 1919م

بالرغم من اتصال القوتين الايطاليتين يوم 1 من يناير 1919م، وبرغم أن المجاهدين كانوا قد أخلوا جنزور على سبيل الاحتياط، فإن كتيبة منهم حسبما يذكر الجنرال بولاتي قامت بالهجوم على القوات الايطالية في حياء، وذلك بهدف احتلالها والتمركز بها، وقد استهدف الهجوم في يوم 2 منه ميمنة الجنرال بانتانو ولاسيما منها الكتيبة الحادية والثمانون، إذ تمكنت قوات المجاهدين من زحزحتها عن بعض مواقعها، لكن المجاهدين لم يتمكنوا من الثبات فيما بعد في المواقع التي احتلوها لعدم ملائمة الموقف العسكري، فاضطروا إلى الانسحاب إلى مواقعهم في الحشان والطويبية والسواني والخط الموازي حتى الزاوية، وفي تقديرنا أن هذه المعركة ليست سوى اشتباك عادي، لم يقصد منه المجاهدون سوى كما أسلفنا جس نبض القوى الايطالية الزاحفة شرقاً وغرباً في عملية استعراضية كبرى. وهكذا فقد كانت معركة جنزور بداية حرب أمكن فيها المجاهدون إثبات قوتهم وأن يشكلوا خطراً حقيقياً على قوات الاحتلال[198].

والجدير بالذكر أن القوات الايطالية رغم كل استعداداتها العسكرية والبشرية كانت ولا تزال حتى ذلك الوقت لا تتجرأ على الدخول في حرب مباشرة وحقيقية مع المجاهدين، رغم الفارق الكبير بين القوتين، ولعل ما يؤيد ذلك ما رواه السياسي المصري عزيز علي المصري لأحد الرحالة الأجانب عندما كان موجوداً في مدينة بنغازي حيث قال: "إنني لا أفهم السبب في أننا كلما هاجمنا الايطاليين أو التحمنا معهم في معركة أو اشتبكنا معهم في مناوشة، فإنهم يبادرون إلى الانسحاب بسرعة مدهشة، هذا بالرغم من أننا اقل منهم عدداً واستعداداً... فلست ادري، هل هذا هو تكتيكهم الحربي، أم أن الأمر إلى عدم ثقتهم في قيادتهم العليا، وإلا ما هو سر تقهقر العدو وتراجعه إلى تحصيناته بمجرد أن نلتحم في معركة من المعارك"[199].

---

(198) عمرو سعيد بغنى، المرجع السابق، ص 232.

(199) انظر؛ جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1912م، ترجمة عبد الكريم الوافي، ط 3، بنغازي، 1998م، ص 273 وما يليها.

إن النجاح المؤقت الذي حققته القيادة الايطالية على محور طرابلس زواره قد أغراها بتشكيل قوة كبيرة للتوغل جنوباً نحو دواخل البلاد، لإرغام أهلها على الاستسلام دون قيد أو شرط، والتخلي عن حكومتهم الجمهورية، وقد شهد بداية عام 1919م، حشد جميع الإمكانيات من جند وأسلحة برية وبحرية وجوية، أمكن لايطاليا تحويلها من الجبهة الأوروبية للتفرغ للجبهة الليبية، وقد وعد والي طرابلس الجنرال غاريوني بتنفيذ عملية التوغل وتحقيق هدف الاحتلال حتى فزان في أسرع وقت، بل أكد أن العملية تنتهي خلال شهرين، وذلك بعد أن بلغت عدد الفرق العاملة في نهاية فبراير بنزول فرقة الجنرال زوبي الأولى وثلاثة فرق وست وخمسون كتيبة مشاة وتسع وعشرين بطارية مدفعية مختلفة، ووحدات متنوعة للإسناد والمساعدة، وبلغت القوات نحو ثمانين ألف جندي، في منطقة طرابلس وحدها، الأمر الذي شجع القيادة الايطالية على الاستفادة من الظرف فتجولت القوات من مواقعها في الزاوية وجنزور وطرابلس نحو الهدف المرسوم (العزيزية) غير أن أول اشتباك للقوات الايطالية مع قوات المجاهدين يوم 2 يناير عام 1919م لم يكن مشجعاً على التقدم. وعلى ما يبدو فقد اخذ المجاهدون زمام المبادرة في الهجوم، بعد أن شكلوا جبهة عريضة على امتداد المنطقة ما بين مشارف الزاوية وقصر بن غشير، وذلك في مواجهة القوات الايطالية التي تنتظر الفرصة الملائمة للهجوم على قوات المجاهدين لاختراق صفوفهم والتوغل نحو الدواخل. وفي هذا الإطار، وقعت اشتباكات صغيرة عديدة على أن أهمها معركة (رأس الغولة) الذي استهدف بها المجاهدون السيطرة على خط سكة الحديد في 8من فبراير عام 1919م[200].

ب – معركة رأس الغولة 8-10 فبراير 1919م

لقد نشبت هذه المعركة بين قوة المجاهدين وأخرى ارترية تابعة للقوات الايطالية كانت مكلفة بحراسة عمليات إصلاح خط السكة الحديدية[201]، المتجهة من صياد إلى الزاوية، وتقدر المصادر الايطالية عدد المجاهدين بألف مجاهد، بينما تحدد عدد الجند الايطاليين بثلاثة كتائب من الملونين وقسم من المساعدين وثلاث بطاريات مدفعية جبلية، جاؤوا لنجدة عمال السكة الحديدية الذين كاد يبيدهم المجاهدون وعدد القوات الايطالية لا يقل عن أربعة آلاف

---

[200] مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عبد السلام المريض، شريط رقم 9/40/ 17-8-1978م؛ زعيمة الباروني، المصدر السابق، ص 304.

[201] خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931، المرجع السابق، ص 61.

جندي، وتضيف المصادر الايطالية إلى أن القوات الايطالية وجدت المجاهدين في قوة متراصة الصفوف بين قرقوزة وسانية الكاتب، فهاجمتهم بشدة، وحسب ادعائها خرقت خط المجاهدين عند "رأس الغولة" وفي هذا الوقت كانت قوات أخرى للمجاهدين تقوم بالهجوم على الزاوية الذي لم يتبين للقوات الايطالية التي يقودها (ماتزيني) عما يدور في ميدان المعركة، وفي الوقت الذي قصد من هجوم المجاهدين على السرية الارترية جبر اكبر قوة ايطالية ممكنة إلى الخروج من الزاوية، ومهاجمتها والتغلب عليها بالنظر إلى سيطرتهم على الموقع شبه الدائري الواقع بين قرقوزة وسانية الكاتب[202]، ونجد وصفاً ينطبق على هذه المعركة في المراجع العربية، حيث نجد في مذكرات عزام[203]، وصف حركات الالتفاف التي قامت بها كوكبة من فرسان المجاهدين، حيث كانت سبباً رئيسياً في انسحاب القوات الايطالية عائدة إلى الزاوية بعد أن كانت متجهة نحو ترينة التي يتخذها المجاهدون مركزاً متقدماً لقواتهم. وفي الواقع ولفخامة وشمولية ساحة هذه المعركة الكبرى التي يحق لنا أن ندعوها بالملحمة، فإن خلطاً كثيراً وقع بشأنها لدى الرواة والمؤرخين على حد سواء، وذلك لأن مجموعة معارك في نطاق جبهة عريضة، يصفها كل من جانبه ويسميها باسم المكان الذي كان فيه، وهكذا نجد اسم معركة (الطويبية–قرقوزة) على اعتبار بداية الهجوم والاشتباك، وقد نجدها تدعى بمعركة (ترينة) على اعتبار أن كبار ترينة وفنادقها هي الموقع المتقدم للمجاهدين الذي تنطلق منه هجماتهم ضد العدو، وقد تدعى (بمعركة الزاوية) لأنها شهدت طرفاً من الاشتباك، وبرغم مبررات كل تسمية فإننا نميل إلى دعوتها (برأس الغولة)، وذلك لأن وقائع الحرب تركزت حول هذا الموقع يوم 8 من فبراير، كما أشرنا. وقد جاء في المعجم[204]، أن خسائر المجاهدين في ذلك اليوم برأس الغولة كانت ثمانين شهيداً، أما خسائرهم يوم عشرة عندما جددوا هجومهم على نفس الموقع كانت مئتان شهيد (حسب إخبارية العقيد ماتزيني)، وحسب مصادر أخرى كانت ستون شهيداً، الأمر الذي يعكس المبالغة والتزييف في البلاغات الايطالية، على أن (بئر ترينة) و(فنادق ترينة) تبقى علماً بارزاً على جهاد الفترة، لما شهدته من تجميع المجاهدين في تلك المنطقة، وقد أشارت بعض المصادر العربية إلى تلك المواقع بإجمال، ومن بينها

---

(202) خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 241–242.

(203) مذكرات عبد الرحمن عزام، الحلقة 17، مجلة المصور، عدد 1342، 30 يونيو عام 1950، ص 21.

(204) خليفة محمد التليسي، المرجع نفسه، ص 61.

ترينة[205]، التي تشير الرواية الشفهية إلى أن الحرب تجددت فيها، وأن بعض زعماء المجاهدين، مثل الشيخ سليمان الباروني، واحمد بك المريض وعبد الله تامسكت والصادق الدرباس كانوا يتخذون موقعهم جنوب ترينة[206]،الأمر الذي جعل موقع ترينة يتعرض للقصف بالطائرات، بعد أن عجزت القوات الايطالية عن اختراق صفوف المجاهدين، وهكذا فإن نتائج هذه المعارك تتلخص في الاعتراف الايطالي الضمني بعدم جدوى المجابهة العسكرية وسياسة التصلب في التعامل مع المجاهدين، بحيث جعلت الحكومة الايطالية تقبل مبدأ التفاوض بعد أن كان ذلك أمراً مرفوضاً.

ج – صلح بن يآدم

لقد كان لاشتداد حركة المقاومة تحت قيادة مجلس الجمهورية والشيوخ والأعيان، فضلاً عن أن القوات الايطالية كانت قد خرجت من الحرب العالمية الأولى في عام 1918م، وهي منهوكة القوى دوراً حاسماً في إجبار الايطاليين على الرضوخ إلى المجاهدين والدخول معهم في مفاوضات بالطرق السلمية في محاولة منها لبث روح الانشقاق بينهم

كما حدث في الزويتينة عام 1916م، وعكرمة عام 1917م، في منطقة برقة[207].

وقد وصل في تلك الأثناء من الأستانة إلى طرابلس الغرب أكرم بك ابن رجب باشا والي وقائد طرابلس السابق مندوباً من قبل الحكومة العثمانية لتنفيذ قرار الهدنة، وقد كلفته الحكومة الايطالية بإرسال رسائل إلى حكومة طرابلس، والتقى بالمجاهدين في العزيزية وعرض عليهم المطالب الايطالية وحمل معه أيضاً منشور صادر من السلطة الايطالية موجه إلى سكان

---

(205) علي مصطفى المصراتي، سعدون البطل الشهيد، بيروت، لبنان، مكتبة الفكر، طرابلس، 1964م، ص 82 وما يليها؛ الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 346–347.

(206) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عبد السلام المريض، شريط رقم2/40، د.ت.

(207) الطاهر احمد الزاوي، عمر المختار، الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في طرابلس الغرب، ط 1، مطبعة عيسى البابي وشركاه بمصر، القاهرة، 1947م، ص 12 وما يليها؛ ندى عمر شعبان، المصدر السابق، ص 76 وما يليها؛ أبي اليقظان الحاج إبراهيم، ج 1، المصدر السابق، ص 150؛ محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، (القاهرة، 1947م)، ص 367.

طرابلس بمنحهم فيه عفواً تاماً ويبلغهم فيه بأن كل من أراد ترك طرابلس والتوجه إلى أي جهة أخرى له الحرية التامة في ذلك[208].

ولما رأى الايطاليون أن أمر الجمهورية آل إلى الاستقرار أرسلوا مع فرحات بك مبعوث طرابلس السابق كتاباً إلى بعض الرؤساء يدعوهم فيه الدخول في مفاوضات الصلح مع كتاب من القائد الايطالي[209].

اجتمع الباروني وبعض الزعماء الذين كانوا قريبين عقب وصول هذا الكتاب وأرسلوا إلى الجنرال تارديني: عبد السلام، وصلنا جوابكم الموجه إلى بعض رؤساء طرابلس المحترمين في طلب الاجتماع للمذاكرة فيما يحصل به الاتفاق ويزول سوء التفاهم وتحقن الدماء ويكون أساساً لسعادة البلاد في المستقبل، وطلبتم فيه تعيين المكان والزمان بسرعة فوق العادة[210].

وقد بعث الباروني برسالة إلى بقية أعضاء الجمهورية بما وقع، فاجتمعوا مع رجال الشورى ثم كتبوا إلى الجنرال الايطالي بوصولهم وطلبوا منه أن تكون المكاتبات بعد الآن بواسطة الهادي كعبار فرد عليهم الجنرال المذكور برسالة يعلمهم فيها بأنه ماضٍ مع سائر مندوبي الحكومة في المشورة ولتحديد وقت للاجتماع مع الزعماء الوطنيين[211].

واجتمع الفريقان في الوقت المحدد وتباحثوا في الحالة ثم افترقوا من دون أن يصلوا إلى نتيجة واستؤنفت الحرب وكان الايطاليون يؤملون إيقاع الشقاق في صفوف الطرابلسيين لعلهم يوفقوا فطلبوا الدخول إلى مفاوضات الصلح مرة أخرى فأرسلوا رسالة أجابهم عليها الهادي كعبار فردوا عليه برسالة بتاريخ 14 مارس عام 1919م، يعلمهم بوصول رسالتهم ويطلب منهم التعجيل بتحديد موعد للمكان والزمان لإجراء اجتماع بين الطرفين لحل المسائل المعلقة بينهم[212].

---

[208] منشور من الحكومة الايطالية إلى سكان طرابلس، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 99، مؤرخة في عام 1918م.

[209] رسالة من الحكومة الايطالية إلى فرحات بك، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر نفسه، ص100، مؤرخة في عام 1918م.

[210] المصدر نفسه، ص 101، في عام 1919م.

[211] رسالة من سليمان الباروني إلى أعضاء الجمهورية، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر نفسه، ص102، مؤرخة في عام 1919م.

[212] عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 87-88.

وبعد عدة جلسات توصل الطرفان إلى اتفاق مبدئي حول عقد صلح بين البلدين وذلك يوم 21 من شهر ابريل من نفس العام، وقد وقعه وفد المفاوضات على أن يعرض على ملك ايطاليا للموافقة النهائية، وفعلاً تمت بتاريخ أول يونيو من نفس العام الموافقة على بنود الصلح الذي عرف فيما بعد بالقانون الأساسي لطرابلس ويتكون من أربعين مادة[213].وكان من أهم مواد الميثاق أو الدستور ما يلي:

1. تسمى الحكومة (حكومة القطر الطرابلسي).
2. يدير أمور قطر طرابلس مجلس حكومة مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين أعضائه ومن عضوين ايطاليين ينتخبهما النائب العام.
3. يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطتان الملكية والعسكرية، معين من جانب ملك ايطاليا (لم يحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربياً وقد يكون ايطالياً).
4. يسن قوانين البلاد مجلس نواب ينتخبه الأهالي بما يتمتع به مجالس الدول الأخرى المتمدنة من سلطات وحقوق وتكون مدته أربع سنوات، وكلما جدد انتخابه جدد انتخاب مجلس الحكومة من بين أعضائه.
5. لا تتفق ضرائب البلاد إلا فيها حسبما يقرره مجلس نوابها في وصفها وتوزيعها وجبايتها.
6. لا يطبق من قوانين ايطاليا في طرابلس إلا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي ويوافق عليه لمصلحة البلاد.
7. ينظم من أبناء البلاد جند وطني بالتطوع حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام.
8. للوطنيين حق التوظف في الوظائف العالية ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان.
9. التعليم الأهلي حر تحت إشراف الحكومة.
10. اللغة العربية رسمية كالايطالية.
11. ينتخب الأهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملحقات.
12. يؤلف مجلس شرعي تستأنف إليه الأحكام الشرعية وهو يعين القضاة.
13. للطرابلسيين الحائزين على الشهادات العالية الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب والمحاماة

---

[213] عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 88.

وغيرها في ايطاليا كما في طرابلس.

14. الطرابلسي والايطالي متساويان في الحقوق.
15. الأوقاف تدار بمعرفة هيئة شرعية.
16. تراعى حرمة الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق[214].

ما أن تم التوقيع على بنود القانون الأساسي، اعتزل سليمان الباروني العمل السياسي، اعتقاداً منه أن مهمته قد انتهت بعقد الصلح وحلول عصر الوفاق والسلام، وغادر طرابلس إلى الأستانة ليتقلد منصب العضوية في مجلس الشيوخ (الأعيان) ولكن صادف قدومه إليها الانقلاب الذي قام به (مصطفى كمال أتاتورك) فخابت آماله، وعاد أدراجه إلى طرابلس في بداية عام 1920م، بعد أن لبث في تركيا أشهر ثلاثة[215].

د – تشكيل حكومة مختلفة في مدينة طرابلس عام 1919م

بناء على بنود القانون الأساسي تم تشكيل حكومة القطر الطرابلسي من عشرة أعضاء برئاسة الوالي الايطالي، والتي كانت تظم ايطاليين من بين أعضائها، وثمانية أعضاء من المجاهدين قدمت أسماؤهم إلى الوالي في حفل كبير، والذين كانوا على النحو التالي:

1. عمر أبو دبوس 2. محمد الصويعي الخيثوني 3. احمد الفساطوي
4. علي الشفطة 5. محمد مختار الكعبار 6. محمد فكيني
7. احمد السويحلي 8. محمد الفقيه حسن

وكذلك اعترفت ايطاليا بأربعة مطالب إضافية وهي:-

1. أن يكون للعرب الليبيين حق تجنيد عدد من الوطنيين للخدمة المحلية.
2. التزام ايطاليا باستبدال أوراق العملة العثمانية.
3. عدم دخول القوات الايطالية إلى الزاوية والعزيزية وجنزور ومصراته وترهونة وبن وليد

---

[214] اللجنة الطرابلسية، الكتاب الأبيض في وحدة طرابلس وبرقة، دار الانوار، (القاهرة–مصر–1947م)؛ عمر سعيد بغنى، المصدر السابق، ص 236–237؛ زعيمة الباروني، ج 1، المصدر السابق، ص 324.

[215] عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 89؛ أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 105؛ أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص 155 وما يليها؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عمرو محمد بيالة، شريط رقم 18/6/3–4–1978م.

على أن يقبل المجاهدون بوجود مندوب لايطاليا برتبة ضابط يقوم بعملية الاتصال ومعه بعض الجنود الذين سوف يقومون بأعمال البريد المختلفة.

4. عدم سحب السلاح من المجاهدين[216].

نجحت ايطاليا في إرسال ضباط اتصال من طرفها إلى المراكز المذكورة بصحبة عدد من الجنود وتبادلت مع المجاهدين إطلاق سراح الأسرى في 26 من شهر يونيو عام 1919م.

ثم أعقب ذلك دخول كوكبة من الفرسان تضم نحو 600 فارس من بينهم أعضاء مجلس الجمهورية مثل رمضان السويحلي الذي استقبل مع بقية الفرسان بالزغاريد والفرحة العارمة.

وتولى رمضان السويحلي تقديم قائمة أسماء الأعضاء إلى الوالي، وهي القائمة التي تسلمها من احمد المريض قبل ذلك بيوم، منذئذ نلحظ ازدياد نفوذ الزعيمين احمد المريض، ورمضان السويحلي، وقد تقرر إنشاء حزب باسم (حزب الإصلاح الوطني) أسندت رئاسته إلى أحمد المريض، في حين أسندت رئاسته الشرفية إلى رمضان السويحلي، كما تقرر تأسيس جريدة أو صحيفة تحت اسم (اللواء الطرابلسي) يكون هدفها التعبير عن آراء هذا الحزب الوطنية والسياسية، وتولى عثمان القيزاني رئاسة تحرير الجريدة للمحافظة على تطبيق المبادئ التالية:

1. المحافظة على حقوق المواطنين وفق بنود القانون الأساسي.
2. تحقيق التضامن بين العرب والايطاليين على أساس مبدأ التضامن واتحاد المصالح.
3. نشر التعليم بإنحاء البلاد في ظل العادات والتقاليد الإسلامية.
4. إصلاح الأحوال الاقتصادية من صناعية ومالية.

وقد سمحت السلطات فيما بعد بظهور بعض الصحف كانت لها مجاهداتها السياسية النسبية[217].

وعلى أية حال لم تتوفر حسن النية لدى الجانب الايطالي في طرابلس، إثر توقيع القانون الأساسي، فبرغم أنه لم يأت محققاً لجميع المطالب الوطنية للشعب، فإن الايطاليين

---

(216) محمد امحمد الطوير، تاريخ حركات التحرر، المرجع السابق، ص 65-66؛ ن. بروشين، المصدر السابق، ص 173 وما يليها.

(217) محمد امحمد الطوير، المرجع السابق، ص 66؛ عمرو سعيد بغنى، المصدر السابق، ص 283.

ماطلوا في تنفيذه، وحاولوا اختراع تفاسير لبعض بنوده، مما أوقع الطرفين في خلافات الرأي[218].وقد بدأ الايطاليون سياسة نشطة لبث الفرقة والخلافات بين الزعماء والمناطق التي تنامت جذور الوحدة بينها عبر أيام الجهاد، فوقعت أحداث فتنة بين عبد النبي بالخير ورمضان السويحلي ذهب ضحيتها الأخير يوم 24 من أغسطس عام 1920م، وعلى إثر ذلك أخذ الشيخ سليمان الباروني الذي اعتزل السياسة يتفقد أحوال البلاد التي أصبحت ميداناً للخلافات والفتن والحروب التي اندلعت بين زعماء المجاهدين، ورأى بعينه كيف أصبح الايطاليون يغدقون الأموال الطائلة على البارزين من الناس في قالب مرتبات وهدايا، وكيف أصبح الناس يتهافتون على التقرب منهم وعلى وظائفهم من اجل المال والجاه، فقد انتهز الايطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب وسكان الجبل من جهة، وبين البدو والحضر من جهة أخرى. وبين سكان البلدان المجاورة أيضاً والتي تنبه لها الباروني وحذر من خطورتها المجاهد الكبير عبد النبي بالخير، رغم مساعي بعض الزعماء المخلصين لإخماد نار الفتن، ومحاولة رأب الصدع من كل جهة، فكلما حاولوا إخماد فتنة في جهة، أوقد الايطاليون ناراً في جهة أخرى، ونفخوا في جمرها من جديد[219]. ويشير أحد هذه المصادر المهمة إلى أن المسؤول عن إشعال نار الفتنة بين رمضان السويحل، وعبد النبي بالخير هو عبد الرحمن عزام، والذي كان يسعى أو ينوي حسبما ورد في ذلك المصدر إلى الاستيلاء على طرابلس والتصرف فيها تصرف المالك بنفسه أو بواسطة قريب له كان موجوداً في ايطاليا[220].

ومما تقدم يتضح لنا بأن ايطاليا رغم فشلها من الناحية العسكرية في مواجهة المجاهدين في الفترة التي أعقبت القرضابية[221]، إلا أنها نجحت نجاحاً كبيراً في إحداث الصدع بين صفوف المجاهدين، بحيث لم تستأنف عملياتها العسكرية إلا بعد أن أوجدت من ذلك الانقسام قاعدة كبيرة تعتمد عليها عملياتها.

---

(218) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المرجع السابق، ص 359.

(219) انظر؛ محمد المرزوقي، عبد النبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد، المصدر السابق، ص 104 وما يليها؛ سليمان المجنون، المصدر السابق؛ أبو القاسم علي ضوء كله، المصدر السابق.

(220) محمد المرزوقي، المصدر نفسه، ص 110.

(221) انظر؛ محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر "الثورة والاستسلام"، المنشأة الشعبية للنشر، طرابلس، 1980، ص 17 وما يليها.

5 – مؤتمر غريان وآثاره السياسية 1920–1922م

في الحقيقة هناك العديد من الدوافع التي أدت لعقد هذا المؤتمر، ويأتي في مقدمتها كما أسلفنا هو تلك الفتن الجاثمة التي اجتاحت البلاد من أدناها إلى أقصاها، وقد امتنع العديد من الزعماء الوطنيين عن حضوره لعدة أسباب ولاسيما سليمان الباروني، الذي امتنع عن حضور المؤتمر لأنه كان متأثراً بالحرب التي وقعت بين أهله من ناحية، وبين الرجبان والزنتان من ناحية أخرى، والتي يطلق عليها البعض بحرب (البربر والعرب).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن مصطلح البربر هذا مصطلح قديم أطلقه الرومان على سكان البلاد المعارضين لوجودهم ومعناه الوحشيين، وفي أثناء الفتوحات الإسلامية في الشمال الأفريقي رحب سكان البلاد بالمسلمين وتعاونوا معهم في حربهم ضد الرومان، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر "طارق بن زياد" ومنذ ذلك الوقت اختلطوا بالمسلمين واعتنقوا الديانة الإسلامية وانصهروا في الحضارة العربية، وأصبحت لغتهم الرسمية العربية، فليس من الصحيح هنا أن نذهب إلى ما ذهب له الرومان ومن ثم الايطاليين في تسميتهم، كذلك فإن العربية أصبحت منذ فجر الدولة الإسلامية ثقافة وليست جنساً، وهذا ينطبق أيضاً على بقية الأجناس الأخرى التي اعتنقت الإسلام، أيضاً من الايطاليين عندما غزوا البلاد كان أول من تصدى لهم سكان المناطق الجبلية بقيادة المجاهد سليمان الباروني، والكثير من الزعماء الوطنيين، ورفضوا الخضوع لهم ورغم قيام الكثير من زعماء البلاد بالتسليم لهم ولعل هذا ما آثار حفيظة الايطاليين عليهم، لأنهم تصدوا لآبائهم الرومان أولاً، ثم لهم ثانياً، فلجئوا إلى إثارة تلك الفتن وساعدوهم على النيل من بعضهم البعض حتى أصبحوا في النهاية لقمة سهلة للايطاليين كلاً على حدة، ولم ينظر إليهم الايطاليون على أنهم عرب وبربر، إنما كانوا بمثابة العدو الواحد للأهداف الايطالية في البلاد*.

لقد أرسلت دعوة خاصة من مؤتمر العزيزية التحضيري إلى الباروني فلم يقبل لذلك السبب الآنف الذكر. وأرسل إليه المجاهد احمد المريض بعد انتخابه رئيساً للمؤتمر بأنه مستعد

*** انظر رودولفو جراتزياني، نحو فزان، ط 1، مكتبة ضائع، القاهرة، 1976م، ص 46 وما يليها؛ الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 410 وما يليها؛ محمد مسعود جبران، سيلمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص 23–24.**

للتنازل له عن الرئاسة ولكنه أصر على رفضه.

ومن هنا يتضح لنا أن الزعماء الوطنيين على الرغم من أنه لم يكن خافياً عليهم أن الشيخ سليمان الباروني كان متأثراً بتلك الحرب، إلا أنهم حرصوا على وجوده معهم وذلك لعلمهم بأن حضوره يشكل سبباً قوياً في نجاح واستمرار هذا المؤتمر، علاوة على أنه سبب قوي في إصلاح ذات البين[222].

لعل هناك العديد من الأسباب فضلاً عن العامل السابق، والتي دفعت الشيخ سليمان الباروني إلى التخلي عن حضور هذا المؤتمر، سنحاول التطرق إليها وفق ما يقتضيه الحال في المراحل القادمة من المؤتمر.

لقد تسببت حكومة القطر الطرابلسي بسوء تصرفاتها، وبوقوعها تحت سيطرة السلطات الايطالية في الكثير من مآسي تلك الفترة، حيث اتهم الشيخ (محمد الفقيه حسن) أحد أعضاء تلك الحكومة صراحة بسوء الإدارة وانتهاج سياسات ملتوية، وخطط مريبة في يوم 18 من أغسطس عام 1920م، أي قبل خمسة أيام من مقتل المجاهد رمضان السويحلي، وقد احتج على عدم اتفاق أعضاء تلك الحكومة ولو على الاجتماع مرة واحدة في جلسة مشتركة، مع توالي انعقاد جلسات سرية لبعض أعضائها، وما تبع ذلك من قرارات سرية[223].

وقد أدى تدخل السلطات الايطالية المباشر وغير المباشر في شؤون البلاد والمماطلة في إنشاء مجلس النواب الطرابلسي، برغم صدور قانون انتخابات لمجلس النواب في أوائل عام 1920م، والذين يتراوح عدد نوابها بين 24و26 نائباً عن ولاية طرابلس، وكإجراء تمويهي، تم إعداد جداول الانتخابات مما أدى في النهاية إلى تجميد أعمال حكومة القطر الطرابلسي بعد انسحاب عدد من أعضائها لأسباب مختلفة، وعندما تم هذا الاجتماع لدراسة الحالة السياسية العامة التي وصلت إليها البلاد، تنبهت الحكومة الايطالية للأمر، وحاولت إلغاء هذا الاجتماع والتأثير عليه بِدَس بعض العناصر الموالية لها، الواقعة في مناطق نفوذها، فضلاً

---

(222) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 423-424.

(223) اللواء الطرابلسي، عدد 42، 5 من ذي الحجة 1338هـ-19 أغسطس 1920، طرابلس؛ عمرو سعيد بغنى، أصول حركات الصفوف وأثرها في حركة الجهاد، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، عدد 42، 1983، ص 91 وما يليها.

عن مجموعة أخرى من زعماء المناطق الداخلية، وذلك للتحضير لعقد هذا المؤتمر الذي كان من الممكن أن يقدر له النجاح لولا تلك الزمرة الدسيسة التي عملت على خراب هذا المؤتمر، والذي كان من المفروض أن يحضره زعماء عامة المناطق للنظر في أمور البلاد، وقد تمكن هذا المؤتمر من تحقيق مطلبين أساسيين هما:

1. انتخاب وفد يسمى (وفد الإصلاح ليصلح بين المناطق المتنازعة في الجبل).
2. دعوة كل منطقة من المناطق إلى انتخاب من يمثلها في المؤتمر[224].

وهان لابد من الإشارة إلى أن مهمة الإصلاح التي كلف بها هذا الوفد لم يكتب لها النجاح، وذلك لعدة أسباب، يأتي على رأسها، أن بعض أعضاء هذا الوفد لم تتوفر لديه حسن النية، وفي ذلك يقول الطاهر الزاوي: "كان الوفد معتزماً كتابة تقرير بما شاهده، وبما يراه صالحاً لمعالجة الحال كما هو شأن الوفود التي ترسل في مهمة حكومية أو شعبية. ولكن بعض أعضاء المؤتمر أوعز إلى أحد أعضاء الوفود وهو عبد الله أفندي الشريف أن يكتب ما يتراءى له، وأسر إليه بأمور يضمنها ما يكتبه لغرض في نفس هذا العضو. وانتهى الأمر بالاكتفاء بما أملاه أو كتبه عبد الله الشريف عضو الوفد بدون أن يطلع بقية أعضائه على شيء منه.

ويتصل بهذا الموضوع مهزلة أخرى: وهي أنه لما كنا في الرياينة أظهر السيد عبدا لله الشريف ورقة مكتوبة، ادعى أنها وقعت من الباروني، يحرض فيها البربر على عدم قبول الصلح وعدم الانضمام إلى العرب.

ويعلق على ذلك حيث يقول: وأنا اعتقد أن هذه الورقة مزورة لحاجة في نفوس بعض الناس، لأن الباروني لم يكن من البلاهة بحيث تقع منه هذه الورقة وهي هنأه تؤخذ على من أرسل لإصلاح ذات البين، وجمع ما فرقه التعصب للعنصرية والأغراض الشخصية. كما تؤخذ هنأه مثلها على من يتصدر لحضور المؤتمرات للنظر في مصير أمة بأسرها وهو لا يملك من نفسه أن يستمع إلى الحقائق. فإذا كانت نفسه تحرص على مثل هذه المحقرات في مثل هذه الظروف التي يقف فيها الوطن على الهاوية لغرض لا يعدو أن يكون انتقاماً أو إثارة فتنة ما،

---

[224] الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص 419 وما يليها؛ اللواء الطرابلسي، عدد 13، 8 من شهر ربيع الثاني 1338هـ-8 من يناير 1920م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

فكيف يرجى من مثله أن يحسن التصرف في شؤون الوطن العامة[225]. ويقول محمد فؤاد شكري في كتابه ميلاد دولة ليبيا ما يلي: "تعجب بشير السعداوي بعد حادث (طمزين) كيف ينبذ خليفة بن عسكر عروض الصلح ويأبى التفاهم الذي عرضه السعداوي عليه في كتابه، مما أفضى إلى كل هذه الحوادث المحزنة في الجبل من جهة، وتسليم ابن عسكر للطليان من جهة أخرى. وظل السبب في مسلك ابن عسكر سراً مطوياً حوالي الثلاثين عاماً، حتى اجتمع بشير السعداوي بالسيد احمد البدوي في طرابلس الغرب خلال عام 1949م، وسأله: كيف تسنى لخليفة ابن عسكر أن يهاجمنا في (طمزين) ونحن نطلب الصلح والسلام.

فاتضح أن الكتاب الذي بعث به بشير السعداوي إليه بواسطة السيد احمد السني لم يصل إلى صاحبه أصلاً، بل احتفظ به احمد السني لأنه يؤيد الزنتان في ميولهم العدائية ويتوقع أن يحصل على خمس الغنيمة من أسلاب الحرب عند قيامها[226].

وما يثير الاستغراب هنا أن أعضاء الهيئة والذين كان لبعضهم تاريخ مشرف مع هذا الرجل ولاسيما احمد بك المريض، قد غضوا الطرف ولم يحركوا ساكناً لرد تلك التهم والأقاويل عنه، مما يعطي انطباعاً للمراقب لتلك الأحداث أن هؤلاء أما أنهم كانوا على غير علم بما يدور من أمور مشينة في حق البلاد أولاً، وفي حق الزعماء الوطنيين النزهاء ثانياً، وأما أنهم لهم نصيب في تلك المؤامرات والتشويهات، وإلا ما كانوا قد سمحوا لعبد الرحمن عزام أن ينهال على الباروني بالشتائم مما أدى إلى تأزم الأمور بين الهيئة وسكان الجبل الغربي، فضلاً عن الذين كانوا معارضين لسياسة تلك الحكومة، الأمر الذي كان له آثار سيئة على حركة الجهاد فيما بعد[227].

لقد اتهم سليمان الباروني من قبل عثمان القيزاني صاحب جريدة اللواء بأنه المسؤول عن شنق خليفة بن عسكر، وأيضاً حمل عليه عبأ تلك الفتن والانقسامات بقوله أنه أحد الزعماء الذين قادوا الناس إلى الهلاك[228].

---

(225) الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص 421.

(226) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ج 1، المصدر السابق، ص 553؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع أحمد خليفة زارم، 7-8-9/2/12-4-1978م.

(227) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عبد السلام المريض، شريط 9/36.

(228) زعيمة الباروني، صفحات خالدة، ج 1، المصدر السابق، ص 418.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن تلك الاتهامات لا مجال لها من الصحة وذلك لعدة أسباب يأتي في مقدمتها التاريخ المشرف له منذ بداية حركة الجهاد إلى ما بعد الفتنة، كذلك تلك الاتهامات ينقصها الدليل القاطع الذي يمكن أن يُدان به، كما أنها صدرت من أشخاص كانوا على علاقة سيئة به، كذلك فإنهم لم يكن لهم دور يذكر في حركة الجهاد مثل بعض الزعماء الوطنيين لاسيما عبد النبي بالخير واحمد المريض الذين كما أسلفنا سابقاً لم يحركوا ساكنين لرأب الخلافات التي نشبت بين الطرفين. كذلك فإن هذه المرحلة من تاريخ حركة الجهاد تتسم بالغموض وليس من السهل الحكم فيها برأي، دون رفع الستار عن كثير من الحقائق من تاريخ هذه الفترة.

وفي رد له على الشائعات التي راجت في طرابلس عام 1921م والتي روجها صاحب جريدة اللواء، تزعم أنه قدم لايطاليا، وساعد على شيوع الفتنة في الجبل، وجاء في مقال الرد الكثير من الحقائق التي تنفي الشبهات عنه وتؤكد أصالة نضاله وكفاحه، ومما جاء في هذا المقال ما يلي:

"أما وصف اليد البارونيه بالأثيمة، فلا أظن أن صاحب "اللواء" يجد من يصوب رأيه فيها من المنصفين، فإنها درت على طرابلس خيرات لا تحصى، ودرأت عنها مصائب لا تستقصى،.... اليد البارونية هي التي منطقت الطرابلسيين بفضل الدولة العثمانية بالسيوف المذهبة وزينت صدورهم بالنياشين اللامعة، والساعات المرصعة،... اليد البارونيه هي التي كانت سبباً في صب الأموال كالأنهر في طرابلس، حتى أصبحت صناديق رجالها طافحة بالمسكوكات على كثرة أنواعها، وصاروا يعدون من صنف الأغنياء، ولو أنصف الشيخ القيزاني وراجع دفاتر تجارته، لعلم مقدار ما ربحه من الأموال بفضل اليد البارونيه ولتحقق لديه أن ما اكتسبته من تبديل الأوراق البارونيه العثمانية فقط، هو مبلغ وافر، ما كان يحلم بالحصول عليه حتى في المنام، اليد البارونيه هي التي أعتقت رقاب كثير من رجال طرابلس من الإعدام، ولو غضت الطرف لذهبوا ضحية الاستبداد ولا قصد لليد البارونيه من ذلك، إلا صون الشرف الطرابلسي من العبث وتدنيسه.

... اليد البارونيه هي التي كانت من اكبر الأسباب في الحصول على القانون الأساسي الذي لم يسبق مثله لغير طرابلس في أفريقيا، حتى مجدها العالم بأسره، وأصبح اسم

الطرابلسي كنار على علم، وأصبح صاحب "اللواء" حراً يتكلم ويكتب في الباروني وغيره[229].

– تأسيس هيئة الإصلاح المركزية

أما عن عقد المؤتمر الذي كان مقرراً أن تحضره جميع المناطق ولم يتسنى لمناطق الجبل حضوره للأسباب السابقة، وأصدر قراراً هذا نصه:

"إن الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة مؤسسة على أن يحقق الشرع الإسلامي بزعامة رجل مسلم، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقرره الأمة بواسطة نوابها وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة[230].

وقد شكل المؤتمر هيئة عرفت باسم "هيئة الإصلاح المركزية" يرأسها المجاهد احمد المريض مستشارها عبد الرحمن عزام، ومن ثلاثة عشر عضواً آخرين، أصبحت عملياً تدير المناطق الداخلية من غريان إلى سرت. ويبدو أن خليطاً لا يزال يربط بين حكومة طرابلس الغرب في الولاية وهيئة الإصلاح المركزية لأن آخر مركز ايطالي للاتصال ظل قائماً في ترهونة حتى مارس عام 1912م، وذلك بعد أن طرد جميع ضباط الاتصال من مراكز الدوائر قبل مقتل رمضان السويحلي[231]، وعند النظر في تشكيلة هذه الهيئة يتبين لنا أن اغلب أعضائها إنما يمثلون ما يدعى "بجانب الاعتدال"، وسياسة التساهل والتفاهم مع الحكومة الايطالية، من أما يكونوا من أعيان المدن المحتلة الخاضعة للايطاليين، وإما أن يكونوا من بين أعضاء حكومة القطر الطرابلسي المنحلة إثر أحداث الحرب الأهلية عام 1920م[232]. ومن هنا

---

(229) رسالة من سليمان الباروني إلى جريدة اللواء، نقلاً عن كتاب، زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 419، مؤرخة في عام 1921م.

(230) أمين سعيد، الدولة العربية المتحدة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، القاهرة، 1938م، ج 3، ص 346.

(231) أكرم عثمان عبد الرازق، دور بشير السعداوي في الحركة الوطنية الليبية 1912م–1952م، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، 2004–2005ف، ص 39 وما يليها.

(232) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع مسعود بن أحمد أبو فالقة، شريط رقم 16/6/1–4–1978م؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع صالح سعيد

كان اختيار أعضاء وفد الهيئة الذي عرف "بالوفد الملّي" في جميع أعضائه: محمد فرحات الزاوي، ومحمد نوري السعداوي، الصادق بن الحاج، وخالد القرقني، وهي شخصيات كانت قد قطعت صلتها بحركة الجهاد منذ معاهدة أوشي، بل إن خالد القرقني كان يقيم في ايطاليا للتجارة[233]. ورغم هذا الاختيار المبالغ في مرونته والمتميز إلى جانب سياسة التفاهم، فإن الحكومة الايطالية أقامت في وجه الوفد شتى العراقيل، بحيث حاول الوالي الايطالي منعه من السفر إلى روما لعرض مطالب الهيئة على الحكومة المركزية، وأخيراً تمكن من السفر، وهناك لقي صعوبات كبيرة تمثلت في عدم الاعتراف بتمثيله لأهالي القطر بحجة أن التمثيل الحقيقي للسكان لا يمكن أن يستقيم إلا بعد إقامة مجلس نواب يشارك فيه نواب عن كافة المناطق وهو المجلس الذي نص عليه القانون الأساسي، وتمثلت الصعوبة الأخرى في إرسال وفد آخر بدعوى تمثيله لبعض المناطق معترضاً على مطالب الهيئة المركزية يتألف من حسون القرمانلي، ومصطفى بن قداره، والشيخ أبو الإسعاد العالم، وعامر المعكف. وتذكر جريدة اللواء الطرابلسي، التي أوردت الخبر إلحاقاً له "أن يوسف خربيش والسنوسي أفندي قاضي زواره قد سافر معهم مع غلبة الظن أنهما لا يشتركان مع رفاقهم في الرأي من كل الوجوه[234].وقد رافق الجميع الترجمان الحكومي الكواليز حميدة الزمرلي، وبقي وفد الهيئة في ايطاليا نحو تسعة أشهر. ورغم فشله في الوصول إلى اتفاق مع الحكومة الايطالية، إلا أنه تمكن من عقد اتصالات كثيرة بالأحزاب الاشتراكية والهيئات المستقلة، وبالصحافة الايطالية. وأخيراً عاد إلى طرابلس متأثراً من ذلك التجاهل والإعراض من قبل حكومة الاحتلال، التي تمسكت بحجة عدم تمثيل الوفد لكافة الأهالي كما أسلفنا، وهذا المنطق إنما يعكس رغبة تلك الحكومة في تدارك الأمور قصد الإمساك بها، حتى لا تفلت منها بصورة نهائية وإلا فكيف تعود تلك الحكومة إلى إثارة موضوع (مجلس النواب) الذي ماطلت وعرقلت بشأن إقامته خلال عامي

كعبر، شريط رقم 12-13/6/25-5-1978م؛ مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عيسى صالح عيسى، شريط رقم 13/6/25-6-1978م.

(233) عمرو سعيد بغنى، حركة الجهاد الليبي خلال الفترة 19199-1921م، المرجع السابق، ص 241؛ بروشين، المرجع السابق، ص 185 وما يليها.

(234) اللواء الطرابلسي، عدد 54، الخميس 29 جمادى الآخر 1339هـ الموافق 9 مارس 1921م، طرابلس، ص 2.

1912-1920م، حيث كانت تهدف خلال تلك الفترة إلى تحقيق أهدافها عن طريق بث الفتن والفساد. وهكذا وبعودة الوفد (الملي) من روما إلى طرابلس في أواخر عام 1920 م، كانت الأمور قد ساءت بعد تجدد أحداث الحروب الأهلية في الجبل من عام 1920-1921م، بين محمد فكيني أحد أعضاء هيئة الإصلاح المركزية، وبين خليفة بن عسكر[235]. ورغم المحاولات التي قامت بها الهيئة التي كانت على اتصال بالباروني ومحاولات الأخير العديدة لإصلاح ذات البين بين جميع الأطراف المتحاربة في طرابلس والتي كان قد خصص لها مكاناً يسمى قصبة سفيط في ظاهرة يفرن لتلك المحاولات الإصلاحية، إلا أنهم لم يتمكنوا من تدارك هذه الفتنة والتي ذهب ضحيتها هذه المرة خليفة بن عسكر العدو الأول للايطاليين، الذي أجلى عن الجبل وانسحب إلى الوطية ليدخل تحت الحماية الايطالية والتي قامت فيما بعد بالقبض عليه وشنقه في أواخر عام 1922م[236].

دخلت العلاقات بين حكومة الجهاد وسلطات الاحتلال دوراً جديداً، وهنا لابد من الإشارة إلى أن المجاهد سليمان الباروني رغم الظروف التي كان يمر بها سكان الجبل إلا أنه قد قام بمحاولات لرأب الصدع في الموقع المشار إليه، كما قام بمحاولات أخرى نزيهة فسرها البعض بأنها مراد بها باطل ولاسيما في غريان، فعلى سبيل المثال الاتصالات التي كانت تتم بينه وبين الهيئة من غريان وقد أرسل له عبد الرحمن عزام رسالة مفادها أن الباروني كان يسعى لعقد مصالحة بين سكان الجبل فيما بينهم، وأنه يطلب من الهيئة الحضور لمساعدته وتصفية المشاكل وتطييب خواطر المسلمين من اجل الوطن والدين[237]. وهنا وقعت حادثة طمزين السابقة الذكر ففسرت على أنها محاولة من الباروني للإيقاع بأعضاء الهيئة، كما قام في عام 1921م بإرسال رسالة إلى عبد النبي بالخير من اجل قضية الخلاف بين الزعماء[238].

---

(1) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع محمد إبراهيم محمد زكري، شريط رقم 6/1؛ عمرو سعيد بغني، المرجع السابق، ص 243.

(236) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عمر الحاد القلاي، شريط رقم 29/6/14-5-1978م؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع عمر محمد النالوتي، شريط رقم 14-15/6/28-5-1978م.

(237) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 74، مؤرخة في عام 1921م.

(238) رسالة من سليمان الباروني إلى عبد النبي بالخير، نقلاً عن كتاب، زعيمة الباروني، صفحات خالدة، المصدر السابق، ص 431-432، مؤرخة في عام 1921م.

وقد بث رسالة أخرى إلى بعض قادة الجهاد جاء بخصوص الخلاف بين الزعماء.[239]

وعندما رفضت حكومة روما مطالب الوفد حاولت الهيئة الدخول في مفاوضات مع السنوسيين لتوحيد القطرين للتعاون على مواجهة الاحتلال الايطالي وكانت ثمرة تلك المحاولات عقد مؤتمر سرت في أواخر عام 1921م[240]. والذي أنهى اجتماعاته التي تميزت بتقدير الموقف الصعب الذي تمر به حركة الجهاد، وقد أثارت مقررات مؤتمر سرت غضب الايطاليين التي كانت تعارض منذ مؤتمر غريان فكرة أي تقارب بين أجزاء ليبيا المختلفة، وكانت ترى في توحيد القيادة الإدارية والعسكرية ما يشكل اكبر خطر على وجودها الاستعماري[241].

مما تقدم يتبين لنا أن أخطر المراحل التي مرت بها حركة الجهاد، وكادت أن تقضي عليها كحركة مسلحة هي المرحلة التي استلم فيها أمورها الزعماء وأصبحوا المتحدثين باسمها، حيث استطاعت سلطات الاحتلال اختراق صفوفهم وفصم عرى الوحدة بينهم[242].وهكذا فقد فشلت جهود هؤلاء الزعماء في تحقيق وحدة وطنية قوية في مؤتمر غريان عام 1920م، أو مؤتمر سرت فيما بعد حيث كانت سلطات الاحتلال التي بدأت تعزز قواتها العسكرية في البلاد وأصبح لديها زمام المبادرة، قد وضعت كل العراقيل أمام وصول هذه المؤتمرات إلى تحقيق أهدافها، وتفجر الموقف العسكري بشكل خطير. حيث أن المشاكل المتعاظمة التي بدأت تضعف حركة المقاومة في تحركها السياسي والعسكري جعلت العدو يقطع صلته بالزعماء ويعتمد الحل العسكري كوسيلة وحيدة لإعادة السيطرة على البلاد وفي هذا الإطار

---

(239) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 80، مؤرخة في عام 1921م.

(240) المبروك الساعدي، موسوعة روايات الجهاد، المرجع السابق، ص 145.

(241) محمد الأخضر العيساوي، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ط 1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1936م، ص 54 وما يليها؛ محمد علي أبو شارب، الحركة الوطنية 1922-1923م، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943م، ط 2، دار الكتب، 1998م، ج 2، ص 247 وما يليها؛ محمد امحمد الطوير، حركات التحرر من الاستعمار في العالم، المرجع السابق، ص 68-69.

[242] حبيب وداعة الحسناوي، قصة الجهاد الليبي، الممرجع السابق، ص 197؛ خليفة محمد التليسي، بعد القرضابية، دراسات في تاريخ الاستعمار الايطالي لليبيا (طرابلس الغرب 1922-1930)، ط 1، طرابلس، 1973م، ص 7 وما يليها.

تم من جانب واحد، وهو جانب إدارة الاحتلال، إلغاء كافة الاتفاقيات المعقودة مع زعماء المجاهدين في طرابلس، وأيضاً في برقة، واستؤنفت في طرابلس العمليات العسكرية، ولكن دون جدوى، ولقد خير فولبي والي طرابلس الجديد عام 1921م الليبيين بين التسليم بدون قيد أو شرط وبين التعرض لأن يقضى عليهم قضاء تام. وقد خطا موسوليني، الذي استلم السلطة في روما "أكتوبر عام 1922م" خط وسياسات فولبي لإعادة احتلال إقليم طرابلس[243]. وهنا أسدل الستار عن الفترة الأولى من كفاح المجاهد سليمان الباروني العسكري ضد الايطاليين، غاز مسرعاً ليواصل نشاطه السياسي من خارج البلاد مع من حالفهم الحظ ونجوا من قبضة الايطاليين.

---

[243] حبيب وداعة الحسناوي، نفسه، ص 199؛ جاد المولى علي الحرير، الجهاد الليبي عند شعراء الأقطار العربية، طرابلس، 1991، ص 41-42.

الـــفـصـــل الـــخامس

نشاطه السياسي في الخارج من عام 1923 – 1940م

أولاً: سـفره إلى فرنسـا وتـونس والسـعودية مـن عـام 1923–1924م.

ثانياً: سفره إلى سلطنة عمان من عام 1925–1928م.

1 – أهم عماله في مسقط.

2 – رسائله فيما يخص قضية ليبيا.

ثالثاً : نشاطه السياسي في العراق من عام 1929–1937م.

1 – رسائله الشخصية.

2 – رسائله الخاصة وقضايا العالم الإسلامي.

3 – رسائله الخاصة بقضية بلاده.

رابعاً : سفره إلى مسقط من عام 1938–1939م.

خامساً: وفاتهُ في الهند عام 1940م.

1 – سفره إلى فرنسا وتونس والسعودية من عام 1923–1924م.

ما إن تم لايطاليا السيطرة الكاملة على مدينة طرابلس الغرب حتى قامت بإصدار قراراً خيرت فيه زعماء الحركة الوطنية بين السفر خارج البلاد او التعرض للإذلال والقتل ففضل الجزء الاكبر منهم ممن حالفه الحظ ونجا من القتل والاذلال السفر، أما المجاهد سليمان الباروني فلم تلبث السلطات الايطالية في عام 1922م أن طلبت إليه مغادرة وطنه بعد ان أطلعته على "مضابط" ادعت أنها موقعة من ابناء وطنه تحمل توقيعات مائة وخمسون زعيم و"شخصية" وبما فيهم رفاقه من رجال المقاومة وحتى أقاربه، وكذالك ادعت إنهم تقدموا بها راجين إبعاده حتى تهدأ الحالة، وهذا القول قد استبعده المجاهدين "ونفى" انه قد وقع كل رفاقه رغم "التهديد" الذي تعرضوا له لاقرار تلك التوقيعات[244] وقالت له السلطة: سنأذن لك بالعودة بعد خمسة عشر يوما فغادر دون ان يودع أهله وأولاده، وفى ذلك تقول ابنته بان والدها قد "حدثها" فيما بعد يصف لها شعور يوم كان على ظهر الباخرة فى ميناء طرابلس: "وقد خالجني شعور عميق بأني لن أراها مره أخرى فكادت جفوني تمتنع عن الحركة حتى اشبع من منظرها الحبيب ولم انتبه إلى نفسي إلا بعد حين، عندما توارت وراء الأفق وغابت الأنظار"[245] وبذلك سافر في البداية إلى ايطاليا مستفيدا من لوائح القانون الأساسي ومن صداقته ببعض الأحرار الإيطاليون ولم يطل به المكث فيها، إذ اخبره احد عارفيه بما يبيت له خصومه فسافر إلى الأستانة وفي ذلك يقول "وقد تركت بلادي مهاجرا فارا من وجه الايطاليين "[246]، وهناك وجد أن الأوضاع في الدولة العثمانية قد تغيرت اثر الانقلاب الكمالي فضلا على ان الحكومة الجديدة كانت تعده من المطلوبين لديها نظرا للخلاف الذي وقع بين العرب والعثمانيين اثر أحداث الثورة العربية الكبرى في عام 1916م على يد شريف مكة "حسين بن على "لذلك حاول السفر إلى الشام أو مصر ولكن فرنسا وبريطانيا قد وقفت حاجزا ضد رغبته تلك[247]، بعد ذلك اجتاز رومانيا قاصدا إحدى الدول الأوروبية وهو يحمل جواز سفر باسم مستعار (سليمان بن عبد الله العثماني) إلى أن وصل إلى باريس

---

[244] زعميه الباروني، سليمان الباروني، تعريف موجز، المصدر السابق، ص16.

[245] عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق :ص93–94

[246] محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص51.

[247] زعيمه الباروني، سليمان الباروني، تعريف موجز، المصدر السابق، ص 17.

في فرنسا عاصمة النور ومهد الحرية كما يقولون ولكنه لم يجدها كذلك فقد منعته السلطات من مغادرة فرنسا بمجرد ان تعرفوا على شخصيته الحقيقية وهناك اخذ يتنقل بين الدول الفرنسية بين العاصمة ومرسيليا واخذ يكتب إلى مختلف الجهات المسؤوله راجيا السماح له بالمغادرة فلا يجد أذناً تصغي ولكنه وفق ذات يوم إلى الحصول على جواز سفر من بعض المراجع في مرسيليا فأبحر إلى تونس فوصلها في شهر سبتمبر عام 1923م وما ان شاع خبر وصوله إلى اصدقائه التونسيين حتى سارعوا إلى الفندق الذي نزل فيه للتسليم عليه وبعدها كلف المجاهد احد اصدقائه بالذهاب إلى رئيس قسم الشرطة الذي يقع الفندق في دائرته ليعلمهم وجوده حسبا للإجراءات المتبعة في الدولة أملاً من ذلك ان يلقى الموافقة من الحكومة على البقاء في تونس هو وأسرته فلما اعلم الضابط المسئول بذلك سأله في اندهاش الباروني هنا وقال له الضابط اسمع ان كنت تريد ان تبقى صديقا لنا كما كان أبوك فانزع يدك عن الباروني ثم كانت مخابرة بيني وبين الضابط وبين المراجع العليا فإذا رجال الأمن يطوقون الفندق ويحولون بينه وبين سكان البلاد لقد أثار هذا الموقف من الحكومة الفرنسية حفيظة سكان البلاد وأخذت الصحف تتناقل هذا الخبر وتهاجم السلطات الفرنسية بلهجة شديدة على تصرفاتها اتجاه ضيوفها وعلى سبيل المثال ما ورد في جريدة الأمة حيث تقول "أحيط الشيخ بسياج من البوليس على اختلاف أنواعه كأنه أسير حرب أو عدو كان متخفيا وهو ذلك الرجل الذي جاء ولم يشعر احد بوصوله إلا في اليوم التالي ..لقد أخفقت حكومة فرنسا في معاملتها لهذا الرجل اثر ايطاليا وانجلترا اللتين عاملتا هذا الرجل بمعاملة استثنائية وضيقتا عليه في وقت أرجعت فيه الحرية إلى كافة المعتقلين السياسيين كالشيخ الثعالبي وسعد باشا زغلول والشيخ عبد العزيز جاويش وإضرابهم ولا ندري ما سبب هذا الأمر وغايته انه يعطينا مثلاً صحيحاً لأخلاق الأمم المتمدنة في القرن العشرين ومعاملتها للضيف النزيل"[248].

ومن المعروف عن الباروني معاداته للاستعمار أسوة لجميع الزعماء العرب الوطنيين من أمثال الزعيم المصري سعد زغلول ودعاة الإصلاح التونسي كالشيخ الثعالبي وعبد العزيز جاويش

---

[248] مجلة الأمة، 30 سبتمبر عام 1923، نقلا عن محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية 12-13، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس ، 1982م، ج2، ص594-595.

وغيرهم ولكنه هنا كما يتضح لنا له وضع آخر يختلف عن غيره من الزعماء بدليل تلك الإجراءات البوليسية المشددة التي اتخذت ضده اثر وصوله إلى تونس وفضلاً عن ذلك قيام حكومات الاستعمار بإطلاق سراح جميع الزعماء السياسيين باستثناء الباروني التي رفضت السماح له بالإقامة في تونس بل منعت عليه السفر إلى أي الدول العربية الأخرى وهذا إما يعطينا انطباع واضح على مدى الخطورة التي كان يشكلها المجاهد ليس على ايطاليا فحسب وإنما على الدول الاستعمارية الثلاث فرنسا وبريطانيا علاوة على الدولة السابقة وذلك لعلمهم مدى قدرة الشيخ على إثارة مشاعر المسلمين ضدهم في أي أرضا تطأها قدمه وذلك ليس من الغريب ان تتخذ هذه الدول تلك الإجراءات الاستبدادية ضده على الرغم من تلك الإجراءات القمعية التي اتخذت في حقه بمنعه من الدخول إلى الدول العربية وحتى موطنه طرابلس إلا انه كان يسعى دائما إلى التأكيد على حقه في الحصول على الإذن بالرجوع إلى طرابلس أو الإقامة في إحدى البلدان العربية ومن تلك المحاولات قيامه بتوجيه رسالة احتجاج اثر رجوعه إلى باريس إلى جمعية الأمم ورجال السياسة وعلماء القانون وشرح فيه مدى المعاناة التي تعرض لها على أيدي تلك الدول التي تدعي الحضارة والتمدن وكذلك إصرارها على منعه من الوصول إلى بلاده بدون وجه قانوني رغم أنها ضمن الدول التي وقعت الصلح الذي شمل العالم كله بحيث سمحت فيه لجميع المواطنين بالرجوع إلى بلادهم ومما جاء فيه "..منعتني دول الوفاق الثلاث فرنسا انجلترا ايطاليا من الدخول إلى مستعمراتها والبلاد التي تحت سيطرتها فهل لدول الوفاق وجه قانوني يسوغ لها ذلك حتى تحرمني من التمتع بنتيجة الصلح الذي شمل العالم اجمع مع إني أفريقي طرابلسي المولد لي بها أملاك ولي في مصر مطبعة ومعاملات تجارية من قبل الحرب الكبرى ..."[249].

وهنا نجد الإشارة إلى أن الدول المذكورة هي نفسها التي بيدها إعلان السماح له ولغيره بالذهاب حيثما يشاء ويريد وهذه الحالة تختلف كثيراً عن شاكلة هيئة الأمم المتحدة في شكلها الحالي التي ترزخ تحت وطأة الدول الكبرى مثل أمريكا بريطانيا فرنسا وغيرها ان اختلف الزمان والمكان ولذلك لا أملا كان يرجى منها في إرجاعه إلى وطنه إلا إذا تكاثفت

---

[249] رسالة من سليمان الباروني إلى عصبة الأمم، نقلاً عن كتاب، محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص595-596، مؤرخة في عام 1924م.

الجهود العربية وطالبت بإرجاعه وحذرت هذه الدول من مغبة القيام بمثل هذه التصرفات التي لا تليق بالدول المتمدنة ولكن في حقيقة الأمر أن جميع الدول في ذلك الوقت كان لديها ما يكفيها من المشاكل والعراقيل بسبب الاستعمار وما زرعه من شقاق وتخلف داخلها وما أشبه اليوم بالأمس

وكذلك لقد تحدث عن هذه الرحلة من فرنسا إلى تونس ومنها رجوعا إلى فرنسا تحت المراقبة طيلة رحلة العودة ولم يفك عنه الأسر ولا سوء المعاملة إلا عندما وصل إلى مرسيليا على الرغم من المعاملة الحسنة التي لقيها في نهاية رحلته على يد بعض المنصفين من رؤسائهم"[250].

وظل في فرنسا تحت الأسر المفروض عليه مدة سنة ونصف تقريباً يقاسي من سوء معاملة الفرنسيين له ومن موقف دول الحلفاء الرامي بمنعه من دخول الدول العربية الواقعة تحت نفوذها وقد كتب في رسالة مطولة بعث بها من باريس إلى احد اصدقائه يشكو فيها سوء حاله وما أصبح عليه أهله"[251].

ومن هنا يتضح لنا انه قد عانى ما عاناه من سوء العذاب والفراق وكان يعز عليه الحالة المزرية التي كانت قد وصلت إليه أسرته في ليبيا أثناء إقامته الإجبارية ولكنه رغم ذلك ظل صامدا ولم يطأطأ رأسه لدول الاحتلال تأكيدا منه على ثبات موقفه وقوة عقيدته والتي كان يبدو من حديثه كانت تتمنى منه مجرد إشارة لتغرقه بالذهب كما أغرقت غيره من الزعماء من ضعفاء النفوس ولعل جملته التي قالها: يودون موتي ولكنني على رغم أنفسهم لا أموت تذكرنا بما قاله المناضل الكبير المجاهد الرئيس ياسر عرفات عندما أحكمت سلطات الاحتلال الإسرائيلية عليه الخناقات في مقر قيادته في رام الله في فلسطين العربية وقال مقولته الشهيرة التي خلدت اسمه "يردونني إما أسيراً أو طريدا أو قتيلا لا إنا أقول شهيدا شهيداً شهيدا[252].وكان لسان حال الزعيمين ينطق بنفس الحالة التي مر بها من اضطهاد واستبداد أيضاً على مرأى ومسمع

---

[250] رسالة من سليمان الباروني إلى بعض الصحف العربية، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني،المصدر السابق ص112، مؤرخة في عام 1924م.

[251] رسالة من سليمان الباروني إلى أبو اليقظان الحاج إبراهيم، نقلا من كتاب، عزا لدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 98-99، مؤرخة في عام 1924م، انظر ملحق رقم 8.

[252] ورد هذا الحديث في قناة الجزيرة القطرية للأخبار عام 2003م.

من العالم كله الحر .ورغم ذلك عاد يطرق أبواب قناصل الدول في عاصمة "النور"وهو يؤكد لهم انه قد اعتزل السياسة ولن يقوم بأي نشاط سياسي مهما كان شانه وإنما يريد أن يغادر هذا المنفى الذي دفعته إليه الأقدار دفعا ليعيش في تونس أو الجزائر أو سوريا أو مصر مقابل ان يجتمع بعائلته التي ساء حالها.فأما السلطات الفرنسية ما تزال على إصرارها من منعه من دخول تونس والجزائر وسوريا أما السفارة البريطانية فإنها ترفض أن يقترب من الشرق العربي ولاسيما مصر والسفارة الايطالية فهي التي أخرجته دون أن يودع أهله فكيف يرجا منها استقباله وأما تركيا فانه هو نفسه لا يريد العيش في ظل العهد الكمالي[253].

ولعل قصائده تلك التي ألفها في فرنسا تعبر لنا عن مدى ضيقه بسجنه الكبير في تلك البلاد، منها على سبيل المثال الأبيات التي يخاطب فيها شهر رمضان العظيم الذي عمق إحساسه بالملل والغربة، ومنها[254]:

...ضمناك يا رمضان لا عن رغبه في معش وقال الصيام حرام
ضمناك حيث يقال لا رب ولا كتب ولا دين ولا أحكام ...
ضماك في مرسيليا إذ قررت دول التحالف أسرنا وتعاموا ...
سنة مضت والله لم يفتح لنا بابا ويوم في المذلة عام[255]..

وقد كتبت إلى الشريف حسين وكان هذا يعرفه في الأستانة ويطلب منه تسهيل السفر له إلى مكة لأداء فريضة الحج في شهر سبتمبر عام 1924م.

والجدير بالذكر هنا ان الباروني وهو العثماني النزعة،كتب إبان إقامته في مرسيليا مقاله نشرتها جريدة الثواب التونسية، انتقد فيها معاهدة الحجاز الحسينية /الانجليزية وعاب فيها خروج الشريف حسين منها من الرابطة العثمانية الإسلامية، وعبر فيها عن رأيه في قضية الخلافة، وقد قرأ الشريف حسين هذه المقالة التي أرسلها إليه الباروني، فأعجبه منها نظره

---

(253) عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص99-100؛ زعيمة الباروني سليمان الباروني، تعريف موجز، المصدر السابق، ص17.

(254) انتظر محمد مسعود جبران، سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 53.

(255) عبد الله يحي الباروني، المصدر السابق، ص220؛ محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص52.

الصائب[256]، وقال معلقا: "إن الباروني ما كتب إلا عن حسن نيه ونصيحة"[257].ويبدو إن الشريف إبان له الظروف متى حملته على ذلك، والمبررات التي كان يراها وجيهة في الإقدام على ثورته، وأمر بالإذن له بالحج فوراً[258]، وبعد ذلك أتيح له أن يغادر فرنسا في الشهر والسنة المذكورة، متوجها إلى الديار المقدسة وكان يوماً سعيداً، لا يعد له إلا يوم تحريره من السجن في عهد السلطان عبد الحميد.

وعندما توقفت به الباخرة في الإسكندرية، ومنع من النزول إلى البر وفي ذلك يقول "...ولما وصلت الباخرة بورت صعد إليها انجليزي ومعه كاتب عربي وبعد اطلاعه على الباسبورت قال انه مكلف من طرف رئيسه بملازمة حتى لا انزل على البر..."، وقد أردف هذه بقصيده شعرية تعبر عن مدى الحالة التي وصل إليها المجاهد من الحزن على البلاد والعباد وهو يعطي مثال هام،كدليل واضح على عداء كافة دول الوفاق له، ولاسيما ايطاليا وفرنسا وانجلترا بما يدل عليه خشية الجميع من نزوله في إحدى البلاد العربية الخاضعة لنفوذهم وقد نشرت هذه القصيدة جريدة الأخبار اليومية في مصر عام 1924م بعد أن كتبها مباشرة ومما جاء منها:

...لقد فتح الإسلام مصر وساسها وها الآن جورج قال يكفيكم الزمر...
...أجيبوا فاني أزهري ووالدي له من عباب الازهر التبر والدر...
...وتحيون بالتمجيد قولا مجردا مآثر فرعون الذي ضمه القبر
فانه يك هذا فالوداع ولا أرى نجاحا وكرزون له النهي والأمر[259]

ما أن وصل جدة من نفس العام، حتى اقبل عليه السائلون وسلموا مرحبين .

وقد كتب في اليوم التالي من وصوله، رسالة إلى احد أصدقائه، ضمنها مشاهداته وما طفح في صدره من أحاسيس البهجة والفرح ثم ان الملك أكرمه واحتفى به وقلده نيشان الاستقلال العربي[260].

---

[256] زعيمة الباروني، سليمان الباروني؛ تعريف موجز، المصدر السابق، ص18.

[257] عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق,صـــ101

[258] محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق ,صـــ53

[259] رسالة من سليمان الباروني إلى بعض الصحف العربية، نقلا من كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، صـــ112-116، مؤرخة في عام 1924م.

[260] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقـــم 103، مؤرخـــة فـــي عـــام 1924م.

وبالرغم من تلك المعاملة الحسنة التي لقيها من الملك إلا انه ظل مخلصا لمبادئه ولم يقوم على مبايعة الشريف حسين على الخلافة وفي ذلك يقول "لم أقدم بيعة الخلافة كما بايع غيري[261] "وذلك ثبات منه على المبدأ يذكر له .

2 – سفره إلى سلطنة عمان من عام 1925–1928م:

بعد أداء فريضة الحج سافر إلى عمان بالرغم من الاعتراف الانجليزي على السلطان تيمور بن فيصل آل سعيد، واستقبل في تلك الديار من ارض شبه الجزيرة العربية استقبالاً عظيماً ورحبت به الربوع التي كان يعيش فيها آباءه وأجداده الأقدمون ترحيباً صادقاً وأفسح له أهلها الذين قدروا علومه وفهومه وبطولاته.[262]

لقد استقبل استقبال رسمي يليق بالزعماء، فما أن رست الباخرة التي تحمله في ميناء مسقط، حتى صعد إليها وزراء حكومتها لملاقاته والترحيب به وكان السلطان تيمور غائبا في الهند، فأرسل إليه من هناك برقية ترحيب: "قدوم مبارك لبلادنا ارجوا ان يكون شعبي استقبلكم بكل احترام".[263]

فكانت هذه المقابلة الكريمة جديرة بان تنسيه كثيرا مما عانى من الآم النفي والاغتراب هذا فضلا عن مقابلته الملك حسين له الحسنه .

وحظى من سلطان الساحل آنف الذكر ومن أمام داخل محمد بن عبد الله الخليلي بكل تبجيل وتكريم، ولم يقف من السلطان والإمام ومن أهل عمان في الساحل والداخل موقف الزائر الغريب بل تفاعل معهم جميعا تفاعلا حريص فيه على ان يظهر بمظهر المواطن الغيور، والمصلح والمرشد الذي لا يعنيه شئ غير بذل النصح والإسهام بالتجارب الكثيرة النافعة التي توصل إليها في رحلة حياته الغنية بالخيرات الخصبة بالنظرات.

لعل ذلك هو ما دفع الإمام محمد عبد الله الخليلي إمام مسقط بان يقلده منصب رئاسة أول وزارة عصرية في مملكته في منشورا أذاعه على سكان البلاد ومما جاء فيه.. "ليعلم

---

(261) عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص103.

(262) زعيمة البارونى، سليمان البارونى؛ تعريف موجز، المصدر السابق، ص18، أبو اليقظان الحاج إبراهيم؛ سليمان البارونى باشا في أطوار حياته، ج1، المصدر السابق، ص249.

(263) عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر نفسه، ص107–108.

الحاضر الغائب..إني فوضت الأمر في تنظيم المملكة تنظيماً صالحاً...للشيخ سليمان الباروني فبيده الملكية والعسكرية والمالية والسياسة الداخلية والخارجية...فمن يخالفه أو يقف في سبيل أعماله الإصلاحية يعاقب...ولا يلوم إلا نفسه...".[264]

ومن ذلك يتضح لنا مدى الثقة التي أصبح يتمتع بها لدى الإمام والسلطان بحيث يقلده الإمام كافة مقاليد الدولة دون تردداً أو خوف، وذلك إدراكا منه بمدى مقدرته على تنظيم البلاد تنظيما إداريا يتماشى مع النظم الإدارية المتبعة في الدول المتمدنة وذلك لخبرته الطويلة في هذا المجال.

أ – أهم أعماله في مسقط:

أ – العمل على إزالة الخلاف في تلك الفترة بين السلطان والإمام، وبث روح الإخاء بين الساحل والداخل واطراح ما كان بينهما من عداوة وبغضاء..

ب – كان محط ثقة الرجلين فأوفداه في مسالة المصالحة بين الشريف على بن حسين وبين عبد العزيز بن سعود، لإيقاف الحرب الدائرة بينهما في الحجاز وقد مثلها خير تمثيل، ووفق مساعيه التوفيقية، لولا الضغوط الاستعمارية التي أحبطت تلك الجهود.[265]

ج – أثناء تقلده منصب الوزارة قام بإجراء إصلاحات جذرية في شتى النواحي المالية والعسكرية والتعليمية، وبالرغم من وجود عقبات كأداء وقفت أمام إصلاحاته وتوجهاته، فقد وصل إلى بعض ما كان يؤهله ويسعى إليه، بفضل حماسه ومعاضدة الإمام الخليلي، الأمر الذي صادف هوى في نفوس المتعطشين للنهضة من سكان عمان[266] وقد أشار كثراً من الشعراء بهذه الأعمال نذكر منها على سبيل المثال تشييده مدرسة في مدينة "سمائل" فهي

---

[264] منشور من سلطان مسقط قلده فيه سليمان الباروني رئاسة الوزراء في مسقط، عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 109، مؤرخة في عام 1985م.

[265] أبو القاسم البارونـي، المصدر السابق، ص39؛ محمد مسعود جبران؛ سليمان البارونـي آثاره، المصدر السابق، ص54.

[266] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص250؛ عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر نفسه، ص108.

موجودة حتى الآن باسمها المدرسة البارونية[267]، ولقد قلده السلطان تيمور بن سعيد الوسام السعيدي مكافأة منه لأعماله الإصلاحية داخل السلطنة[268] .

ب – رسائله فيما يخص قضية ليبيا:

لقد كان من أهم تلك الرسائل التي بعث بها من هناك هي تلك المواجه إلى موسوليني[269] بخصوص الأخبار التي تناقلتها الصحف عن عزم الايطاليين على نقض القانون الأساسي لحكومة طرابلس الغرب الذي تمت الموافقة على مواده فيما سبق بين الزعماء الوطنيين وكان من ضمنهم سليمان الباروني، وبين الحكومة الايطالية ووقع عليه الملك الايطالي نفسه، والذي استحسنه العالم، وعده نقطة تحول من الحرب إلى السلم الذي يسعى إليه الجميع.

وقد عاب فيه على الايطاليين نقضهم لتلك الاتفاقية رغم الالتزام الذي أبداه الطرابلسيون على جميع المستويات، وعده نقطة سوداء في تاريخ ايطاليا الفاشستية والتي أكدت للعالم على انه لا عهد ولا ميثاق معهم، ثم يمضي بعد ذلك في اتهامه بالقصور وقصر النظر وبوصفها الوزراء والقادة الذين أسسوا هذا القانون بالجبن وضعف العزائم والحط من الشرف العسكري الايطالي لا المنصفين يرونه مخالف للحقيقة، حيث إن أولئك الذين أسسوه كانوا من خيرة قادة ايطاليا، وان أكثرهم الآن من أعضاء حزب الفاشست، ولان تأسيس هذا القانون كان في وقت حرج بالنسبة للايطاليين، لان رسل الرئيس ويلسون كانت بعد الهدنة واستمرار الحرب في طرابلس، وإعلان الجمهورية فيها تتردد على طرابلس لاستكشاف الحالة فيها ويذهب إلى التأكيد لهم على ان هذا القانون كان هوا المخرج الوحيد للمأزق الذي أوقعت نفسها فيه بهجومها على ليبيا، ثم بعد ذلك يعاود ويذكرهم بأحداث الحروب التي وقعت بينهم وكيف كانوا منحصرين داخل أسوار طرابلس لكثافة ضربات المجاهدين عليهم، ويختم رسالته بتذكير موسوليني بأن نقض القانون الأساسي الطرابلسي، سوف يصبح وسمة عار في

---

[267] زعيمة الباروني، سليمان الباروني تعريف موجز، المصدر السابق، ص18-19.

[268] محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص54-55؛ أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص258.

[269] رسالة من سليمان الباروني إلى موسوليني، نقلا عن كتاب أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص107-111، مؤرخة في عام 1926م.

تاريخ ايطاليا ولا سيما تاريخه[270]، كذلك قام بإرسال رسالة إلى الأستاذ عمر فائق شنيب يخبره فيها بان ما قام به الحداد من تأليف يمس شرف بعض المجاهدين إذا لم يعتذر عما بدر منه فسوف يقوم الرد عليه[271]، كذلك بعث برسالة إلى عمر فائق شنيب يخبره فيها بأنه عازم على السفر إلى مصر لإصلاح ذات البين بين مهاجري مصر[272].

3 – نشاطه السياسي في العراق من عام 1929–1937م

من الأهمية هنا أن نذكر أن مدة إقامته في العراق فضلا عن مملكة عمان أعطت له بعض الوقت، وأعانته على كتابة بعض المقالات والخواطر والأعمال التي نشرتها الصحف في القاهرة والجزائر والشام وبغداد، كما مكنت له من تدبيج رسائله الكثيرة الوفيرة التي استطعنا من خلالها التعرف بها عن ظروفه الشخصية الخاصة التي سوف نتطرق إليها بشيء من الإيجاز، ثم سوف نتطرق إلى الجزء المهم من تلك الرسائل، لإماطة اللثام عن كثير من آراءه المقدمة في القضايا العامة لا سيما فيما يخص قضية ليبيا وطنه، ولكن قبل التطرق إلى كل تلك القضايا الهامة سوف نتطرق إلى الظروف التي جعلته يترك عمان ويسافر منها إلى العراق حوالي منتصف عام 1929م .

بعد ان الح عليه المرض العضال واصطلحت عليه الحمى والملاريا، كاتب ملك العراق "فيصل بن الحسين" يطلب منه الأذن بدخول العراق فأذن له مرحبا ومعترفاً بصداقته لوالده الشريف حسين، مكبرا لشخصيته التي عبر عنها الملك بقوله إنها الشخصية التي يقدرها الجميع والتي يعرف لها كل عربي مكانتها في حقل الكفاح الوطني والقومي"[273].

ويتضح من رسائله، انه حل بالعراق عام 1929م، حيث غمرته من الملك والوزراء والأعيان أفضال كثيرة أسعدته وهيأت له فرصا للاستشفاء والتداوي، والإقامة الطبية في بلاد الرافدين

---

[270] أبو القاسم البارونـي، المصدر السابق، ص110–111، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السـابق، ص179–184.

[271] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف شكري فيصل رقم 15، الظرف الرابع، وثيقة رقم 49، مؤرخة في عام 1938م.

[272] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 15، الظرف الرابع، وثيقة رقم 61، مؤرخة في عام 1939م.

[273] أبو القاسم البارونـي، المصدر السابق، ص39.

وإعانته على الامتزاج بالمجالس العلمية والأدبية، والالتقاء بأهل الفكر ورجال الصحافة وكبار البلاد في السياسة والحكم، وكذلك اتسعت له المجالس الخاصة والعامة على نحو ما تشير إليه مقالته "وقفه في الكاظمية"[274]، ومقالته التي تحدث فيها عن مشاهدته للاستعراض العسكري لجمعية الطيران[275].

إن الدارس لتاريخه، والناظر في ترجمته يتحقق من قريب ان حياته في العراق كانت واحة جميلة، وارفة الظلال، استضل فيها المسافر المنفي، بعد طول المسير، ونعم بالراحة وقد حرص على تأكيد أمثال هذه الأوصاف في رسائله الكبيرة إلى إخوانه في الشام، وفي الجزائر، كما وصف العراق في إحدى كلماته بأنه "وطني الثاني"[276] وآيه ذلك أن كثير من رسائله ومقالاته ومسجلاته الصحفية التي سنأتي لدراستها وتقويمها صدرت في هذا الطور، بل إن استراحته هذه جعلته يفكر تفكيراً جدياً في جمع وتأليف كتاب "تاريخ الحرب في طرابلس الغرب" بعد ان كشف عنه بلاد الرافدين وأهله الكرام بعض ضيقه وعسره ولا سيما المعاملة الحسنة التي لقيها من الملك فيصل وولده من بعده الملك غازي بن فيصل، الذي اقتدى بابيه في إيوائه، وظل في مكرما له إلى حين وفاة الملك غازي، وقد أشاد الباروني بالعراق وبأيادي عاهله عليه فقال في قصيدة الشعرية :_

رميت عصا الترحال بعد مشقة بدار السلام قبلة العرب بغداد
فنلنا بها عزا وزالت همومنا بصحبة اقيال البطولة أمجادا
بها الملك الصمصام غازي بن فيصل سليل الحسين السبط افخر اجداد[277]

على الرغم من انه كان لكل سياسي الحق في الالتجاء إلى أي دولة من الدول الكبرى على شروط يلتزمها لها، فإنه قد حرم من هذا الحق الشرعي منذ ان كان في اسر الحلفاء من عام 1922-1923م، بين مرسيليا وباريس، فقد طرق منذ ذلك الحين كما أسلفنا أبواب المراجع العليا في باريس ولندن مراراً وتكراراً، وكلما زاد عليه المرض في عمان وبغداد زاد في الطلب

---

(274) محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق ص56.

(275) مجلة الامة العدد 123، 1937م، نقلا عن كتاب، محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص97.

(276) مجلة الأمة، المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(277) المصدر نفسه، ص57.

والإلحاح في ذلك، ولكنه لم يفلح في كل مرة رغم الوسائط العليا والوعود البراقة، ومن تلك الرسائل ما يلي:

أ – رسائله الشخصية:

أ – رسالة منه إلى الجزائر إلى صديقه الحاج عمر العنق يخبره فيها ببوادر انفراج قريبة للأبواب المغلقة أمامه من طرف الدول المتحالفة، فقد شعر بذلك، ويسعى للحصول على تلك الموافقة[278].

ب – رسالة منه إلى احد أصدقائه في بغداد يخبره فيها انه عازم على مفاتحة ايطاليا من جديد للسماح لعائلته بالعودة إلى طرابلس، خشية عليهم من الحرب المتوقع اندلاعها (الحرب العالمية الثانية) [279].

ج – رسالة منه إلى صديقه أبو اليقظان الحاج إبراهيم يخبره فيها بان باب مصر الذي ظل مقفلاً في وجهه فترة طويلة من الزمن قد تم فتحه وان القنصل الانجليزي في مصر اخبره بموافقة حكومته على دخوله إليها لمدة ثلاث اشهر [280].

د – رسالة منه إلى عمر فائق شنيب، يحدثه فيها بان جهوده مازالت متواصلة لنشر المقالات التي تشنع ايطاليا وجرائمها [281].

أما عن الرسائل التي وجهت إليه من بعض اصدقائه ومن شخصيات سياسية وردوده عليها نذكر منها ما يلي:

أ – رسالة اللجنة التنفيذية إلى سليمان الباروني لموافاتها بنبذة عن جهاده[282].

---

[278] رسالة من ليمان الباروني إلى عمر العنق، نقلاً عن كتاب، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق ص93، مؤرخة في عام 1929م.

[279] رسالة من سليمان الباروني إلى احد أصدقائه في بغداد، نقلاً عن المصدر نفسه، نفس الصفحة، مؤرخة في نفس العام.

[280] رسالة من سليمان الباروني إلى أبو اليقظان الحاج إبراهيم، نقلاً عن المصدر نفسه، ص93-94، مؤرخة في عام 1929م.

[281] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 15، الظرف الرابع، وثيقة رقم 82، مؤرخة في عام 1938م.

ب – رسالة سليمان الباروني إلى بشير السعداوي حول المعلومات التاريخية عن سير الجهاد[283].

ج – رسالة من عمر فائق شنيب إلى سليمان الباروني بخصوص الخلاف الواقع بين اللجنة التنفيذية وبشير السعداوي [284].

د – رسالة من إدريس السنوسي إلى عمر فائق شنيب بخصوص سليمان الباروني وما قام به من الموافقة الوطنية تجاه قضية بلاده، حيث دافع بقلمه عن قضية طرابلس وبرقة ومجاهديها [285].

هـ – عندما كتب أحد أصدقاء سليمان الباروني مقالاً وصف فيه سليمان الباروني بأنه رجل من رجال الإسلام كالأمير خالد الجزائري والشيخ الثعالبي في تونس وسعد زغلول في مصر ....الخ، قاطعه الأستاذ هنا وقال له: "أتشبه الثعالبي بالشيخ الباروني، كلا كلا، فان مجد الشيخ سليمان إنما اكتسبه بالسيف، وما يكسب بالسيف يبقى ابد الدهر لماعاً كالذهب، وأما أنا إذا ما اكتسبت شيئاً فإنما هوا لا يعد شقائق كلامية وسرعان ما تذهب..."[286].

والجدير بالذكر هنا ان سليمان الباروني قد عانى كثيراً من الضائقة المالية فقد أضاعت الفتن الداخلية في طرابلس، ثم الاغتراب كل ما كان يملكه من أموال لذلك نراه يكتب إلى أصدقائه في ليبيا يحدثهم فيقول ان له نحو عشرة آلاف نسخة من الكتب التي كان قد طبعها في مطبعته بالقاهرة وهي ما تزال مخزونة هناك متطلعا إلى بيعها إن أمكن بطريقة اقترحها عليهم،

---

[282] رسالة من اللجنة التنفيذية إلى سليمان الباروني، نقلا عن كتاب، تيسير بن موسى، المصدر السابق، ص227، مؤرخة في عام 1931 م؛ انظر ملحق رقم 9.

[283] رسالة من سليمان الباروني إلى بشير السعداوي، نقلا عن كتاب تيسير بن موسى، المصدر السابق، ص46، مؤرخة في عام 1931م، انظر ملحق رقم 10.

[284] رسالة من عمر فائق شنيب إلى سليمان الباروني، نقلاً عن كتاب، تيسير بن موسى، المصدر السابق، ص149-150، مؤرخة في عام 1939م.

[285] رسالة من إدريس السنوسي إلى عمر فائق شنيب، نقلا عن كتاب أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، صـ187، د.ت.

[286] رسالة من الثعالبي إلى احد أصدقائه، نقلاً عن كتاب أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر نفسه، ص 106-107، د.ت.

وبالفعل قد قام اصدقائه باستيراد كمية من هذه الكتب بعد تجليدها، وعمدوا إلى ترويجها بينهم بأثمان مناسبة، وفي ذلك يقولوا "وكلما جمعنا منها مبلغا أرسلناه إليه للترفيه عنه"[287].

أيضاً تجدر الإشارة إلى أن داء الملاريا قد تعداه إلى ابنه الشاب إبراهيم الذي التحق بوالده هو وأفراد الأسرة.

توظف إبراهيم في القصر الملكي في العراق، بغية الابتعاد عن بيئة مسقط الراشحة لحمى الملاريا ولكي يتاح له ان يدرس الحقوق في الجامعة البغدادية.

ب – رسائله الخاصة وقضايا العالم الإسلامي:

أما عن القضايا التي خاض فيها المجاهد فهي كثيرة ومتعددة، نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ما يلي:

أ — قضية فلسطين:

لم يغفل المجاهد عن قضية فلسطين، وهي في ذلك الوقت في احتدامها، وكانت شغل العرب والمسلمين الشاغل، فكتب إلى لجنة نزع السلاح في عصبة الأمم رسالة مطوله إبان فيها الفضائع التي يرتكبها العدو الإسرائيلي في فلسطين، والتي أثارت العالم العربي على وجه الخصوص والعالم الإسلامي على وجه العموم، وناشدهم باسم السلم وحقنا للدماء، إعادة النظر في رسائله المقدمة قبل فوات الأوان وتصبح هذه القضية بداية الشرارة لحرب كونية أخرى لان الصهيونيين على حد تعبيره ولو بلغو الملايين لا يستطيعون ان يحموا أنفسهم في فلسطين فضلاً عن يحموا السكة الحديدية والمطارات وأنابيب البترول إذا انفجر بركان حرب عامة ...[288]

ب – قضية الاستعمار:

---

[287] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص91 وما يليها؛ عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص111-112.

[288] رسالة من سليمان الباروني إلى عصبة الأمم، نقلاً عن كتاب، عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر نفسه، ص 110-111، مؤرخة في عام 1932 م.

كذلك قام بإرسال رسالة مطولة إلى مؤتمر نزع السلاح للعصبة المذكورة بجنيف تحت عنوان "لا سلم مع الاستعمار" وقد دعمها بحجج دامغة وبيانات مدققة، وقد تناقلت شركات البرق والصحافة نصوصها وعلقت عليها بما يتفق ووجهات النظر الدولية[289].

لقد أثارت هذه الرسالة موجه عاليه ووجدت صدا طيبا لدا لجنة المؤتمر

ج – رسائله الخاصة بقضية بلاده:

في الحقيقة إن في هذا الجانب من حياته في المهجر، يعد هو الأهم على الإطلاق، حيث تتجلى تلك الأهمية في كونه يصب في مسار واحد وهو المسار الوطني، الذي إما يدفع فيه عن نفسه بعض التهم من مغرضيه، وأما يتصدى فيه للدفاع عن قضية وطنه بالأدلة والبراهين، لأنه كما يظهر في مساجلاته وردوده انه كان لا يقبل من احد أياً كان أن يمس تاريخه وكفاح وطنه وأمته بشيء.

وقد توجه بتلك الردود إلى شخصيات من بلاده والى شخصيات أخرى في البلاد العربية، وسنحاول عرض أهم تلك الردود من خلال النقاط التالية:

1 – عندما كانت المعركة القلمية حامية الوطين في صحف سوريا وفلسطين ضد بعضها في شان مدح ايطاليا أو ذمها في عام 1935م، من اجل استمالتها إليهم لتقوي بها على نيل بعض حقوق بلادهم على حساب طرابلس الغرب، كتب سليمان الباروني مقالا تحت عنوان: "كونوا كما تريدون وإنما لا تدخلوا طرابلس في نظرياتكم".[290]

وفيه يعاتب صحف الشام وفلسطين ومن انتصر لها على جعلها القضية الطرابلسية كبش فداء لاستمالة ايطاليا إليها، ولو كان ذلك فيه مس لمشاعر إخوانهم من الوطنيين الليبيين حيث يقول لهم: "إن الذي يريد ان يستميل ايطاليا لمصلحته بتمجيد أعمالها في طرابلس

---

(289) رسالة من سليمان الباروني إلى مؤتمر نزع السلاح لعصبة الأمم، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص 116 وما يليها؛ أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص 127 وما يليها، د.ت.

(290) رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، نقلاً عن كتاب، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص184–186، مؤرخة في عام 1935 م.

يمكنه ان يمجدها بجهات أخرى غير طرابلس فان لها مستعمرات واسعة ويغرقها مدحا كونها من الدول المعظمة التي تدير الكرة الأرضية كما تشاء في هذا الوقت ..."[291].

ثم بعد ذلك وحفاظا على مشاعر إخوانه من الشام وفلسطين يقول لهم ان رده هذا ما جاء إلا بعد أن طفح الكيل، وأصبح في السكوت على ذلك يعد دليل على الخنوع والتقصير والاعتراف بالواقع .

2- وفي رسالة أخرى تحمل نفس الموضوع تحت عنوان: "حقيقة الحرب الطرابلسية" وفيها رد على بعض الصحف التي خاضت في المسألة الطرابلسية وشوهت فيها الكثير من الحقائق التاريخية إما بقصد أو على غير علما منها حيث يقول فيها: "...إذ أصبح بعض الكتاب يجودون به على من يشاءوا... كأنه تركة لا وراث لها ومال جهل صاحبه ..."[292]

ويوضح فيه للناس حقيقة الحرب الطرابلسية عند الهجوم الايطالي على بلادهم عام 1911م إنهم لم يقاوموا الايطاليين إلا بدافع الدين والوطن لا بإيعاز من غيرهم، وإنما عن طريق علمائهم ورؤسائهم وضمائرهم، في الوقت الذي كانت فيه الدول العثمانية مترددة في إعلان الحرب بل إن مجلس المبعوثان العثماني كان منقسماً على نفسه إلى حزبين، حزب يميل إلى الصلح وحزب يميل إلى إعلان الحرب، في الوقت الذي كانت فيه المعركة على أشدها داخل أسوار طرابلس بينهم وبين العدو الغازي حيث استبل المجاهدين بقيادة رؤسائهم والضباط الوطنيين على عدوهم الذي ظل أسير الاستحكامات المشيدة حول المدينة, ويعطي أمثلة على بعض المعارك التي خاضها المجادين وانتصروا فيها (الهاني وسيدي المصري وقرقاش... كذلك يذهب إلى أن نفس الحمية الدينية والوطنية هي التي دفعت مئات المجاهدين من رجال الحرب من البلدان الإسلامية المجاورة إلى الانضمام إليهم "من مصر وتونس ومراكش والجزائر والسودان ويعطي بعض الأمثلة على بعض الشخصيات فيعطي مثلا عن الضباط المصريين الذين شاركوا في تلك المعارك مثل عزيز على المصري، وعبد الرحمن عزام واليوز باش إبراهيم لطفي والتي لا يمكن لأحد إنكارها هذا بالنسبة لطرابلس الغرب ثم يخوض في جهة

---

[291] رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، نقلاً عن كتاب، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر نفسه، ص184-186، مؤرخة في نفس العام.

[292] رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، نقلاً عن كتاب، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص185، مؤرخة في عام 1935 م.

برقة فيقول: "أما جهة برقة (بن غازي) فكان قطب الحركة فيها والقابض على زمام حربها من أولها إلى آخرها هم السادة السنوسيين، ومن ورائهم رؤساء قبائل برقة ... "ويختم تلك الرسالة بالتأكيد على أن: "هذه هي الحقيقة الناصعة في جهاد طرابلس، وكل ما يخالفها زخرف من القول يجب تطهير التاريخ منه، كما يجب ان تتنزه عن نشره الصحف التي تحترم نفسها ..."[293].

لقد أثارت هذه المقالة ردود فعل كبيرة بين الكثير من الصحف والجرائد ومن الشخصيات الوطنية، الليبية والعربية الذين استحسنوا هذا المقال واعتبروه من القلائل الذين يملكون الأجوبة لكثير الحوادث التاريخية الإسلامية والعربية، ولا سيما قضية بلاده لأنه حضر الحرب الطرابلسية من أولها إلى آخرها وهو من السياسيين الذين يحرصون على تتبع الحوادث الخارجية فضلا عن انه كان واليا على ولاية طرابلس [294].

ثم يدلل العقال على ان سليمان الباروني حين كان في وطنه وكانت له السلطة التامة في العرب الطرابلسيين التي كان فيها محل إعجاب لكل القادة والضباط الأتراك الذين رافقوه في تلك الحرب[295].

ثم يعقب أحد المصادر على هذا المقال حيث يقول:

ومن نوادره أيضاً التي يستدل على صفاء سريرته أنه لما أجلاه الايطاليون مع المجاهدين إلى تونس جاءته بعض الإعانات فرد على أصحابها قائلاً لهم: إن الإعانات للمجاهدين والآن لا جهاد"[296].

ثم يؤكد على أن هذه الإعانة ليست الأولى التي ردها وإنما هناك الكثير منها التي ردها إلى أصحابها من تونس والجزائر [297].

---

[293] رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، نقلا عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، مؤرخة في عام 1936 م.

[294] مقاله عن دور سليمان الباروني في الحركة الوطنية، نقلاً عن كتاب، أبو القاسم الباروني، المصدر السابق، ص128-129، مؤرخة في عام 1936 م.

[295] أبو القاسم الباروني، المصدر نفسه، ص130.

[296] أبو القاسم الباروني، المصدر نفسه، ص 131-132.

[297] المصدر نفسه، ص 133.

3 – لقد كتب مقاله يؤيد فيها الأستاذ عمر فائق الشنيب صاحب جريدة شامي يتزلف لايطاليا على المقالة التي رد فيها التهم التي وجهت لحركة المقاومة الوطنية في برقة وطرابلس[298].

4 – وفي هذه المقالة تعقيب منه على الأستاذ عمر فائق الشنيب في جريدة الرابطة تحت عنوان: "القول الفصل في القضية الطرابلسية الطرابلسيون وحدهم هم الذين دافعوا عن بلادهم" وخلاصة مقال شنيب تحت عنوان: "دعوة الطرابلسيون إلى توحيد صفوفهم" انه دعى مواطنيه إلى وحدة الكلمة والرأي، وطلب من سليمان الباروني ان يسد باب النقاش فيما نسب إلى الأستاذ عبد الرحمن عزام انف من الأعمال في طرابلس، وعدّ تلك المناقشة قشوراً لا قيمة لها بل بالغ في رأي الباروني حتى قال إنها أصابع ايطالية تلعب تحت الستار بالطرابلسيين[299].

في بداية المقال شكر سليمان الباروني له حسن صنيعه في الدعوة إلى الاتحاد والتضامن، واخذ عليه أن يعد المناقشات وغيرها حول القضية الليبية من القشور لأنها في رأيه مما يجب استئصالها برفع الستار عن حقائقها، لأنها نسخة تاريخ طرابلس الغرب الحامل بجهاد قل نظيره وما قام به أبناؤها الأبطال الذين علموا الناس في هذا العصر أن جهاد الحق إنما يكون بالدماء، والسلاح لا بالأقلام [300].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى المعنى التالي الذي أشار إليه الشنيب والذي فهم منه انه المقصود به فرد عليه بقوله "وأما قوله أن الأصابع الايطالية هي التي لعبت هذا الدور فلو خصه بالذين أثاروا هذه الزوبعة وجردوا الطرابلسيين من فضل جهادهم، لأصاب كبد الحقيقة. وأما الذين قاموا بإعادة الحق إلى أصحابه مدافعين عن شرف المجاهدين , فلا يخطر ببال عاقل إنهم محركون بغير وجدانهم وغيرتهم على كرامة وطنهم..." [301].

---

[298] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص187-190 م.

[299] مجلة الأمة الجزائرية، العدد 110، 1937 م، نقلا عن كتاب محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص313.

[300] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، 190.

[301] محمد مسعود جبران، المصدر نفسه، ص315.

5 – وفي مقاله هذا الذي جاء تحت عنوان: "صفحة رائعة من جهاد طرابلس الغرب" يطالعنا بتعقيب على مقال كتبه المجاهد المصري محمد إبراهيم لطفي في الجهاد وشكر له ما كتبه وما ساهم به من كفاح، إلا انه اخذ عليه قوله في مقاله:

"وتنظيم الحدود بينها يعني الحكومتين الطرابلسية والبرقاوية". وقد سلم سليمان الباروني بأن ذلك صحيح في برقة، لأن السيد أحمد الشريف قد سمى حكومته بالحكومة السنوسية، حيث لا مزاحم لها في برقة، ونفى أن يكون مثل ذلك قد تم في طرابلس التي تزخر بالمذاهب والطرق، وأردف هذه المعلومات التاريخية والواقعية بم تم إبان الجهاد في حضوره من اتحاد صف وتمازج "بحيث أصبح كل المجاهدين إخوان في الإسلام والوطن، لا ذكر لمذهب ولا لعنصر ولا لطريقة على لسان احد منهم قط..." وتأكيداً لهذه الحقيقة دعم المجاهد التعقيب بصورة وثائقية للتلغراف المرسل من لواء الجبل إلى وكيل الوالي وإلى نادي الاتحاد والترقي، وأتبعها بالمضبطة التي نظمها رؤساء مجاهدي لواء الجبل ولواء فزان وقضاء ورفله عقب الاتفاق على دوام الحرب، ومراده من ذلك ان يخلص إلى: "انه ليس في تأسيس الحرب الطرابلسية أولاً، ولا في تأسيس حكومته المستقلة ثانياً ما يشتم منه رائحة مذهب أو طريقة أو عنصر قط، وإنما كانت الأعمال كلها جارية باسم الإسلام والوطن لا غير "[302].

6 – في هذه الرسالة التي بعث بها إلى جريدة الجهاد، تعقيباً على مقال الأمير شكيب أرسلان في تأبين الشيخ احمد الشريف السنوسي.

وقد اتفق مع الأمير في الإشادة بفضائل السيد أحمد الشريف ودوره الكبير في حركة الجهاد في جهة برقة، إلا إن اخذ عليه إنكاره للدور الذي أداه زعماء الحركة الوطنية الآخرين ولا سيما الزعماء الطرابلسيين حيث يقول: "فإني ما كنت اعتقد إن الأمير، يتعمد إنكار المحسوس وطمس حقائق التاريخ إلى هذا الحد على مسمع ومرأى من العالم كله، وفيه من رجال التاريخ، وأساتذة التدوين وفطاحل العلماء، ومحرري الصحف ورجال الحرب الواقفين على دقائقها ما لا يعلم عدد إلا الله، وهو يدري أن التاريخ أمانة ثمينة يجب ان تحفظ للأجيال غير

---

[302] مجلة الأمة، العدد 34، 1935م؛ جريدة الأمة العدد 108، 1937 م، نقلاً عن محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص319 .

مشوهة، وإن المؤرخ أمين لا تزعزعه الأغراض، ولا تستهويه العواطف[303]، ثم يقول: "فإنه بالتأمل في تلك الجمل، يتضح انه جرد الدولة العثمانية ورئيسها الخليفة الأعظم إذ ذاك من فضل الدفاع عن طرابلس وبن غازي.."[304].

انه هنا لا يريد ان ينتقص الدور الذي أداه السيد أحمد في تلك الحرب ولكنه يريد ان يثبت حقيقة المقاومة، ومصدرها الطبيعي، الذي لا ينكره ذلك الفقيد نفسه، فيقول: "ولو اطلع السيد السنوسي على هذا الكلام، لما ارتضاه بدون شك عندي لأنه عالم بما هو عائد إليه من هذا الجهاد، وهو عائد إلى غيره و يتنزه أن يكون من الذين قال اله فيهم "لا يحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا"[305].

أيضاً ومن مآخذه عليه، انه مزج في كلامه المذكور حرب بنغازي وبرقة مع حرب طرابلس، على الرغم من علمه: "بأنه لا علاقة لأحد القطرين بالآخر في الحرب لا إدارياً ولا عسكرياً ولا مالياً قط" ويرى أن تعمد هذا المزج لأمر ما لم يفصح عنه مترجمنا، ويظهر أن الأمير، قد تنبه بعد هذه المقالة التقصيرية في التنويه بجهاد الباروني وببطولته في الحرب الليبية، فاستدرك في كلمته ذلك الإغفال الملاحظ في كلمة التأبين السابقة وأشاد بما كان لهذا البطل الفذ من كفاح وما جاء فيها: "إني لعارف من فضل الشيخ سليمان الباروني في جهاد أهالي الجبل الغربي من طرابلس، ما لا يباريني في تقديره، والملاحظ هنا أن الأمير في كلمة التأبين قد ظن ان المجاهد تسكته كلمة المجاملة، واللفتة المصانعة ولم يحسب ابعد من ذلك، وانه يعنيه في المقام الأول إن تذكر الحقائق الموضوعية بغير تحريف سواء ذكروا فيها أو لم يذكروا، ويهمه أن يكتب التاريخ في غير تحيز أو محاباة ولا فرق بعد ذلك ان يرد فيه دور الباروني أو دور غيره من الأبطال الذين جاهدوا في سبيل الله، في غير عنصرية أو طائفية، ولذلك فان هذا الاستدراك الذي كتبه الأمير تحت عنوان "فضل الباروني في جهاد طرابلس" يثير هو الآخر غضب الباروني، لان كاتبه وصفه فيه بالاباضي والبربري القليلين، ورأى في ذلك زيفاً وتحريف

---

(303) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 42، مؤرخة في عام 1937 م.

(304) انظر، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص191.

(305) سورة آل عمران، الآية الكريمة رقم 188.

لنضال امة قاتلت ولم تعرف في قتالها تميزا بين أبنائها، أو محاولة لإحداث الفرقة التي لم تفلح في ذلك التمزيق.

كذلك كتب الأمير مقالاً آخر في جريدة الأيام، عرض فيه لقضية طرابلس الغرب وتناول بعض النقاط الحساسة التي أثارت الباروني نظراً لاختلاف وجهات النظر بينهما حول هذه القضية جاء في بداية هذا الرد: "قرأت في الأيام الغراء بتاريخ 2 رجب الجاري مقالاً طويلاً للأخ الأمير شكيب لم يهمني منه إلا ما ذكره عن طرابلس الغرب، وطننا العزيز، مما كرر إيراده في مقالاته الكثيرة، كأنه نعمة من نعم الله التي يجب عليه التحدث بها في كل وقت، ولو اشتغل بأمر بلاده، وترك ذكر طرابلس الممحو اسمها من سجل البلاد الحرة والطرابلسيين المحكوم عليهم بالشقاء والتشتت في الأقطار، وكف عن إطراء أعمال ايطاليا في طرابلس لكان أحسن له، فان ما يراه تحسيناً هو في نظرنا تقبيح، وما يراه تعميرا هو عندنا تخريب، لأننا اعلم منه بحقيقة ما يجري في بلادنا منه وقوفا على ما يساق إليه شعبنا الحاضر ونسله الجديد"[306].

وقد انطلق في مقاله هذا من منطلق الشائعات الكثيرة التي لابست الأمير من سعيه للصلح بين الايطاليين والليبيين واتصاله بالدوائر الرسمية الايطالية في مهمة غامضة لبحث القضية الليبية وهذا ما زاد من حدته في المقال: "فإذا كان يرى إنقاذ الستين ألفاً (إذا صح العدد) من الهلاك في صحراء برقة وإطلاق مئات من المسجونين في ايطاليا وغيرها من باب الشفقة والرحمة بالطرابلسيين، ومن نتيجة الانقياد لنصائحه، فإننا نرى هذا بغير العين التي رآه بها، نرى (ونظرنا اصح) إن ايطاليا لم تطلق سبيل مسجون واحد، ولم تعد من منفى صحراء برقة نفرا واحداً إلا بعد أن قضت على آخر حركة ضدها في برقة، باحتلالها واحة الكفرة مركز السنوسيين الأخير، على الصورة الشنيعة التي وصفها الأخ شكيب في وقتها وتجاهلها الآن".

ندد الباروني بهذا التخاذل من الأمير، وبين أن كلامه كان سبباً في وقوع كثير من الليبيين في شباك ايطاليا، وساق في بيان فساد قصد ايطاليا من ذلك الصنيع، وتغريرها بالواهمين مثالاً من مرؤة الاستعمار "للدلالة على ان الأمر ذلك المسمى عفواً، ما كان رحمة بالإنسانية ولا

---

[306] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 45، د.ت، محمد مسعود جبران، مسجلات سليمان الباروني وردوده الصحفية، مجلة الشهيد، العدد العاشر، أكتوبر 1989 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ص31 وما يليها.

شفقة على الطرابلسيين والبرقاويين ولا انقياداً لنصيحة ناصح ما .." وخلاصة هذا المثال ان الايطاليين أقحموا الليبيين المغلوبين على أمرهم في معركة لا ناقة لهم فيها ولا جمل، فمات من مات وعاد إلى ارض الوطن من بقى على قيد الحياة، وهو مشوه الخلق مشلول الأعضاء، ثم أعلنت الحكومة مكافأة للحاكم العام، وشكلت لجنة لجمع المال من الشعب لشراء سيف من الذهب، يقدم لقائد الحملة (الجنرال نازي) يقول الباروني: "هكذا كافات ايطاليا الطرابلسيين والبرقاويين على محاربتهم في الحبشة وذلك بإكرام قائدهم الايطالي، لا بإكرام المقاتلين أو يتامى المقتولين، ولم يكن هذا الإكرام من مال حكومة ايطاليا، أو من صناديق الجمعيات الايطالية، أو من صندوق بلدية طرابلس على الأقل، بل كانت من جيوب الطرابلسيين والبرقاويين، الذين منهم أقارب المقتوليين، فكأن سفك دمائهم لم يكف لإرهاقهم، فألزموا بإعطاء كل شخص منهم عشرة فرنكات فوق ذلك، أما الباقون من المحاربين الليبيين، فستكون مكافأتهم على هذا القتال، بسوقهم مرة أخرى إلى الحرب، لينالوا فضل الشهادة (على زعمهم) التي حرموها هذه المرة، وأما يتامى وأرامل الموتى، فلا سؤال عنهم ويكفيهم ان يسمعوا مدح آبائهم مع تشجيعهم على اعتناق الجندية، ليموتوا مثلهم، وتبقى أماكنهم خاليه للمعتمرين وينال المكافأة قائدهم الايطالي، ثم يخلص الباروني بعد ذلك إلى الطلب من الأمير أن يعنى بقضايا أخرى غير قضية هذا الشعب الطرابلسي، وأن يتخلى عن أسلوب المدح، والملق لايطاليا التي جثمت على صدر الليبيين كالكابوس الثقيل، يقول: "هذا واني لا اضن إني أسى إلى الأخ شكيب، إذا طلبت منه ان لا يعود بعد اليوم إلى جرح عواطفنا وحرق أفئدتنا بذكر طرابلس مقرونة بإطراء أعمال ايطاليا فيها، فان أقوام قد استهدفت كثيرين من الضعفاء الذين صعب عليهم تحمل مشقة الغربة، وضيق المعيشة فغرقوا في بحر ذلك السراب، الذي صوره لهم، ونسوا هدفهم الأصلي الشريف، الذي حاربوا وهاجروا لأجله سنة 1911م إلى اليوم ونسوا قانونهم الأساسي الذي نالوه سنة 1919م وسمع به العالم كله، ولا أظن إن إخواننا السوريين والفلسطينيين يرضون عنا أو يتحملون كلامنا، ولو اقتدينا بالأخ شكيب، وقمنا نمجد أعمال فرنسا في سوريا، وبريطانيا في فلسطين، بوسيلة إننا ما رأينا منهما في وقت حربنا ضرراً ما، بل وجدنا إلا كل تساهل ومساعدة منها "لأننا نانف أن نتخذ منفعة بلاد احد من إخواننا المسلمين ثمنا لمصلحة

بلادنا فان المسلمين كما ورد في الحديث الشريف "كالجسم الواحد" إذا تألم منه عضو تألم الجسم كله"[307].

وإذا مدحنا فرنسا أو بريطانيا يوما على صنيعها الإنساني معنا فإنما ذلك اعتراف منا لها بالجميل فقط، وذلك لا يؤلم أحداً ولا يضر أحداً، وختم هذا الرد القوي بمعاودة الطلب إلى الأمير ألا يتدخل في هذه المسألة الليبية مقرونة بمدح الايطاليين ,وذلك لكي لا يضطره إلى ما لا يرغب فيه من التكلم أوسع من هذا".

ويبدو انه لم يطلع على اصل المحاضرة وفحوى كلام الأمير شكيب، الذي نقل إليه من كامل التونسي مع شيء من التحريف، فتأثر بذلك القول[308]. وكتب مساجلة أنكر فيها على الأمير احتكاره للوحدة العربية لبعض البلاد الآسيوية، ومنع الدول الأفريقية الواقعة تحت الاستعمار وكانت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي في سوريا تقوم بتعميم مقالات الباروني في دمشق وتونس والأردن والعراق وغيرها عن طريق طبعها في مناشير، وحين شعر الأمير شكيب أرسلان انه قبالة خصم قد سد عليه جميع المنافذ، وان هجومه قد احدث هزاً عنيفاً في مواقفه السياسية القومية، اخذ يتوسط لدى بعض الجهات العربية للتدخل لإسكات الباروني، مهدداً بأنه في حال فشل هذه الوساطات فإنه سيرفع قضية في المحاكم على سليمان الباروني، وقد بعث سليمان الباروني رسالة إلى الأستاذ عمر فائق شنيب في عام 1938م [309]. كما أرفق رسالته، بنسخة من الرسالة التي بعث بها إلى رئيس جمعية دار الأرقم في عام 1938م[310]. يكشف الباروني في هذه الرسالة أن عدداً من السياسيين البارزين في العراق والشام حاولوا التوسط بينه وبين الأمير أرسلان.

لقد أثارت هذه الردود بين الزعيمين ردود فعل مختلفة بين الناس، رأى فيها فريق من الناس الحاقدين عليهما، أنها سبيل لتهتك ستر الرجلين وفضح نواياهما، ومال فريق آخر إلى

---

[307] ورد الحديث بلفظ آخر، انظر البخاري، ج 4، ص 53.

[308] محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص325-329؛ محمد جبران مسعود، مسجلات سليمان الباروني، المصدر السابق، ص42-46.

[309] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 15، الظرف السادس، وثيقة رقم 2، مؤرخة في عام 1938م، انظر ملحق رقم 11.

[310] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 15، الظرف السادس، وثيقة رقم 44، مؤرخة في عام 1938م، انظر ملحق رقم 12.

الصمت المطبق ولزوم الحياد بين الطرفين إلى أن تنجلي حقيقة الصراع[311]، بينما تدخل آخرون تعظيماً لهما وإشفاقاً عليهما بالمصالحة والتوفيق, ومن ابرز هؤلاء الشيخ إبراهيم عمر بيوض افلح[312]. الذي أطلق سلسلة من المقالات للمصالحة بين الزعمين تحت عنوان "بالفرقان بين أمير السين الباروني باشا وشكيب أرسلان، التي نشرها في جريدة الأمة الجزائرية. وخلاصة رأيه في تلك المقالات انه استغرب الخلاف القائم بين هذين الزعيمين الذين كانا من كبار قادة العالم الإسلامي. حيث قال: "إذا علمنا هذا بين جهاد سعادة الباشا في سبيل الجامعة (الإسلامية) وحرصه على نظم هذه البلاد الضائعة في سلك الخلافة ونشر إعلام الخليفة عليها يوم كان يرى الفرصة سانحة والغاية قريبه والظرف مواتياً، وما امتحن به من تشريد وتغريب ومطاردة بسبب فكرته هذه، ما لا يزال يجيش بصدره من آمال، انكشف لنا ثورته العنيفة اليوم، وحملته الشديدة على أخيه الأمير شكيب، واندفاعه في نقده بتلك الصورة التي ألمت كل مسلم يعرف مكانة الرجلين بين حماة الإسلام، إذ نقلت إليه كلمات رآها مساسة بحرمة أقدس شيء عنده، وقاطعة الطريق غاية شد ما لاقى في شيلها، وما فيها علم الله، وما ضنه سعادة الباشا قليل ولا كثير، وإنما هو عدم التحري، أو فساد القصد فيه مع الثقة بالناقل وتصديقه، يوم المسيء فيما لا ينبغي ان يقع فيه، وأنا لنرى انه لو اتصل سعادة الباشا بالنص الحرفي للخطبة كما نشره الأمير بإمضائه لما كان موقفه ذلك"[313].

ثم عرض عليه الشيخ بيوض لمحاضرة الأمير فقرة فقرة، فلم يرى فيها ما يدعو إلى الثورة ولإثارة بل رأى أن جميع ما جاء فيها من أفكار سياسية مطابقة للواقع في ذلك التاريخ، وان الخطأ الذي وقع فيه الباروني، اعتماد على ما نقله كامل التونسي وهو في رأيه، غير نزيه ومن مأخذه عليه أيضاً، اختياره في الحوار والجدل أسلوباً عاطفياً عنيفاً حول مسألة قابلة

---

(311) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 15، الظرف الرابع، وثيقة رقم 72، مؤرخة في عام 1938م، انظر ملحق رقم 13.

(312) عالم جزائري مشهور، ومن رجال الإصلاح وليد احد المؤسسين لجمعية العلماء الجزائريين ، وقد لقى بمواقفه مضايقات كثيرة من حكومة فرنسا التي زجت به عدة مرات السجون، محمد مسعود جبران، مساجلات سليمان الباروني، المصدر السابق، ص46.

(313) محمد مسعود جبران، مساجلات الباروني، المصدر نفسه، ص 47؛ محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر السابق، ص 330.

لاختلاف وجهات النظر وكان بمكانته ان يجنح إلى أسلوب المناقدة الهادئة المناسبة لمثله "وأنا لجد مؤمنين بأنه أحق من ناقش وحاور ونظر ونقد وأدلى برأيه في قضية الوحدة بأدب ورفق، وان يجادله بالتي هو أحسن في مناقشة هادئة، ونقد برئ نزيه غير عارض لما يمس حرمة أو يخدش كرامة، ولا خارج عن موضوع الخلاف إلا بما يقتضيه التدليل.

قال أيضاً ممهدا لمقالاته التالية للتوفيق بين الرجلين "وإن من الوفاء علينا للزعيمين وقد دخلنا بينهما أن نعرض بنقد نزيه كلمات وردت في مقال سعادة الباشا مما يتصل بغرضنا فليتفضل علينا بالعفو والمعذرة، فما يريد من مريده"[314].

والحق انه أنصف بينهما ونصرهما "ظالما ومظلوما " ومهما يكن من أمر، فقد تكفلت الأيام ومثل هذه المصالحة بتحسين العلاقة من جديد بين الرجلين، وعادت العلائق إلى الصفاء، حيث أرسل الباروني إلى شكيب رسالة يهنئه فيها باستقلال سورية، ورد عليه الأمير برسالة تحمل الود والتقدير يقول فيها: "حضرة صاحب العطوفة المجاهد الكبير الاخ سليمان باشا الباروني الأفخم أطال الله بقاءه.

تشرفت بكتابكم الكريم وشكرت تلطفكم بتهنئتنا على نيل ما نالته سورية من الاستقلال الذي سيؤول إلى التمام إن شاء الله بإرشاداتكم، وتوجه أنظاركم وليس عندنا شك في سروركم بكل ما يسرنا لان بلاد الإسلام واحدة، الله نسال ان يحررها جميعا ويجعلها لأهلها وما ذلك على الله بعزيز"[315].

7-في مقاله هذا المعنون تحت اسم (تغلغل نفوذ ايطاليا في تونس وقبضتها على 23 طرابلسياً لتعدمهم"، وفيه يعاتب المجاهد السلطات الفرنسية في تونس على ما قامت به ايطاليا في تونس حيث قبضت على 23 مواطن طرابلسي بمساعدة الحكومة الفرنسية نفسها وقامت بإعدامهم، وهذا ما ينافيه العرف وما قامت به الثورة الفرنسية نفسها إلا لذلك، ثم يؤكد فيه لفرنسا بان ايطاليا ما جاءت إلى ليبيا إلا لتحتلها ولكن هذا الفعل من قبل الحكومة الايطالية إنما يدلل على مدى القوة والسيطرة الايطالية على الفرنسيين والتي تسعى إلى احتلال كل الدول المطلة على البحر المتوسط بما فيها الأراضي التي تسيطر عليها فرنسا

---

(314) محمد مسعود جبران، مسجلات الباروني، المصدر السابق، ص331؛ محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، المصدر نفسه، ص47-48.

(315) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 86، مؤرخة في عام 1936م.

نفسها والتي هي اعلم من غيرها بحقيقة هذا القول بأن ما قيل هذا ليس بقصد الاحتياج ولكن المقصود منه "تسجيل هذه الفعلة على حكومة فرنسا الحاضرة لتجدها الأجيال المقبلة مدونة في التاريخ شاهده بما وصلت إليه السيطرة الايطالية على فرنسا في عهد هذه الحكومة سنة 1937م". ثم بعد ذلك يقول: "وإذا تعللت حكومة فرنسا بأنها ما ارتكبت هذا العمل (المنافي لشهامة الشعب الفرنسي ولعظم مركز فرنسا الدولي) إلا عملا بالقوانين التي بينها وبين ايطاليا فانا أقول لها إن كانت هذه القوانين جديدة فالواجب ان تشمل ما قبل السنتين، وان كانت قديمة فأين كانت يوم التجأنا سنة 1913م إلى تونس بعد ان أعلن استقلال طرابلس وحاربنا ايطاليا تحت رايتنا الوطنية، محاربات هلك فيها من جنودها وضباطها الآلاف فآوتنا حكومة فرنسا إذ ذلك كما أوت حكومة اليوم هؤلاء الملتجئين وجردتنا من سلاحنا كما جردوا من سلاحهم الآن. ولكنها لم تقبل ان تسلم لايطاليا رجلاً واحداً منا وعما عن إلحاحها وتهديدها وادعائها إننا عصاة ولصوص ومفسدون إلى حين ينفذ فيهم حكم الإعدام في طرابلس أما إخوانهم ليعتبروا..." ثم يعاود بعد ذلك ويؤكد لفرنسا أنها: "إذا أرادت بهذا العمل الممقوت إنسانية وسياسة التودد إلى ايطاليا وطلب رضائها فان ايطاليا مع زعيمها موسوليني لا يرضيها إلا أن تسلم لها فرنسا شمال أفريقيا كله من تونس إلى مراكش..فمن هنا يظهر للقارئ انه لا فرق بين الحادثتين من جميع الوجوه وإنما الفرق في حكومة فرنسا كانت إذ ذاك اشد قوة ومحافظة على عظمة فرنسا من حكومة اليوم"، ثم يطلب بعد ذلك من الحكومة ومن اجل المحافظة على هيبتها ان تضع حدا للسيطرة الايطالية وسوء تصرفاتها في تونس على الملتجئين إليها من الطرابلسين محافظة على الباقين منهم تحت رايتهم "وإعلاء لشان الشعب الفرنسي وسمعة دولته بين الدول في هذا الوقت الذي أصبح فيه للسمعة الحسنة والسيئة شان عظيم في السياسة العالمية"[316].

4 – سفره إلى مسقط من عام 1938–1939م

في حوالي منتصف هذا العام، وصلته رسالة من السلطان سعيد بن تيمور انف وهي السنة التي توفى فيها الملك غازي بن فيصل بن الحسين، ملك العراق، يطلب فيها إليه أن يكون

---

[316] أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص193 وما يليها.

مستشاراً له في عاصمة الساحل، فوافق على ذلك وغادر العراق، وعاد من جديد بعد ذلك من المملكة العمانية، حيث أقام مع أسرته زمنا، لم ينسى إخوانه الليبيين في موطنهم وفي ديار الهجرة، بل كان شديد الحرص على مكاتبتهم، وعلى التشاور معهم في قضيه ليبيا، وفي البحث معهم في الطرائق العملية لتحريرها، وإنقاذها من براثين الاستعمار، وفي نفسه الوفية آمال فساح في العودة إلى مرابع فخره، ولكن ذلك الحنين الصادق والغرام القديم لأوطانه وديارة ولعشيرته كان كما أبانت الأيام وقدة الذباله التي تكاد تنطفي، فقد سكنت الحمى عظامه، واستحكمت عله ضغط الدم في جسده المنهك المثقل بالهموم والانفعالات، وازداد الألم المبرح في أوائل عام 1940م، فطلب من السلطان زيارة الهند للعلاج"[317].

5 – وفاته في الهند سنة 1940م

في أواسط هذا العام سافر إلى الهند فوصل إلى مدينة بومباي، وما أن وصل هناك حتى اغشي عليه ونقل إلى المستشفى الانجليزي للتداوي، ثم إلى غيره ولكن أمر الله كان قد وقع، ودعيت روحه إلى خالقها، فلبت نفسه الطاهرة النداء وانتقل إلى رحمة الله في 1 مايو من العام المذكور، ودفن هناك بحضور السلطان سعيد بن تيمور، وجعل على قبره لوحة. كانت الدليل للعثور عليه أخيرا بعد 32 عاما لم يره فيها احد من أهله"[318].

والجدير بالذكر هنا ان بعض المصادر ذكرت انه كان يبيت أمراً آخر هو السفر إلى إحدى الجهات في تونس أو مصر ليجتمع بمواطنيه أملاً في العودة إلى ارض الوطن"[319].

وتقول ابنته يوم الوداع، وهي تشير إلى حفيديه (ابني إبراهيم): أو تترك طارقاً وعز الدين يا والدي؟

---

[317] زعيمة البارونـي، سليمان البارونـي؛ تعريف موجز، المصدر السابق، ص20، أبو القاسـم البـارونـي، المصدر السابق، ص39؛ محمد مسعود جبران، سليمان البارونـي آثاره، المصدر السابق، ص57-58.

[318] زعيمة البارونـي، سليمان البارونـي، تعريف موجز، المصدر نفسـه، ص21، حسـن علـي خشـيم، صفحات من جهادنا الوطني، ط1، مكتبة الفكر، طرابلس، 1972م، ص56، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ج2، المصدر السابق، ص243 -244.

[319] عز الدين إسماعيل وآخرون، المصدر السابق، ص 144- 145.

فوقف تلقاءها في مشيحية وقال: "وماذا على طارق وعز الدين. وانتم في رفقتهما وان اخي السلطان يرعى صوالحكم جميعا. وهو منكم بمنزلة الواحد الوصي وإغرورقت عيناه، لكلماته لي عيني إن هذا آخر موقف له بين أولاده وأحفاده كان ذلك صبيحة عيد المولد النبوي (12 ربيع الأول 1359-1940م).

فلم يكد يصل بومباي يوم 23 مايو 1940م، وحتى سقط مغميا عليه، فحمل إلى المستشفى، فلما أفاق كان قد فقد القدرة على الحركة والنطق معا.

وأخذ يردد دون طائل حرفين اثنين

ز.....م....

ولم يكن لإخوانه العمانيين الذين يرافقونه، أن يفهموا من ذلك شيئا، ولعله كان يريد أن يلفظ اسم ابنته زعيمة ليوصيها بحفيديه، فيعسر عليه النطق، واغزرورقت عيناه بالدموع، وفاضت روحه إلى بارئها[320].

لقد أثار نبأ وفاته موجه عليه من الحزن لدى جميع الزعماء الوطنيين في داخل ليبيا وخارجها لان فقدانه خلف فراغاً كبيراً ليس من السهل ملأه على مستوى القضية الليبية والقضايا الإسلامية كافة[321].

وبذلك أسدل الستار عن حياة رجلا كان مثالاً حياً للتقي والورع، وحب الوطن، وكراهية الأعداء والثبات على المبدأ، والعناد في سبيل الحق، والاعتزاز بالنفس، والصبر على المكارة والجرأة والشجاعة، فضلاً عن تغنيه بالوحدة الإسلامية، ومثل هذه الصفات قلما تجتمع في شخص واحد، إلا في القليل القليل من أفاضل الرجال.

---

[320] وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 94، مؤرخة في عام 1940؛ زعيمة الباروني، سليمان الباروني. تعريف موجز، المصدر السابق، ص 21.

[321] مذكرات احمد زارم، الدراسات العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1979م، ص 244 وما يليها؛ احمد زارم، حتى لا يضيع التاريخ، طرابلس، ليبيا، 1972، ص 68 -69؛ احمد زارم، ذكريات من الماضي القريب، دار الحرية، طرابلس، 1972م.

الخـــــــاتـــمـــة

الخاتـمة

بعد إعدادنا لهذا البحث، توصلت إلى عدة نتائج، من أهمها:

1. أكـدت الدراسـة علـى مشـاركة البـاروني الفعالـة في فـترة الجهـاد الأول عـام 1911م، حيث كان له نشاط ملحوظ في بداية الاحتلال في تحريض الناس على الجهاد ضد ايطاليا.
2. بيّنت الدراسة أنه ظلّ يدين بالولاء والطاعة للدولة العثمانية حتى وفاته عام 1940م، لاعتقاده بأنها مركز الخلافة الإسلامية، ويجب أن تقوم العلاقة بينهما وبين الشعوب العربية على الولاء والإخلاص.
3. أكدت الدراسة على جهوده في إخماد الفتن بين الزعماء الطرابلسيين والجبل الغربي من اجل توحيد المقاومة ضد الايطاليين.
4. أكـدت الدراسـة علـى أنـه أدى دوراً هامـاً في مقاومـة الايطـاليين، وأنـه علمـاً بارزاً مـن أعـلام المجاهـدين الليبيـين الـذي يمكـن الاعتمـاد عليهم بمـا يتجلـى بـه مـن شـجاعة ورصانة وبعد النظر.
5. أوضحت الدراسة أنه نقل نشاطه إلى عُمان ثم إلى بغداد بعد خروجه مكرهاً من ليبيا في عام 1920م، وذلك بالاتصال بالزعماء الليبيين وإحكام الصلات معهم من أجل تعدد الأصوات المدافعة عن القضية الليبية.
6. بيّنـت الدراسـة مـدى معارضـة الفرنسـيين والانجليـز والايطـاليين لنشـاط البـاروني في البلدان العربية، وذلك بمنعه من دخول مصر وسوريا وبلاد المغرب العربي، وكثير من الدول العربية.
7. أكـدت الدراسـة علـى مـدى اسـتغلال المجاهـدين لأحـداث الحـرب العالميـة الأولى في حربهم ضد الايطاليين، حيث اضعفوا قوة العدو وحصروها على الشواطئ الطرابلسية في موقع أو موقعين فقط.
8. أكـدت الدراسـة مـدى الجهـود الـتي كـان يبـذلها الـزعيم سـليمان البـاروني مـن أجـل الحصول على اعتراف الدول الكبرى باستقلال ليبيا مقارنة بالدول الأخرى.
9. بيّنت الدراسة مدى اهتمام الباروني بقضية بلاده من خلال الاتصال بالعديد من

المراكز الدولية لعرض قضية بلاده عليهم، وآخرها كان سفره إلى الهند للعلاج وعرض قضية بلاده على قادة هذه البلاد، حيث وافته المنية هناك.

قائـمة المـصـــادر والمـــراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث النبوية.

ثالثاً الوثائق:

أ – الوثائق الغير منشورة

وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس:

1 – ملف الباروني / رقم 9

– وثيقة رقم 45، رسالة من سليمان الباروني إلى جريدة الأيام يرد فيه على مقال نشرته نفس الجريدة لشكيب أرسلان بخصوص طرابلس الغرب، د.ت.

– وثيقة رقم 55، رسالة من رئيس اللجنة العليا عمر طوسون إلى سليمان الباروني يذكرهُ بأن المقاومة مستمرة وان الطريق بين طرابلس وبنغازي غير مستقرة، عام 1915 م.

– وثيقة رقم 69، برقية تفيد بأن الغواصة وصلت تحمل سليمان الباروني إلى مصراتة لتجنيد الحرب ضد الايطاليين، عام 1916 م.

– وثيقة رقم 74، رسالة من عبد الرحمن عزام إلى سليمان الباروني يخبرهُ بأنهُ تلقى رسالتهُ وصادف حضورها وجود أحمد المريض ويطلب منهُ تحديد الموعد والمكان لعقد اجتماع لتصفية النفوس وتطييب الخواطر والعمل من اجل الوطن والدين، عام 1920 م.

– وثيقة رقم 80، رسالة من سليمان الباروني إلى الشيخ أبي بكر البصير والشيخ محمد بشير وبعض المشائخ والأعيان يخبرهم بنقل عائلتهُ من طرابلس إلى زواره لفساد الأمور، وليتفرغ مع المخلصين لخدمة الوطن، عام 1921م.

– وثيقة رقم 81، مقال عن اشتراك سليمان الباروني في الحرب الليبية ومعلومات عن حياتهُ بخط المجاهد سليمان الباروني، د.ت.

– وثيقة رقم 86، رسالة من شكيب أرسلان إلى سليمان الباروني، عام 1936 م.

– وثيقة رقم 94، مضمون مقال مجلة مرآة الشرق الأوسط الهندية تحت عنوان حلقة مفقودة في التاريخ الليبي والتي أشارت فيه إلى قصة كفاح سليمان الباروني، عام 1940م.

– وثيقة رقم 103، رسالة من سليمان الباروني إلى كل من أخيه يحي وابنتيه زعيمة وعزيزة

يخبرهم بحصوله على نيشان الاستقلال الهاشمي في جدة، عام 1924م.

- وثيقة رقم 110، نبذة عن أقارب سليمان الباروني، د.ت.

- وثيقة رقم 117، دعوة سليمان الباروني للحضور إلى مجلس المبعوثان العثماني، عام 1908م.

2 – ملف شكري فيصل رقم 15

* الظرف الرابع

- وثيقة رقم 49، رسالة من سليمان الباروني إلى عمر فائق شنيب يخبرهُ بأن ما قام به الحداد من تأليف يمس شرف بعض المجاهدين وإن لم يتخل عنهُ فسوف ينبري للرد عليه، عام 1938م.

- وثيقة رقم 61، رسالة من سليمان الباروني إلى عمر فائق شنيب يخبرهُ بأنه يعتزم السفر لإصلاح ذات البين بين مهاجري مصر، عام 1939م.

- وثيقة رقم 72، رسالة من الأخضر العيساوي إلى عمر فائق شنيب يقترح البقاء على الحياد وعدم التدخل بين سليمان الباروني وشكيب أرسلان فيما يدور بينهم من مساجلات صحفية، عام 1938م.

- وثيقة رقم 82، رسالة من سليمان الباروني إلى عمر فائق شنيب يحدثهُ فيها بأن جهودهُ ما زالت متواصلة لنشر المقالات التي تشنع بايطاليا وجرائمها، عام 1938م.

ب – الوثائق المنشورة:

1 – وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

أ – ملف أحمد المريض رقم 3.

- وثيقة رقم 19، دورهُ في حركة الجهاد (أحمد المريض)، حتى وفاتهُ، د.ت.

ب – ملف الباروني رقم 9.

- وثيقة رقم 42، رد من سليمان الباروني على مقال شكيب أرسلان الذي يمجد فيه جهود السنوسية دون سواهم، عام 1937م.

- وثيقة رقم 60، إقرار موقع من سليمان الباروني وأحمد السني ومحمد سوف وأحمد البدوي إنهم اتفقوا على الاستقلال الممنوح من الدولة العثمانية، عام 1912م.

- وثيقة رقم 73، رسالة من سليمان الباروني تفيد بان العدو الايطالي احتل صرمان وجنزور والزاوية وعاث فيها فساد، وخرج قاصداً العزيزية والتقى المجاهدين فتقهقروا ثم التقوا به في السواني وهزم العدو، عام 1917م.

- وثيقة رقم 78، برقيات أرسلها سليمان الباروني إلى وزراء الخارجية في كل من لندن، باريس، برلين، النمسا والمجر، ايطاليا، الدولة العثمانية، عام 1912م.

- وثيقة رقم 102، بلاغ بتوقيع كل من سليمان الباروني، أحمد المريض، رمضان الشتيوي، عبد النبي بالخير إلى الضباط الوطنيين والى الدول العظمى، عام 1918م.

- وثيقة رقم 109، شعر بقلم سليمان الباروني بعنوان ذكرى، عام 1915م.

- وثيقة رقم 116، منشور من سليمان الباروني في حث الأهالي عل التدريب على السلاح، عام 1910م.

ج – ملف شكري فيصل رقم 15.

* الظرف السادس

- وثيقة رقم 2، رسالة من سليمان الباروني إلى عمر فائق شنيب يخبرهُ فيها عن أسباب الرد على الأمير شكيب أرسلان على صفحات جريدة الشباب، عام 1938م.

- وثيقة رقم 44، رسالة من سليمان الباروني إلى رئيس جمعية دار الأرقم يخبرهُ فيها إن عدداً من السياسيين البارزين في العراق والشام حاولوا التوسط بينه وبين الأمير أرسلان، عام 1938م.

د – شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف معارك الجهاد رقم 47.

- وثيقة رقم 87، البعثات الاستكشافية الايطالية، عام 1897م.

- وثيقة رقم 92، البعثات الاستكشافية الايطالية، عام 1901م.

2 – وثائق منقولة عن أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ط2، مركز البحوث، 1948م.

- رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف العثمانية، 1912م.

- رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف العثمانية، 1912م.

- رسالة من سليمان الباروني إلى جريدة الزهراء اليومية في تونس، 1912م.

- رسالة من نائب السلطان العثماني إلى سليمان الباروني، 1912م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى الحاكم الايطالي في طرابلس، 1912م.
- رسالة من الكونت سفورزا إلى سليمان الباروني، 1913م.
- رسالة من وزير خارجية ألمانيا إلى سليمان الباروني، 1916م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى الحكومة البريطانية، 1918م.
- نص بلاغ الجمهورية، 1918م.
- منشور من الحكومة الايطالية إلى سكان طرابلس الغرب، 1918م.
- رسالة من الحكومة الايطالية إلى فرحات بك، 1918م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى أعضاء الجمهورية الطرابلسية، 1919م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى بعض الصحف العربية، 1924م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى بعض الصحف العربية، 1924م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى موسوليني، 1926م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى مؤتمر نزع السلاح لعصبة الأمم، د.ت.
- رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، 1936م.

3 – الوثائق المنقولة عن أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان باشا في أطوار حياتهُ، المطبعة العربية، الجزائر، ج 1-2، 1956م.

- رسالة من سليمان الباروني إلى عمر العنق، 1929م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى أحد أصدقاءهُ في بغداد، 1929م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى أبو اليقظان الحاج إبراهيم، 1929م.
- رسالة من إدريس السنوسي إلى عمر فائق شنيب بخصوص سليمان الباروني، د.ت.
- رسالة من الثعالبي إلى أحد أصدقاءه، د.ت.
- رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، 1935م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، 1935م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى الصحف الشامية، 1935م.

4 – الوثائق المنقولة عن أحمد صدقي الدجاني وعبد السلام آدم، وثائق تاريخ ليبيا الحديث،

ط1، 1974م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى والي طرابلس، 1910م.
5 - الوثائق المنقولة عن الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للنشر والتوزيع، ط3، 1970م.
- رسالة احتجاج من نواب ولاية طرابلس إلى مجلس المبعوثان العثماني، د.ت.
- رسالة من سليمان الباروني إلى إدريس السنوسي، 1916م.
6 – الوثائق المنقولة عن تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام. 1925-1950 م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1983م.
- رسالة من اللجنة التنفيذية إلى سليمان الباروني، 1938م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى بشير السعداوي، 1931م.
- رسالة من عمر فائق شنيب إلى سليمان الباروني، 1939م.
7- الوثائق المنقولة عن عز الدين إسماعيل وآخرون، سليمان الباروني. المعلم المقاتل، ط1، دار العودة، بيروت، 1960م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى أبو اليقظان الحاج إبراهيم، 1924م.
- منشور من سلطان مسقط إلى سليمان الباروني، 1925م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى عصبة الأمم، 1932م.
8- الوثائق المنقولة عن زعيمة الباروني، صفحات خالدة من تاريخ الجهاد الليبي، ج1، ج2، 1968م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى متصرف الجبل شفيق بك، 1908م.
- رسالة من والي طرابلس المشير إبراهيم بك إلى سليمان الباروني 1909م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى قائم مقام جنزور، د.ت.
- رسالة من نائب مصراتة احمد ضياء الدين سليمان الباروني 1909م.
- رسالة من يحي وأحمد الباروني إلى أخيهم سليمان الباروني، 1909م.
- رسالة من بعض موظفي نفوسة إلى سليمان الباروني،1909م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى مجلس المبعوثات العثماني، 1911م.

- رسالة من سليمان الباروني إلى أحمد الشريف، 1915م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى محمد سوف، 1916م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى جريدة اللواء، 1921م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى عبد النبي بالخير، 1921م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، 1898م.
- شهادة الأكاديمية الفرنسة، قسم التاريخ والجغرافيا، جامعة السربون.
- رسالة ترشيح سليمان الباروني في مجلس المبعوثات العثماني، 1908م.
9- الوثائق المنقولة عن محمد المرزوقي، عبد النبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1978م.
- منشور الحكومة الايطالية ضد سليمان الباروني، 1918م.
10- الوثائق المنقولة عن محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية (1912-1932م)، الدار العربية للكتاب، ج2، ليبيا - تونس، 1982م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى عصبة الأمم، 1924م.
11- الوثائق المنقولة عن محمد مسعود جبران، سليمان الباروني آثاره، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 1983م.
- رسالة من سليمان الباروني لحث الأهالي على الجهاد، 1910م.
- رسالة من سليمان الباروني إلى أهالي ولاية طرابلس، 1910م.

رابعاً: الروايات الشفوية:

مقابلات أجراها الباحث:

1 - مقابلة مع الهادي إبراهيم المشيري، طرابلس، 2004م.
2 - مقابلة مع سليمان تاج الدين، طرابلس، 2004م.
3 - مقابلة مع عمرو أحمد الباروني، طرابلس، 2004م.
- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الروايات الشفوية (المكتبة الصوتية):

1 – مقابلة مع أبو القاسم على ضوء كله، 4 – 8 – 1978م، شريط رقم 59 – 60 – 61 / 2.
2 – مقابلة مع مسعود احمد أبو فالقة، 4-1978م، شريط رقم 6/1.
3 – مقابلة مع عربي عمر النالوتي، 28-5-1978م، شريط رقم 13-6/14.
4 – مقابلو مع يونس عمر عبازة، 13-11-1978م، شريط رقم 77-6/78.
5 – مقابلة مع عبد السلام المريض، 17-8-1978م، شريط رقم 9/40.
6 – مقابلة مع عبد السلام المريض، د.ت، شريط رقم 2/40.
7 – مقابلة مع عمرو محمد بيالة، 18-4-1978م، شريط رقم 6/3.
8 – مقابلة مع أحمد خليفة زارم، 12-4-1978م، شريط رقم 7-8-2/9.
9 – مقابلة مع عبد السلام المريض، د.ت، شريط رقم 9/36.
10 – مقابلة مع صالح سعيد كبر، 25-5-1978م، شريط رقم 12-6/13.
11 – مقابلة مع عيسى صالح عيسى، 1978م، شريط رقم 6/25.
12 – مقابلة مع محمد إبراهيم محمد زكري، شريط رقم 6/1.
13 – مقابلة مع عمر الحاد القلاي، 29-5-1978م، شريط رقم 6/14.
14 – مقابلة مع عمر محمد النالوتي، 28-5-1978م، شريط رقم 14-6/15.

خامساً: المصادر المطبوعة:

1 – أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ط2، طرابلس 1948م.
2 – أبو اليقظان الحاج إبراهيم، سليمان باشا في أطوار حياته، المطبعة العربية، الجزائر ج1، ج2، 1956م.
3 – أحمد زارم، ذكريات من الماضي القريب، دار الحرية، طرابلس، 1972م،
– حتى لا يضيع التاريخ، طرابلس _ ليبيا، 1972م.
4 – اللجنة الطرابلسية، الكتاب الأبيض في وحدة طرابلس وبرقة، دار الأنوار، القاهرة،

مصر، 1947م.
5 – الطاهر احمد الزاوي، عمر المختار، الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في طرابلس الغرب، ط1، مطبعة عيسى البابي وشركاءه بمصر، القاهرة، 1947م.
– جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط2، دار الفتح للنشر والتوزيع، 1970م.
– أعلام ليبيا، ط2، الفرجان، طرابلس، 1971م.
– جهاد الأبطال في ديار الهجرة، الفرجان، طرابلس، 1976م.
6 – أمين سعد، الدولة العربية ألمتحدة، مطبعة عيسى البابي وشركاءه بمصر، ج3، القاهرة، 1938م.
7 – راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط2، طرابلس، 1953م.
8 – رودلفو غراتسياني، نحو فزان، ترجمة طه فوزي، القاهرة، 1976م.
9 – زعيمة الباروني، صفحات خالدة من تاريخ الجهاد الليبي، ج1، ج2، 1968م.
– سليمان الباروني، تعريف موجز، دار لبنان، بيروت، 1973م.
10 – سليمان عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، المطبعة التعاونية، ج2، القاهرة، 1907م.
11 – مذكرات أحمد زارم، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1979م.
12 – محمد الأخضر العيساوي، رفع للستار عما جاء في كتاب عمر المختار، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة، 1936م.
13 – محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، القاهرة، 1947م.
14 – محمد المرزوقي، عبد النبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، الدار العربية للكتاب، (ليبيا – تونس، 1978م).
15 – محمد مسعود جبران، سليمان الباروني أثاره، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 1983م.
16 – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المطبعة التعاونية، ج1965،1م.

17 – محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1948م.

– ميلاد دولة ليبيا ووثائق تحريرها واستقلالها، ج1، ج2، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م.

18 – عبد الله يحي الباروني، سلم العالة والمبتدئين، مطبعة النجاح، القاهرة، 1906م.

– ديوان عبد الله الباروني، دار الطباعة المحمدية،القاهرة،د.ت.

19 – عز الدين إسماعيل وآخرون، سليمان الباروني المعلم المقاتل، ط1، دار العودة، بيروت، 1960م.

سادساً: المراجع العربية والمترجمة:

1 – إبراهيم محمد الطلامى، مزاب، بلد الكفاح، دار البعث، الجزائر، 1970م.

2 – اتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط1، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1971م.

3 – ارسي، مع الايطاليين، في حرب طرابلس، ترجمة منصور عمر الشتيوي، ط1، الفرجان، طرابلس، 1972م.

4 – أحمد الشماخي، السيرة والمناقب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، د.ت.

5 – أحمد صدقي الدجان، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، ط1، القاهرة، 1971م.

6 – أحمد صدقي الدجان، وعبد السلام ادهم، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، ط1،1974م.

7 – الهاشمي محمد بالخير، الهاني، الغزو الايطالي وبداية حركة المقاومة المسلحة، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، جامعة الفاتح، طرابلس، 1985م.

8 – المبروك الساعدي، موسوعة روايات الجهاد، ط1، طرابلس، 1983م.

9 – بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، طرابلس، 1988م.

10 – تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م.

11 - تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925-1950م، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1983م.

12 - جاد المولى علي الحرير، الجهاد الليبي عند شعراء الأقطار العربية، طرابلس، 1991م.

13 - جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1912م، ترجمة عبد الكريم الوافي، ط3، بنغازي، 1998م.

14 - جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة عبد الحفيظ الميار واحمد اليازوري، ط1، الفرجان، طرابلس، 1972م.

15 - حبيب وداعة الحسناوي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتاب، 1988م.

- الاساليب الحربية في حركة جهاد الليبيين،بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 1911-1943م، ط1، ج2، 1998م.

16 - خليفة محمد التليسي، بعد القرضابية، دراسات في تاريخ الاستعمار الايطالي لليبيا، طرابلس الغرب، 1922-1930م، ط1، طرابلس، 1973م.

- حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب و الأجانب، ط1، دار الكتب، طرابلس، 1974م.

- معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الايطالية، ط1، طرابلس، 1980م.

- معجم معارك الجهاد في ليبيا من 1911-1913م، ط1، الدار العربية للكتاب، 1983م.

17 - دليل المؤلفين العرب الليبيين، أمانة الإعلام والثقافة، دار الكتب، طرابلس، 1977م.

18 - شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة محمد عبد

الكريم الوافي، ط3، بنغازي/ 1994م.
19 - صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ط1، مصر، 1970م.
20 – عبد الله علي إبراهيم، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد، ورد ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943م، ط2، ج2، طرابلس، 1998م.
21 - عمر سعيد بغني، حركة الجهاد الليبي خلال الفترة 1919-1921م، ورد ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943م، ط2، ج2، طرابلس، 1998م.
22 - علي مصطفى المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا، ط1، طرابلس، 1956م.
- صحافة ليبيا في نصف قرن، مطابع الكشاف، بيروت، 1960م.
- كفاح صحفي، ط1، أبى قشة وجريدته، بيروت، 1961م.
- سعدون البطل الشهيد، بيروت، لبنان، مكتبة الفكر، طرابلس، 1964م.
23 – عبد المولى صالح الحرير، التمهيد للغزو الايطالي وموقف ليبيا منه، ورد ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 1911-1943م، ط2، ج2، طرابلس، 1998م.
24 - غيورغ فون غريفنيتس، تاريخ الحرب الليبية الايطالية، ترجمة عماد الدين غانم، الأمين الطاهر شقليله، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس، 1986م.
25 - فرانسيس ماكولا، الغزاة، ترجمة عبد الحميد شقلوف، ط1، الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1979م.
- حرب ايطاليا من اجل الصحراء، ترجمة عبد المولى صالح

الحرير، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، دار الكتب، طرابلس،1991م.

26 – فرانشسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط1، الفرجاني، طرابلس، 1971م.

27 – فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ج1913،4م.

28 – قاسم، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، 1968م.

29 – مذكرات جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا، 1911–1912م، ترجمة محمد التليسي، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1986م.

30 – محمد أمحمد الطوير، الشيخ محمد فرحات الزاوي، أحد قادة الجهاد الليبي ضد الغزاة الايطاليين، ط1، دار الكتب، بنغازي، 1993م.

– العوامل المساعدة في حركة الجهاد الليبي، 1911–1932م، ورد ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ط2، ج2، طرابلس، 1998م.

– تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث، ط1، كلية الآداب، الزاوية، 1998م.

31 – محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، 12–13، الدار العربية للكتاب، ج2، ليبيا–تونس، 1982م.

32 – محمد الأسطى وعلي اعزازي، تاريخ القوة المسلمة التركية، الدور العثماني في الحرب العثمانية الايطالية، 1911–1912م، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس– ليبيا، 1988م.

33 – محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، المطبعة التعاونية، دمشق، 1971م.

34 – محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية

للنشر، تونس، 1972م.
35 – محمد رجب الزائدي، الغزو الايطالي لليبيا، مقدماته وغاياته،ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1974م.
36 – محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر، الثورة والاستسلام، المنشاة الشعبية للنشر، طرابلس، 1980م.
37 – محمد عبد الكريم الوافي، الطريق إلى لوزان، ط2، بنغازي، 1988م.
38 – محمد علي أبو شارب، الحركة الوطنية، 1922–1923م، ورد ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 1911–1943م، ط2، ج2، طرابلس، 1998م.
39 – محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان، ط1، الفرجاني، طرابلس، 1974م.
40 – مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالي، أكتوبر 1911– أكتوبر 1912، ط1، دار الكتب، طرابلس، ليبيا، 1988م.
– المقاومة الوطنية ضد الغزو الايطالي في منطقة بوكماش، 1912م، ط1، دار الكتب، طرابلس، 1990م.
– بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 1911–1943م، ط2، ج2، 1998م.
41 – مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، ط1، طرابلس، 1988م.
– الجمهورية الطرابلسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، بنغازي، 2000م.
42 – نجم الدين غالب الكيب، في الأدب والنقد، مطابع الثورة العربية، طرابلس، د.ت.

سابعاً: الرسائل العلمية:

1 – أكرم عثمان عبد الرازق، دور بشير السعداوي في الحركة الوطنية الليبية

1912-1952م، رسالة ماجستير غير منشورة في
التاريخ الحديث المعاصر، 2004-2005م.
2 - ندى عمر شعبان، المقاومة الليبية للاحتلال الايطالي من 1911-1932م، رسالة
ماجستير في التاريخ الحديث في الجامعة اللبنانية، لكلية الآداب
والعلوم الإنسانية، بيروت، 1983، رسالة ماجستير غير
منشورة، مكتبة مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

ثامناً: الدوريات (المجلات والصحف):

أولاً: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية:
- اللواء الطرابلسي، عدد 42، 5 من شهر ذي الحجة، 1338هـ - 19 من أغسطس 1920م، طرابلس.
- اللواء الطرابلسي، عدد 13، 8 من شهر ربيع الثاني، 1338هـ - 8 من يناير 1920م، طرابلس.
- اللواء الطرابلسي، عدد 54، الخميس 29 جمادي الآخر، 1339هـ- الموافق 9 مارس 1921م، طرابلس.
- محمد مسعود جبران، مساجلات سليمان الباروني وردوده الصحفية، مجلة الشهيد، العدد العاشر، أكتوبر، 1989م.
- محمد الأسطى، المعارك البحرية في ميناء طرابلس، مجلة الأفكار، العدد 18، السنة الثالثة، 1958م.
- عمر سعيد يغني، أصول حركات الصفوف وأثرها في حركة الجهاد، مجلة الشهيد، طرابلس، عدد 42، 1983م.

ثانياً: قناة الجزيرة للأخبار، 2003م.

ثالثاً: المنقولة عن الكتب:
أ - المنقولة عن كتاب، محمد مسعود جبران، سليمان الباروني، أثاره
- مجلة الشرق الحديث، سليمان الباروني، العدد 5، 1941م.

- مجلة ما وراء البحار، ايطاليا، مشاركة سليمان الباروني في الحركة الليبية، فالييري، العدد 2، 1934م.
- مجلة ما وراء البحار، العدد 2، السنة الثامنة.
- مجلة ما وراء البحار، العدد الثاني، السنة الثانية، 1934م.
- مجلة الأمة، العدد 123، 1937م.
- مجلة الأمة، العدد 110، 1973م.
- مجلة الأمة، العدد 34، 1935م.
- مجلة الأمة، العدد 108، 1937م.

ب- المنقولة عن زعيمة الباروني، صفحات خالدة من تاريخ الجهاد الليبي، ج1،ج2، 1968م.
- الأسد الإسلامي، العدد الأول.
- الأسد الإسلامي، العدد الثاني.

ج- المنقولة عن أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني زعيم المجاهدين الطرابلسيين، ط2، طرابلس، 1948م.
- جريدة العدل، 1916م.
- مقالة عن دور سليمان الباروني في الحركة الوطنية، 1936م.

د- محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، 12-13، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ج2، 1982م.

الملاحق

فهرس الملاحق

الملحق رقم (1)
دعوة لسليمان الباروني للحضور إلى مجلس المبعوثان بتاريخ عام 1908م.

الملحق رقم (2)
منشور من سليمان الباروني في حث الأهالي على التدريب العسكري بتاريخ عام 1915م.

الملحق رقم (3)
برقيات طلب الاعتراف باستقلال ولاية طرابلس من سليمان الباروني إلى وزراء خارجية بريطانيا – فرنسا – ألمانيا – النمسا – المجر – روسيا – الدولة العثمانية – ايطاليا عام 1912م.

الملحق رقم (4)
شعر بقلم سليمان الباروني بعنوان (ذكرى) في عام 1914م.

الملحق رقم (5)
تقرير عن الحرب بين المجاهدين والايطاليين في سواني بن يآدم وبعض المناطق الأخرى في عام 1917م.

الملحق رقم (6)
بلاغ بتوقيع كل من سليمان الباروني، أحمد المريض، رمضان الشتيوي، عبد النبي بالخير إلى الضباط الوطنيين والى الدول العظمى عام 1918م.

الملحق رقم (7)
منشور تهديد من الحكومة الايطالية إلى سكان طرابلس بعدم التعامل مع سليمان الباروني في عام 1918م.

الملحق رقم (8)

رسالة من سليمان الباروني إلى صديقه أبو اليقظان الحاج إبراهيم في عام 1924م.

الملحق رقم (9)

رسالة من اللجنة التنفيذية إلى سليمان الباروني لموافاتها بنبذة عن جهادهُ في عام 1931م.

الملحق رقم (10)

رسالة من سليمان الباروني إلى بشير السعداوي حول المعلومات التاريخية عن سير الجهاد في عام 1931م.

الملحق رقم (11)

رسالة من سليمان الباروني إلى عمر فائق شنيب يخبرهُ فيها عن أسباب الرد على شـــكيب ارسلان على صفحات جريدة الشباب في عام 1938م.

الملحق رقم (12)

رسالة من سليمان الباروني إلى رئيس جمعية دار الأرقم يخبره فيها إن عدداً من السياسيين البارزين في العراق والشام حاولوا التوسط بينهُ وبين الأمير شكيب في عام 1938م.

الملحق رقم (13)

رسالة من الأخضر العيساوي إلى عمر فائق شنيب يقترح فيه عليه البقاء على الحياد وعدم التدخل بين سليمان الباروني وشكيب أرسلان فيما يدور بينهم من مساجلات صحفية في عام 1938م.